كتب قومية

قصة الثورة كاملة

بقلم : أنور السادات



كتب قومية

قصة الثورة كاملة

بقلم أنور السادات

مقدمة

كنت أكتب وأروى للشعب قصة ثورتنا ، وفى كل مرة كنت أسرد للشعب ــ وليس لغيره ــ حقيقة واحدة ، وهى أن الثورة لم تقم الا من اجل شيء واحد .. من أجل ان يحكم الشعب نفسه بنفسه ..

ورويت للشعب كل الحقائق .. قلت ان الثورة ألغت الاحزاب ، وأسقطت الدستور ، لانها ثورة وليست انقلابا . ثورة تستهدف اقامة نظام ديمقراطى صحيح ، لانظام مزيف يقوم على الخديعة والتغرير بالشعب ، حتى يتمكن المزيفون والمستغلون والمضللون من نهبه والسيطرة على حياته . نحن لم نكن نريد البطش بالشعب بل بأعدائه .. ومضيت فى حلقات عديدة أروى للناس فى مصر وفى خارج مصر حكايتنا .

فرويت قصة العرض الذى تقدم به لنا عم ناريمان يوم أن قام الجيش ليضرب ضربته ، وكان العرض من فاروق الملك السابق .. يطلب منا فيه تأليف الوزارة .. فكان ردنا هو طرد عم ناريمان من مبنى القيادة فى كوبرى القبة .

ثم بعد ذلك رويت كيف رفضنا فكرة الحكومة العسكرية تلك

الفكرة التى كان السيد سليمان حافظ يدعونا الى تنفيذها فى كثير من الأحيان ٠

كانت أهدافنا ـ اذن ـ واضحة ٠٠ ومحددة واصررنا عليها ولم نتراجع ٠٠ وتلك الاهداف كما تحدثت عنها تحت هذا العنوان هى اقامة نظام ديمقراطى سليم مستمد من حاجات الشعب ، ونابع من مصالحه ٠٠ لا من حاجات الاقطاع والمستغلين والارستقراطية المصرية التى تريد أن تعيش عالة على الناس وجهدهم ٠

وتحدثت فى حلقات هذه القصة التى تراها فى الصفحات الآتية ، عن العقبات التى صادفناها ، وعن المؤامرات ٠٠ وعن الذين وقفوا فى الطريق ليعطلوا زحف الثورة المصرية ، وكيف اننا كنا قد قررنا ان يكون الزحف أبيض ، وأن يكون بلا دم ٠٠ حتى اذا اعترض الزحف قاطع طريق ، كان حتما ـ اذن أن تضرب الثورة بقبضتها الحديدية ٠ فالمسألة لم تكن تمسنا بل كانت تمس مستقبل ملايين المصريين الذين فى الاغلال ٠

وفى الطريق مضينا ٠٠ والتقينا بكثيرين من الاعداء ٠٠ الرجعية المتربصة بالبلاد ٠٠ الاحزاب التى قامت فى كنف النظام الملكى الاقطاعى وفى حماية قوات الاحتلال ٠٠٠

والتقينا بالخونة والعملاء ٠٠ وبالانتهازيين وفلول النظام الذى سقط ٠٠ كنا نريد أن ينتهى الزحف الابيض على الاعداء فى ساعة واحدة لا فى ثلاث سنوات ٠

لكن المسألة لم تكن فى يدنا ٠٠ فقررنا أن يستمر الزحف مهما كانت العقبات ٠٠ فنحن نعرف ما نريد ، لم نكن نريد الا اقامة النظام الديمقراطى ٠٠ لا العسكرى كما قال المزيفون ٠

ولقد حددت الثورة موقفها ، ولم يعد أمام الشعب الا أن يستعد ليحكم نفسه بنفسه .

ان التاريخ اليوم يسجل الانتصار الأكبر للثورة المصرية .

لم يعد أمام الشعب الا أن يستعد لمواجهة الانتصار الكبير الحاسم علي أعدائه ، بكل رغبته في العدل والحق والحرية .

ان آلاف السنين التى مرت بأبناء البلاد ، وهم يجوعون ويمرضون ويمتهنون ، قد كتب عليها أن تصبح منذ الآن تاريخا ، يحفظه الشعب بعد انطلاقه . فلا جوع ولا عرى ولا ضياع فى كنف الحرية ، والشعب اليوم قد حصل عليها !

ان الحكم القومي الذى سيسود لن يجد المزيفون لهم مكانا فى ظله ، والمجتمع سوف يصبح اشتراكيا ، لا تفصل بين طبقاته أسوار عالية رهيبة ، ولا يعلو مواطن على الآخر كأنه اله ينحني أمامه العبيد .

أن الحزبية كانت تصنع هذا كله ... ولم تكن للطوائف الكادحة والعاملة والمنتجة في نوادى الاحزاب ، الا الوعود ثم الخديعة .

أما اليوم .. فالبلاد بلادهم يملكون كل شيء فيها ، بعد أن مهدت أمامهم الثورة الطريق ... وأزالت منه الصخور والاشواك .

كنا نقول دائما للمزيفين : نحن لسنا صناع استبداد ، فعندما حددنا فترة الانتقال كنا نعني ما نقول ، وكنا قد حددناها ليس من أجل البطش بالشعب ، فتلك ليست صناعتنا ... بل أوجدناها للقضاء على الزيف ، على التركة العفنة التى خلفها لنا نظامهم

الباطش ، القائم على أعمدة الاستعمار والاقطاع والاستغلال والارستقراطية المتعالية ٠

وكان حتما على الثورة أن تقوض اركان ذلك النظام ، قبل ان تفتح الابواب أمام الشعب لينطلق نحو مستقبله ٠ كان حتما على الثورة أن تحدد فترة للانتقال ٠٠٠ يتم خلالها تطهير الارض من الادران ، فيقف الشعب بعد ذلك فوقها آمنا لا تحوطه مؤامرة ، أو تتربص به الخديعة ٠

ان التاريخ يطوى اليوم صفحاته المليئة بالذل والارهاق والضياع ، يطويها ليفتح صفحات أخرى ، يسجل فيها بدء حياة جديدة لشعب منتصر ، متحرر كريم ، أراد أعداء الانسانية وقف زحفه فهزموا ٠٠٠ وتشتتوا ٠٠٠ واجتاحهم الطوفان الكبير !

لا حزبية ٠٠

فالشعب هو الحزب الكبير ٠٠

لا زعامات مصنوعة ٠٠

لا زيف ولا باطل ٠٠

بل مجتمع اشتراكي متحرر وحكم قومي لايشوبه طغيان ٠ قلنا هذا الكلام مرات عديدة ٠٠ قلناه تحت هذا العنوان الجليل ٠٠٠ لكن المزيفين كانوا دائما يجدون ما يشوهون به الصيحة الطاهرة المخلصة النابعة من أعماق الشعب ٠

واليوم ٠٠ ماذا سيقول المزيفون ، بعد أن أصبحت البلاد ملكا خالصا لابنائها ٠٠ لكل الابناء ! ؟

ماذا سيقول المزيفون والشعب قادم ٠٠ والشعب منطلق ٠٠ والشعب منتصر ! ؟

ان الرئيس جمال عبد الناصر قد أطلقها صيحة تنبض بالفرحة والانتصار .. صيحة تحمل الامل الكبير المضىء للشعب ، والنذير لاعدائه ..

فمن أراد أن يحيا فى كنف الحكم القومى وفى مجتمع اشتراكى لا تفصل بين طبقاته فوارق شاسعة ..

من أراد هذه الحياة التى تمجد الانسان وتخدم ارادته وعمله وكفاحه .

من أراد الحرية والعدل والحق ..

من أراد الشرف والعمل الكريم والامن والرخاء ..

من أراد أن يمضى فى طريق لايعترضه فيه باطش أو مستغل أو مستبد ..

من أراد أن يصنع مستقبله فى حمى الاشتراكية ..

من أراد أن يرفع رأسه بين العباد ..

كل هؤلاء عليهم اليوم أن يصلوا شاكرين للاله القادر العادل رعايته التى حمت الثورة المصرية حتى أتمت زحفها الكبير .. !

« أنور السادات »

ما هي السياسة
وما هي الديمقراطية ؟!

ما هى السياسة ! ؟

هــل هى علم يدرس ، مثل الميكانيكــا ، أو مثـــل الطب والكهرباء ، فينبغ فيها الاذكياء ويتبحر فيها ذوو المواهب ويمارسها اصحاب الكفاءات ويعرف أسرارها خريجو المعاهد التى تدرس فيها السياسة كما يدرس الطب والكهرباء ؟ ..

ولكى نناقش المسألة ببساطة أكثر أقول : هل السياســـة مهنة أو حرفة يمارسها المرء ، مثلما يمارس أى عمل آخر ، تخصص فيه وفهم قواعده ؟

اذا قال لك احدهم أن فلانا هذا سياسى داهية ، وألمعى لا يشق له غبار ، فلا تستمع على الاطلاق لهذا الكلام ، لان السياسة ليست حرفة يجيدها انســان ويفشـــل فيها آخر ، أو يصبح عالما بخباياها !

وصحيح انه توجد فى كل بلاد الدنيا معاهد تدرس فيهــا السياسة وعلوم السياسة ، لكن تلك المعاهد لايتخرج منها ساسة على الاطلاق .. بل يتخــرج منها موظفون يحدد لهم العمل الذى يقومون به ويظل عملهم ثابتا لايتغير ، بينما العالم من حولهم يدير شئونه ويغير من نظمه .

السماسة الحقيقيون

فمن هم الساسة الحقيقيون هؤلاء ! ؟

انهم الشعب ..

فالسياسة هى الحاجة .. والشعور بالحاجة هو الذى يدفع المرء الى الكفاح من أجل تحقيق حاجاته .. هنا تصبح المسـألة سياسة !

فلا المعاهد ولا كل مدارس الدنيا يمكنهـا أن تحدد حاجات الناس .. الذى يحدد هذه الحاجات هم أصحاب الحق فيها !

وعندما يقود أحد أبناء الشعب بلاده فى طريق الديمقراطية ـ مثلا ـ وينجح فى قيادته تلك ، ويحقق الانتصـارات دواما ، فليس معنى هذا ان ذلك الزعيم سياسى لا يشق له غبار ، وعالم متبحر أزرق الناب ،معنى هذا أن هذا القائد يعرف حاجات الشعب الذى يقوده ، ويعرف مصالحه ، ويعرف أعداء هـذا الشعب الذين يقفون فى طريقه ..

ومعرفة الحاجات والمصالح والاعداء لا تحتاج الى دراسـة فى معهد أو دبلوم من الجامعات .. بل تحتاج فقط الى العيش وسـط المجموعة وهى تمارس كفاحها اليومى من أجل الرزق .. أى يجب أن يكون القائد من نفس الطبقة التى تمثل أغلبية هذا الشعب ، وتمثل حاجات ومصالح وأهداف هذه الغالبية .. التى عاش بينها ومارس معها الكفاح اليومى ، فشعر بمشاعرهم ، وفهم أهدائهم ، وآمن بها لأنها أهدافه هو ، وتجرع كل حقيقة سيطرت على حياة هذه المجموعة .. لأنها هى نفسها حياته هو .. !

فاذا أراد تحقيق هذه الحاجات ، وسـعى الى تلك الأهداف

ومضى حتى النهاية فى هذه الطريق فهنا ٠٠ وهنا فقط يقال أن فلانا هذا ٠٠ سياسى ٠٠ !

أى أنه يعمل من أجل الشعب ٠٠

السياسة هى الشعور بالحاجة

السياسة ــ اذن ــ هى الشعور بالحاجة ، وممارستها ، لاتكون بتلقى العلوم عنهــا فى المعــاهد والجامعات ، بل تكون بالرغبة والاصرار والنضــال من أجل تحقيق حاجــات الناس ٠٠ أى الثورة ٠٠ !

فقبل ٢٣ يوليو المشهور كان يوجد فى مصر رجال قالوا عنهم أنهم زرق الأنياب ، وساسة دهاة تلقوا علم السياسة فى جامعات أوربا ومعاهد لندن ٠٠ وبالرغم من هذا لم يستطع هؤلاء الا أن يصنعوا شيئا واحدا ٠٠ هو العمل جنبا الى جنب مع أعداء البلاد !

فهم ــ اذن ــ كانوا خونة زرق الأنياب وليسوا سياسيين ، هم لم يشعروا بحاجات الشعب ، ولم يؤمنوا بالشعب ٠٠ !

هل عرفت ما هى السياسة ٠٠!؟

انها الحاجة ٠٠

فاذا حاولت تحقيق حاجاتك ومضيت فى هذه الطريق حتى النهاية فأنت سياسى ٠٠ أزرق الناب ، ولا يشق لك غبار !

ما هى الديمقراطية !؟

أغلق على نفسك الباب ، وانفرد بنفسك دقـائق قليلة ، ثم وجه اليها هذا السؤال : ما هى الديمقراطية !؟

لكن قبل أن تفعل ذلك نود أن نعرف من أنت !؟

فربما كنت من تلك الفئة التى لا تعنيهـــا الديمقراطية على الاطلاق ، بل الذى يعنيها هو تغليب مصالحها على مصـالح أغلبية الشعب ٠٠

بصراحة يجب ألا تكون اقطاعيـا ، أو من حملة الرتب ٠٠ باشا مثلا ٠٠

ويجب ألا تـكون من حـكام أسرة محمـد على ٠٠ والانجليز

ويجب ألا تكون من حاشية ذلك العهد وحوارييه ٠٠

يجب ألا تكون منتميا الى الفئة التى استفادت من وجـــود الاحتلال ، ومن وجود الباشوات ، ومن وجود الرجعية ٠٠٠ أعنى أعداء التطور !

وأخيرا لكى تجيب على هذا السؤال اجابة صحيحة دون أن تخطىء أو تتجنى ، عليك أن تكون أحد أفراد الشعب الذين قاسوا من العهد الماضى ٠٠ أى تمثل غالبية الشعب ٠

بعد ذلك حاول أن تجيب على السؤال ٠٠ ما هى الديمقراطية؟

الديمقراطية بالنسبة لك أيها المواطن الذى لا تجد عملا ٠

الديمقراطية بالنسبة لك أيها المواطن الذى لاتجد علاجا ٠

الديمقراطية بالنسبة لك أيها الفلاح المريض الكادح المعروق ٠

الديمقراطية بالنسبة لك أيها العامل المتطلع الى الضمانات والمكافأة المجزية ٠

الديمقراطية بالنسبة لك أيها الموظف صاحب الاسرة ، وصاحب الآمال العديدة فى التعليم والصحة والأمن ٠

الديمقراطية بالنسبة لكل الطبقات التى استغلت ، لمصلحة أفراد قلائل ، عاشوا فوق أرضنا خونة ومترفين وخاملين ومخادعين ٠٠ !

أجل ٠٠ ما هى الديمقراطية بالنسبة لنا نحن الشعب ٠ !؟

هل أجيب أنا على السؤال نيابة عنك يا صاحب الحاجة أيها العامل وأنت يا فلاح ، ويا طالب الحق المسلوب !؟

الديمقراطية بالنسبة لكم هى تحقيق مصالحكم ، لا مصالح الأقلية ٠٠ !

الديمقراطية هى انتزاع الحقوق المسلوبة ، واسترداد الأرض من غاصبيها ٠٠ !

الديمقراطية هى التخلص من القيود ، تلك التى كانت فى رقابنا ، وحول أذرعنا ، وعقولنا أيضا ٠٠ !

الديمقراطية هى استقلال الوطن ، وسيادة الأمة ، والمساواة والعدل ، هى تقرير المصير ٠٠ !

وفي اللحظة التي قامت فيها ثورة ٢٣ يوليو ، كانت الديمقراطية هي الطريق ، طريق هذه الثورة الذي اتجهت اليه بكل ما تملك من رجال وسلاح وايمان ..

لأنها لم تكن ثورة خاصة بفئة معينة ، بل هي نفس الثورة المصرية التي قامت من قديم ، وهدفها التخلص من أعداء الشعب، واقرار الحق والعدل والمساواة ، وسيادة الأمة .

نحو الديمقراطية

من أجل هذا مضت الثورة المصرية بعد انتصارها في ٢٣ يوليو بخروج الجيش الى المعركة .. جنبا الى جنب مع الشعب .

أقول مضت نحو الديمقراطية دون تردد .

وكان عليها لكي تحقق هذه الديمقراطية ، ولكي تعلن الدستور المتضمن نصوصها وأسسها جميعا ، أن تتخلص أولا من أعداء الديمقراطية أي أعداء الدستور ، وهم أعداء الشعب .

وكان العدو الأول هو الملك .. بل هي الأسرة التي كانت تحكم ..

وانتصرت الثورة على العدو الأول .. وبهذا أرست الثورة أولى قواعد الديمقراطية ..

ثم كان جلاء القوات المحتلة عن بلادنا هو الانتصار الثاني للثورة .. بل للديمقراطية ، أما الانتصار الثالث للديمقراطية فكان قانون الاصلاح الزراعي ..

وبعد ذلك مضت الثورة ترسي قواعد النظام الديمقراطي الذي سيسود البلاد ، بعد فترة الانتقال ، وتعد له الضمانات التي تكفل قيامه وحمايته وازدهاره ..

ولم يكن رفض الثورة الارتبـــاط بحلف عسكرى مع الدول الكبرى الا ايمانا بالديمقراطية ، والتصميم على قيامها فى جمهورية مصر ..

ذلك لأن الحلف العسكرى كان سيجعل الشعب وأرض الشعب وموارد الشـعب فى خدمة مصـــالح تلك الدول الكبرى وتحقيق المنافع لها .. !

وفى ظل الحلف العسكرى المذكور كانت مصر ستصبح دولة تابعة ، والديمقراطية من المحال ارساء قواعدها وتحقيق مضمونها ، الا فى الدولة التى لا تخضع لسيطرة أجنبية ، أو لتوجيه من خارج حدودها .. !

اصرار الثورة اذن على موقفها من الحلف العسكرى ، كان الغرض منه حماية النظام الديمقراطى الذى ستحكم به مصر بعد فترة الانتقال ، وبالتالى حماية مصالح الشعب ..

ويوم أن أعلن الرئيس جمال عبد الناصر عن صفقة الأسلحة المشهورة ، لم يكن ذلك يعنى أن جيش مصر قد زاد عتاده ، أو أن جيش مصر قد أصـــبح أقوى الجيوش ، بل كان معنى ذلك ، أن جمال عبد الناصر يعد البلاد للحكم الديمقراطى ، على أسس متينة قوية ..

لقد واجهت الثورة مشكلة تسـليح جيش الشـــعب بعزم مستمد من ارادة هذا الشعب ومن وحى أهدافه ..

طلبت الثورة السلاح لجيشها من أمريكا ومن انجلترا ومن فرنســـا ومن كل مكان ، ورفضت أمريكا وسـاومت ، وترددت انجلترا ، ثم أعطت وعودا لا حصر لها ..

وفى الوقت نفسه أعطوا اسرائيل ما تريده من سلاح ..

كان السـلاح هو « الكرت » الأخير في يد الدول الكبرى ، للضغط على مصر ، ومحاولة السيطرة عليها ، والتمكين لنفوذهم فيها ..

ومعنى ذلك أن مصر كانت ستخضع للسـيطرة الأجنبية ، ثم التدخل والتوجيه من الخارج .. وبهـذا يصبح من المحال أن تحقق الثورة المصرية هدفها .. وهو الديمقراطية الصحيحة ..

ويوم قرر جمال عبد الناصر أن يحرق هذا « الكرت » الذى تدخره الدول الكبرى للضغط والسيطرة علينا .. ويوم أن قرر شراء السلاح بدون قيد ولا شرط ، من الدول التى قبلت بيع كل ما نحتاجه من سلاح بلا قيد ولا شرط .. بلا بعثات عسـكرية ووثيقة أمن متبادل ، وخضوع لما تمليه مصالح الاجانب ، فى هذا اليوم سجل التاريخ لجمال عبد النـاصر خطوة أخرى كبـيرة فى الطريق الذى يسلكه لارساء قواعد الديمقراطية فى بلاده .. !

لقد كان معنى عدم تسليح الجيش ، والوقوف ازاء مناورات الدول الكبرى موقفـا سـلبيا ، هو ان الثورة المصرية لن تجد السلاح الذى تحمى به أهدافها .. ثم حدودها التى تتاخم حدود أعداء اعتدنا منهم الغدر والضعة والأطماع !

صفقة الأسلحة اذن ، التى عقدتها مصر بلا قيـد ولا شرط مع دول أخرى لم تناور ولم تحاور ، حطمت بهـا الثورة التدخل الأجنبى ، والسـيطرة الأجنبية والمناورات كلهـا فى وقت واحد وبضربة واحـدة .. ومعنى ذلك هـو أن مصر تمضى فى طريق الديمقراطية .. والا فكيف كانت الديمقراطية ستجد أرضا تنبت فيها وتزدهر ، وهـذه الأرض لا تحميهـا قوة تفوق قوة الاعداء المتربصين بهذه الأرض .. والطامعين فى السيطرة عليها .. !

وبعد هذا .. بعد القضاء على أسرة محمد على ، وبعد جلاء

القوات المحتلة ، وبعد القضاء على الاقطاع ، وبعد ابعاد السيطرة الأجنبية برفض الحلف العسكرى ، وبعد حرق « الكرت » الأخير فى أيدى الدول الكبرى للضغط علينا ، بعد صفقة الاسلحة ، وبعد أن أصبح لمصر جيشها الوطنى القوى الذى سيحمى الحدود والأهداف .. وثورة الشعب ، أعلن جمال عبد الناصر الدستور الجديد للجمهورية المصرية ..

لا ديكتاتورية

لا ديكتاتورية اذن ولا حكم فرد ، ولا سيطرة لطبقة على طبقات ، ولا مصلحة الا مصلحة الشعب .. !

ان الخطوات التى تمت خلال أعوام الانتقال ، لم تكن لتمهد على الاطلاق الا لشىء واحد .. هو الدستور الذى يجعل الديمقراطية السليمة مصونة من كل سوء ! والا فما معنى أن تتم كل هذه الخطوات الجبارة نحو التقدم والتحرر !؟

هل تمت لكى يتمكن الباشوات والاجانب والخونة وعملاء الاستعمار والانتهازيون من حكم الشعب !؟

أم هل تمت لكى يسود الظلم والاستغلال والبطش بالحقوق !؟

أم لكى تفسح الطريق للسيطرة الأجنبية والتدخل فى شئون الشعب .. ؟

انها خطوات تمت للتخلص من كل هذا ، وللقضاء على كل هذا ..

لأن الديمقراطية هى حماية مصالح الشعب ..

هل عرفت اذن ما هى الديمقراطية !؟

انت أيها العامل ويا فلاح ، ويا صاحب الحاجة ، ويا طالب الرزق والعلم والصحة والأمن !؟

افتح الآن الباب واخرج الى الطريق ، فلن يقطع عليك الطريق عدو من هؤلاء الذين بطشوا بك فى الماضى ..

لا سبيل أمام الاعداء للبطش بك أو بحقوقك فى كنف النظام الجمهورى .. الديمقراطى !

الثورة والديمقراطية

عاصرت كما عاصر أبناء هذا الشعب تفسيرات مختلفة متباينة لكلمة الديمقراطية طوال ربع قرن مضى ، بل حتى اليوم ..

ففى الماضى كان فاروق يطلق على نفسه الحاكم الديمقراطى .

ورأينا كيف كان تفسيره لهذه الكلمة حين اتضحت الحقائق المخزية فى محاكمات محكمة الثورة . وكيف أن الملايين من أبناء هذا الشعب كانوا لا يجدون القوت الضرورى فى الوقت الذى توافق فيه الحكومات المتتالية ـ من جميع الاحزاب والرجالات والزعماء ـ على انفاق مليون ونصف مليون من الجنيهات على اصلاح وتزويق مركب يسعد فيه فاروق بالسفر والرحلات .. لقد اعتمد هذا المبلغ بوساطة برلمانات الشعب التى كانت تمثل الأغلبية حينا والأقلية حينا آخر ..

وبعد أيها القارىء .. أليست هذه البرلمانات وذلك اللون من الحكم هو الديمقراطية ؟ ..

وكان فاروق الحاكم الديمقراطى يحكم هذه البلاد من أقصاها الى أقصاها بوساطة خادمه الأمين .. ولذلك رأينا حكامنا الأفاضل يحنون الجباه لهذا الخادم ، بل أن واحدا من أولئك الرجال ـ وهو مصطفى النحاس ، الذى كانت البلاد تأمل أن يكون على يديه الخلاص فى يوم من الأيام ـ لم يتورع عن أن يؤكد ولاءه لفاروق الحاكم الديمقراطى ـ فى نظره ـ بطريقة فذة فى ذاتها حين طلب أن يقبل

يده وهو زعيم الأغلبية في ذلك الوقت ، والذى أسفرت الانتخابات عن فوزه على خصومه فوزا ساحقا .. ثم أتبعها بما لا يخرج عن الكفر حين توجه ببصره وقلبه فى رمضان الى كابرى ، حيث يلهو فاروق ، وطلب من المصريين أن يتوجهوا الى هذه القبلة الماجنة فى خشوع وولاء ..

أليست هذه تفسيرات للديمقراطية .. عاصرناها جميعا وانتهت بهذه البلاد الى الدرك الذي كاد يودي بكل شىء فى هذه البلاد لولا قيام هذه الثورة .. ؟

وفى الماضى القريب ، بل القريب جدا ، سمعت وسمع معى الشعب بأكمله وسمعت شعوب كثيرة ، أقول سمعنا تفسيرا جديدا لهذه الكلمة المظلومة فى محاكمات محكمة الشعب على لسان أقطاب جماعة الاخوان المنحلة ..

فقد قاموا يدبرون انقلابا داميا مسلحا بالقتل والنسف والخطف ، وحين أراد أحدهم أن يبرر هذا العمل قال انه فى سبيل اقامة الديمقراطية ! .. ديمقراطية من نوع جديد يسيطر فيها جهاز سرى على رقاب العباد من أبناء البلاد ــ تماما كما يسيطر على أفراد الحزب لصالح رجل واحد ــ هو المرشد العام المقدس ..

وكان أبرع تفسير لهذه الكلمة هو ما لجأ اليه محمد نجيب حين أراد أن يبرر سبب قبول مجلس الثورة لاستقالته فى فبراير ١٩٥٤ ، فراح يؤكد انه كان ينادي بالديمقراطية ، ومجلس الثورة بأكمله لا يريد الديمقراطية !!

والعجيب أن هذا التفسير انطلى على كثيرين وأصبح نجيب فى نظرهم بطل الديمقراطية العظيم ..

وانى لأذكر جيدا كيف أنه بعد أن عاد نجيب فى فبراير

١٩٥٤ ، وكنا قد بلونا طريقته في أن يجلس بيننا في مجلس الثورة فيقر ما نقر ثم يخرج فيشيع في كل مكان أنه لم يوافق على كذا وعارض في كيت ، بحيث أخرج الإخوان وقتها أسطورة الأب الشفوق الرحيم • وأظن قرائي يذكرون مقالتي التي نشرتها في حينها وتحدثت فيها عن نجيب يوم أن صدر قرار محكمة الثورة بسجن فؤاد سراج الدين ، فذهب اليه اخوته قبل التصديق على هذا الحكم بوساطة مجلس الثورة فما كان منه الا أن بكى معهم وقال : « ان قرار المحكمة ظالم وان سراج الدين بطل من أبطال الوطنية » • ثم جاء الى مجلس الثورة وكانت أمضاؤه على التصديق أول امضاء تجدونه محفوظا لدى المحكمة الى يومنا هذا ••

أقول كنا قد بلونا طريقة نجيب هذه فلم نعقد اجتماعات مجلس الثورة بعد عودته ، كما كنا نعقدها في الماضي وحدنا ، وانما جعلناها اجتماعات للمؤتمر المشترك لكي يجلس معنا الوزراء جميعا • فقد كانت الأحداث في ذلك الوقت تمس السياسة العامة التي هي من اختصاص المؤتمر المشترك •

وأذكر جيدا تلك الجلسات المتتابعة التي عقدناها في دار البرلمان ومعنا جميع الوزراء وكانت أولاها يوم أن جاء سليمان حافظ الى جمال عبد الناصر بما سماه طلبات محمد نجيب • وقد كانت تتلخص فيما يأتي :

١ ـ حق الفيتو على قرارات مجلس الثورة مع اعطائه الحق في حضور جلساته •

٢ ـ حق الفيتو على قرارات مجلس الوزراء مع اعطائه الحق في حضور جلساته •

٣ ـ حق تعيين قواد الوحدات في الجيش ابتداء من قائد كتيبة وما يماثلها من باقي الوحدات ••

٤ ـ جميع تنقلات الضباط وانتداباتهم تكون بواسطته ·

٥ ـ على الجيش أن يحلف يمين الولاء لشخصه وأن يوقع الضباط ومجلس الثورة على وثيقة بهذا القسم ·

٦ ـ ألا يرشح مجلس الثورة عند عودة الحياة البرلمانية للبلاد أحدا لرئاسة الجمهورية غيره ، وأن يضمن له كرسى رئيس الجمهورية ·

وجلسنا فى دار البرلمان على هيئة مؤتمر مشترك ولم يحضر محمد نجيب وعرض سليمان حافظ هذه الطلبات على المجتمعين ، وتكلمنا أمام الوزراء فى ان هذه الطلبات تعنى فرض ديكتاتورية تهون أمامها ديكتاتورية فاروق الحاكم الديمقراطى ، وإننا لم نقم بهذه الثورة لكى ينتهى الأمر بالبلاد الى دكتاتورية محمد نجيب أو أى شخص خلاف محمد نجيب ·

وتكلم الوزراء مستنكرين هذا الوضع وطلبوا أن يحضر محمد نجيب لكى تناقش هذه الأمور معه · فقام سليمان حافظ الى التليفون واتصل بمحمد نجيب وأبلغه رغبة المجلس فى أن يحضر وفعلاً حضر ·

وبدأت المناقشة من جديد بحضور محمد نجيب ·

وتكلم جمال عبد الناصر وأبدى وجهة النظر هذه فيما يختص بالديكتاتورية التى يريد نجيب فرضها واستحالة الموافقه عليها · وأنهى كلامه بأن هناك أحد حلين لا ثالث لهما :

الأول : أن يعود محمد نجيب الى رئاسة مجلس الثورة وتسير الأمور كما كانت على شرط أن تنتفى الأسباب التى من أجلها قبل المجلس استقالة محمد نجيب فى فبراير والتى تتلخص فى طلباته التى حملها لسليمان حافظ ·

الثانى : اذا لم يقبل ذلك محمد نجيب فالمجلس لا يقبل بتاتا هذه الديكتاتورية ويكون الأصوب بدلا من أن نختلف أن تجرى انتخابات فورا وأن تسلم البلاد الى الحزب الذى يفوز فى الانتخابات بصرف النظر عن ماهية ذلك الحزب · ولكننا لن نقيم بأيدينا ديكتاتورية بعد أن حطمناها ·

وهنا يجب أن أقف قليلا ··

فقد رفض محمد نجيب أن يعود أول الأمر الى رئاسة مجلس قيادة الثورة بحجة أن هذا المجلس مكروه · ورفض أيضا أن يتنازل عن طلباته التى أرسلها مع رسوله سليمان حافظ ··

أما فيما يختص بالحل الثانى ، فقد طلب أن يناقشه قبل أن يبدى رأيه فيه ·

ولما طلب تفصيلات عن هذا الحل قال جمال عبد الناصر : ان هذا الحل يعنى أننا يجب أن نعلن اليوم انهاء الاحكام العرفية واباحة تشكيل الاحزاب وترك كل شىء كما كان قبل الثورة لكى تجرى الانتخابات ويتسلم الحزب الذى يفوز زمام الحكم ·

وهنا استفسر نجيب عن وضعه فى هذا الحل فقال له جمال : سيكون كوضعنا تماما ، فسوف نعتزل الحكم ، ومن يريد أن يدخل الحياة السياسية فى البلاد فليدخل وكل واحد حر ··

وهنا ظهرت براعة نجيب كبطل من أبطال الديمقراطية ·

فقد رفض أن يوافق على هذا الحل · وطلب مناقشة حل فرعى آخر هو أن يحتفظ برئاسة الجمهورية وأن يشكل وزارة مدنية برئاسته أيضا الى جانب رئاسة الجمهورية ويبقى مجلس الثورة ولكن بشروطه التى طلبها وهو أن يكون له حق الفيتو على قراراته ·

كان نجيب يطلب هذا فى نفس الوقت الذى كان يشيع فى كل مكان داخل القطر وخارجه ان موضوع الخلاف بينه وبين مجلس الثورة هو الديمقراطية .. وملأت تصريحاته فى هذا الشأن الصحافة فى كل مكان .

وهذا تفسير جديد للديمقراطية ..

فكل ما كان يعنى نجيب هو أن يحتفظ برئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة معا الى يوم القيامة حتى ولو كلفه هذا أن ينادى أمام الشعب بالديمقراطية والجمعية الاستشارية لكى يصبح فى نظرهم بطلا من أبطال الديمقراطية فى سبيل الوصول الى أغراضه ..

هذه ألوان من التفسيرات لكلمة الديمقراطية المظلومة فى بلدنا الطيب ..

ترى ما هو التفسير الذى تريده الثورة لهذه الكلمة ؟ ..

وهل هذه الثورة تريد الديمقراطية أم تريد الديكتاتورية ؟

وهل حكومة الثورة فى يومنا هذا حكومة ديمقراطية أم هى حكومة ديكتاتورية أم هى نوع من الحكم خلاف كل هذا ؟ ..

الثورة ديمقراطية أم ديكتاتورية ؟

حديث الديموقراطية طويل ، وهو حديث الناس جميعا اليوم بلا جدال . ولكن كانت هناك اشاعات تستهدف اثبات أمر معين ، وهو أن الديموقراطية لها أعداء فى مصر ، وأن مجلس قيادة الثورة هو عدوها الأوحد .. !

الناس جميعا يطلبون الحرية ، ونحن فقط الذين ننفر منها ونبغضها ولا نؤمن بها !

جمال عبد الناصر وكل واحد من أعضاء المجلس ليس الا ديكتاتورا تتلمذ على الفاشيين ويريد أن يحكم بالكلمة المجردة !

أليس هذا هو ما يريده تجار الاشاعات ؟

وياله من موقف تاريخى عجيب !

ان الحريات وكل مقومات الديموقراطية قد ضاعت من شعب مصر ·· اغتصبها منه جمال عبد الناصر ورفاق جمال عبد الناصر

كان الشعب حرا فاستعبد ··

كان الشعب فى مصر يستمتع بكل حقوق البشر منذ آلاف السنين وجاء جمال عبد الناصر ورفاقه يوم ٢٣ يوليو المشهود من عام ١٩٥٢ ، وفى ذلك اليوم من العام المذكور تم تجريد الشعب المصرى من حقوقه كلها التى كان يستمتع بها فسلب منه رغد العيش واستقرار الحال !

كانت فى مصر قبل ٢٣ يوليو ديموقراطية يعيش الشعب فى كنفها سعيدا حرا ، ويباشر فى ظلها سلطاته المقدسة ، ويجد الملايين من أبنائه فرصا متساوية ، وكانوا جميعا ينعمون فى ديارهم بتلك الديمقراطية ثم جاء ٢٣ يوليو فكان مشئوما ، فقد فيه الشعب كل شيء !

جاع وتعرى واضطهد وعذب ولم تعد له حقوق ·· لأن الديمقراطية ذهبت ، وجاءت الديكتاتورية ··· جاء الطغيان والاستبداد ·· والحكم المطلق !

أليس هذا هو مايريده تجار الإشاعات من تصوير للموقف ؟

وهو موقف تاريخى عجيب كما قلت ..

لكن لماذا نظلم التاريخ ، والخصوم هم الذين يقولون هذا الكلام ؟ وسوف يقولون أكثر منه طالما أن الذين يحكمون البلاد الآن لايبيحون لهم ما كان يبيحه لهم النظام الذى سقط

نحن اذن أعداء للديموقراطية ، كما هو واضح من كلام هؤلاء ، ومعنى هذا أن الشعب فى مصر لن يحكم حكما ديموقراطيا الا اذا أباح لهم ما كان يبيحه لهم النظام الذى سقط فاذا رفض فهو يناصب الديمقراطية العداء . ويريد أن يبطش بالشعب .

وجميل جدا أن يطالب اناس فى بلد ما حكومة هذا البلد بالحريات والديمقراطية ، فهى حقوق مشروعة ، يكافح الانسان من أجلها ، ويبذل دمه فى سبيل الحصول عليها .

لكن ما رأيكم يا طلاب الديمقراطية فى مصر .. ويا أبطال الكفاح الشعبى ويا من تلطمون خدودكم حسرة على الشعب المصرى الذى جرده جمال عبد الناصر ورفاقه من كل الحقوق يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، أقول ما رأيكم دام فضلكم فى أن الحكومة القائمة الآن فى البلاد ليست حكومة بالمعنى المتعارف عليه .. بل هى ثورة !

ومطالبة هذه الحكومة بالحريات والانتخابات والدستور وكل الحقوق معناه أن قيادة الثورة ليس لها وجود لأنها ـ اى القيادة ـ من المحتم عليها أن تحقق ـ هى ـ للشعب ما يطالبه بأسلوبها الذى بدأت به عملها التاريخى .. لأنها ثورة كما قلت وليست حكومة !

ثورة لانها لم تستدع ليتولى قادتها الحكم بناء على أمر من « ولى العهد » كما كان يقضى نظام الحكم الذى كان قائما ! بل

تولت ـ هى ـ الحكم لتقلب ذلك النظام وتغيره .. وقد فعلت !

ليس جمال عبد الناصر ورفاقه اعضاء حزب من الاحزاب يحكمون مصر فيطالبهم البعض بكذا وكذا ... لا

ان جمال عبد الناصر ورفاقه ليسوا حكاما ... بل قادة لثورة ... والفرق كبير بين الثوار والحكام !

والثورة لها اهداف حققت بعضها ... وباقى الأهداف سيتحقق قطعا على مر الايام ... طالما ان الثوار يتولون زمام الامور ، ولا أقول الحكم ٠٠ بل انى أعلنها أكثر صراحة أن جمال عبد الناصر ورفاقه يمكن أن يقبلوا أى شيء ما عدا شيئا واحدا .. وذلك الشيء هو انهاء الثورة .. قبل أن تتحقق كل اهدافها !

ولا اريد أن اكرر واعيد فأتحدث عن أهداف الثورة ... فقد تحدثنا عنها كثيرا جدا ٠٠٠ فلم تعد خافية على أحد !

ومن بين تلك الاهداف .. بل هدف الثورة الأخير واملها الضخم هو ارساء أسس النظام الديمقراطى الذى يجعل الشعب يحكم نفسه بنفسه

واذن ماهو التفسير الذى تريده الثورة لكلمة الديمقراطية ؟

واقول : ان الثورة تفسر الديمقراطية بأعمالها وبخطواتها التى تتم فى العلن

الثورة تفسر الديمقراطية يالكفاح العملى من أجلها

فهى عندما تقضى على النظام الملكى العفن ، وترسى قواعد النظام الجمهورى فتلك خطوة نحو الديمقراطية كان الشعب حتما سيخطوها لو لم تقم الثورة فى ٢٣ يوليو ... وكان سيخوض معركة دموية حتى يتهاوى ذلك النظام العفن ، ولكن

جمال عبد الناصر ورفاقه حقنوا تلك الدماء ... باعتمادهم على الجيش فى هدم ذلك النظام ... سلميا ... أو بالقـوة ان كان الامر استدعى قوة !

والثورة تفسر الديمقراطية بالقضـــاء على الاستعمار ... ففى تحطيمه خطوة كبرى نحو الديمقراطية يخطوها الشعب وقد كان الشعب سـيخطوها حتما ذات يوم ... وكان سـيضحى بالآلاف من ابنائه فى ساحة المعركة المجيدة لو كانت قد نشبت.. لكن جمال عبد الناصر ورفاقه وفروا على الشعب أرواح شبابه واطفاله ونسائه وشيوخه ... وتم جلاء القوات المحتلة ـ سلميا ـ تماما مثلما تم جلاء فاروق بنفس الطريقة .

بنفس الاسلوب الجديد الذى لم يسبق لثورة ما فى أى مكان من العالم أن اتبعته فى نضالها ... اذ أن ثورة مصر ظهرت قيادتها بين صفوف القوات المسلحة ... وضمنت وقوف تلك القوات وراءها ... والشعب ايضا وقف معها !

والثورة تفسر الديمقراطية بالقضاء على الاستغلال والظلم الاجتماعى .

والاقطاع كان يمثل فى مصر هذا الاســتغلال والظلم ... وقضت عليه ـ سلميا ـ بلا دم كان سيسيل فى القرى اذا كان الشعب قد خاض معركة مباشرة ضد الاقطاع فى عقر داره !
والثورة تفسر الديمقراطية بالوقوف فى وجه الارستقراطية المصرية التى كانت تحكم بأبنائها من الباشوات والبكوات والاساتذة السماسرة .. وحالت الثورة ـ نهائيا ـ بين هؤلاء وبين الشعب !
والثورة تفسر الديمقراطية بالقضاء على التعصب وحكم السمع والطاعة .. اى على الجماعات التى تريد أن تحكم باسم الدين .. لا باسم اى شىء آخر وقد حدث .. وتمت الخطوة الكبرى فى

سبيل الديمقراطية تلك خطوات الثورة التى فسرت بها الديمقراطية .

فما هو تفسير خصوم هذا النظام للديموقراطية ؟!

لسنا شيوعيين

تحدثت عن تفسير « الثورة » للديموقراطية ، وأوضحت مدى فهم مجلس قيادة الثورة لمسألة حكم الشعب .

وقلت ان جمال عبد الناصر ورفاقه ليسوا حزبا من الأحزاب التى تولت ـ أخيرا الحكم، ثم أصبح لزاما عليهم أن يخضعوا لنفس المؤثرات والعوامل والقيم التى كانت تسيطر على حكومات ما قبل ٢٣ يوليو .

قلت ان جمال عبد الناصر ورفاقه ثوار وليسوا حكاما .

اى أن جمال عبد الناصر ورفاقه ـ ما دام هذا وضعهم ـ يصبح من المحال مطالبتهم بشىء معين له علاقة بالاوضاع التى يجب أن تسود البلاد .

ولا أعنى أنه ليس من حق أحد ان يطالبهم بشىء معين ـ لا ـ بل أعنى أن مجلس قيادة الثورة الذى تولى حكم البلاد بعد أن قام بقلب نظام الحكم يجد نفسه امام أمر واقع لا مفر منه ، وهو الاستمرار فى قيادة « الثورة » التى قامت فى هذه البقعة من العالم يوم أن سقط النظام الملكى والمضى حتى النهاية فى عملية « قلب نظام الحكم القديم » واقتلاع جذوره من ارض البلاد ، مسالة اصبحت ضرورة تاريخية لا يمكن الخلاص منها .. لا بمنشور يحوى سبابا فى الثورة ، ولا بجهاز سرى يضم مجموعة من المشعوذين .

وسأناقش هنا بهدوء تام ، وبصراحة تامة ايضا مسألة عودة الحياة النيابية والدستور والحريات ·· الخ ·

سأناقش موضوع الديموقراطية التى يزعم ابناء العهد الماضى وخدامه أن جمال عبد الناصر ورفاقه اغتصبوها من الشعب المصرى يوم ٢٣ يولية عام ١٩٥٢ ··

ولعل هذا التعريف يعجب بعض الناس الذين يتهموننا بالفاشية ..

وأعود من حيث بدأت ، فأقول اننا لسنا شيوعيين ، بل لم نعرف ما هى معتقدات اتباع ماركس ولينين وستالين بالتحديد .. وبالرغم من هذا فانى أنقل هنا كلاما قاله أحد القادة الشيوعيين ، وذلك القائد يتزعم بلادا تزيد مساحتها على مساحة أوربا مجتمعة .. أعنى الصين عملاق آسيا الجبار ..

وفى الصين قامت ثورة ·· فكيف نجحت ؟!

هل لأن الذين قادوها من اتباع ماركس ولينين وستالين ، أم لانهم كانوا صينيين اولا وآخرا ؟

الرأى الاخير هو الصحيح .. بدليل أن ماوتسى تونج نفسه عندما أراد ان ينادى بمبادىء معينة لم يجد سوى مبادىء الزعيم الوطنى الصينى الكبير صن يات صن ... ولم يحدث أبدا فى الصين خلال قيام الثورة أن وقف فرد أو جماعة فى وجه قادة الثورة هناك ، وطالبوهم ببرلمان أو بدستور أو بحريات .

كانت كل الجماهير تتجه أولا وآخرا الى اقتلاع جذور النظام القديم الذى حكمت به الصين آلاف السنين ، ثم بعد ذلك يمكن أن يقام النظام الذى يتفق ومصالح الجماهير الشعبية ·

قال ماوتسى تونج، وهو يوضح موقفه امام الشعب الصينى:

« ان المجتمع الصينى الحالى ما زال مستعمرا وشبه مستعمر وشبه اقطاعى ، وان الاعداء الاساسيين للثورة الصينيه هم القوى الاستعمارية وشبه الاقطاعيــة .. وبما أن واجبات الثورة الصينية هى‌ان تحقق الثورة الوطنيةوالثورة الديموقراطية للقضاء على هذين العدوين ، وبما أن القوى اللازمة لهذا العمل تلقى أحيانا مساعدة البورجوازية الوطنية وجزء من البورجوازية الكبيرة ... ومع أن البورجوازية الكبيرة قد خانت الثورة وأصبحت عدوتها ، الا أن الثورة يجب ألا توجه ضد الرأسمالية على العموم أو ضد الملكية الرأسمالية ، وانما ضد الاستعمار والاحتكار الاقطاعى ، ونتيجة لهذا نجد أن طبيعة الثورة الصينية فى الوقت الحالى ليست الاشتراكية البروليتارية وانما الديمقراطية البورجوازية .. وهذا الطراز الجديد من الثورة يتحقق فى الصين ، وفى جميع البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة ويجب على الصين أولا أن تحقق هذه الثورة وليس غيرها ، واذا لم نصل الى تحطيم الافكار الرجعية فلا يوجد أمل فى الانتصار .. واذا وضعنا فى اعتبارنا الموقف الوطنى والدولى ، ومهما كانت الصعوبات التى نقابلها فى طريق المقاومة ، فان الشعب الصينى سيصل نهائيا الى النصر ..

ان وحشية القوى الظالمة فى الداخل والخارج قد سببت بؤس الشعب الصينى لكن ذلك البؤس اذا كان يمثل القوة الباقية للظالمين فهو يمثل أيضا اجرامهم الأخير ، ففى نفس الوقت يقترب انتصار الجماهير شيئا فشيئا ، تلك هى الحالة فى الشرق ... تلك هى الحالة فى العالم ».

انتهى كلام ماوتسى تونج ..

وأود أن يقرأ الشيوعيون فى مصر هذا الكلام ، فهم من بين الذين يتهموننا بالفاشية ...

وثورة الصين قامت بالدم ... خاض الشعب الصينى معارك هائلة طاحنة رهيبة وماتت مئات الالوف من شبابه وشيوخه ونسائه وأطفاله .

كانت الدماء فى الصين تجرى كالانهار فى السهول وفى القرى وحول المدن ..

وكان لابد أن يحدث هذا لكى تمضى الثورة الصينية فى طريقها المعلوم ... لان القوات المسلحة فى الصين لم تقم بالثورة ... فقيادة الثورة كانت خارج صفوف تلك القوات.

أما فى مصر فقد حدثت الثورة بأسلوب جديد .. وتولت قيادتها مجموعة من ضباط الجيش .. فحقنت الدماء .. ولم تتعرض مصر للخراب والنسف والموت .

ومضت الثورة فى طريقها المعلوم بلا دم ... وتولى جمال عبد الناصر رئاسة الحكومة لا باعتباره رئيسا لحزب مصرى معين أو باعتباره رجلا من رجالات السياسة ... بل باعتباره قائدا للثورة المصرية التى قامت فعلا فى البلاد وبدأت تعمل فى العلن لا فى السر كما حدث فى الصين ... ومن أجل هذا يخطىء الذين يطالبون جمال عبد الناصر ورفاقه بانتخابات أو بأى شىء ... فجمال ورفاقه يمثلون الثورة المصرية وليس الحكومة المصرية ... والوضع مختلف بين الثورة المصرية والثورة الصينية ..

ولكن الخلاف هنا فى أسلوب الثورة ... وفى قيادتها ... ففى الصين كانت الثورة دموية مسلحة ضد جميع القوى الاستعمارية والاقطاعية والرجعية ، وفى مصر كانت الثورة « سلمية » بيضاء .. لانها كانت مؤيدة بوقوف القوات المصرية المسلحة معها .. فاذا قررت الثورة المصرية تحقيق هدف من

أهدافها حددته فى الحال ، وعملت من أجله .. فاذا لم يتحقق الهدف سلميا ، كانت القوات المسلحة فى حل من استعمال القوة بتأييد من الشعب !

وهكذا مضت الثورة المصرية فى طريقها المحتوم .. فاذا وقف فى طريقها فرد أو جماعة وطالبوها – باعتبارها حكومة – بشىء ما ... كان الوضع غريبا وشاذا ويستحيل قبوله أو التسليم به ... لان قيادة الثورة هى التى تحدد ما تراه متفقا مع مصالح الشعب لا مصالح أعدائه !

ولنتصور – مثلا – تشانج كاى شيك يقف أثناء قيام الثورة الصينية ويطالب ماوتسى تونج بانتخابات وببرلمان وبحريات الخ ..

فبماذا كان سيفسر طلبه ؟!

هل يفسر بأنه موقف وطنى من تشانج كاى شيك ضد قوى الفاشية والديكتاتورية .. أم يفسر بأنه محاولة من تشانج كاى شيك لتعطيل الثورة الصينية ثم القضاء عليها بعد ذلك ؟!

وبالرغم من أننا لسنا شيوعيين ، فالموقف واحد فى الحالتين ، موقف مجلس قيادة الثورة من رجال السياسة والسماسرة والرجعيين فى البلاد ، الذين يريدون تصفية الثورة المصرية باجراء انتخابات فى الحال ، وبدستور فى الحال ، وبحريات فى الحال .. لكى يعودوا الى أماكنهم .

وتلك الاماكن أبعدتهم «الثورة» عنها .. فكيف اذن تعيدهم مرة ثانية ؟!

كيف تعيد الثورة الأوضاع القديمة ، والثورة لم تقم ولم يتعرض رجالها للموت الا من أجل القضاء على تلك الاوضاع ؟!

وقد أوضحت فى الفصل السابق موقف الثورة من الديمقراطية ، فقلت ان الثورة تفسر الديمقراطية بأعمالها ... تفسرها بالقضاء على الحكام الاغراب عن هذا الشعب والارستقراطية المصرية الممثلة فى الباشوات والبكوات والاساتذة السماسرة وتفسرها باقامة أسس صحيحة لنظام جمهورى سليم ، وتفسرها بالقضاء على العصابات الفاشية مثل جماعة الاخوان المسلمين ، وتفسرها برفع مستوى الفلاحين المصريين وهم الذين قامت الثورة من أجلهم بالتحديد .. لأنهم أغلبية الشعب !

ثم أخيرا تفسرها باعداد العدة لتصنيع البلاد وهى بلاد زراعية ..

وحتى تنتهى الثورة من تفسيراتها « العملية » للديموقراطية ستقرر فى الحال أن يحكم الشعب نفسه بنفسه .. لا بالهضيبى ولا بالبدراوى ولا بالنحاس ولا بسراج الدين .. ولا بأى فرد أو جماعة من تراث الماضى .. تراث ما قبل ٢٣ يوليو !

هذا هو تفسير الثورة للديموقراطية ..

أما ما هو تفسير الذين يتهموننا بالفاشية للديموقراطية فهو فى جملة واحدة : العودة الى الحكم !

تلك هى الديموقراطية فى رأيهم .. العودة الى الحكم أو يظل جمال عبد الناصر ورفاقه تلاميذ للفاشيين ! .

فكيف اذن يظهر جمال عبد الناصر ورفاقه أمام الشعب والعالم بمظهر الفاشيين ، وفى نفس الوقت يعمل جمال ورفاقه على تحطيم أسس الحكم المطلق ؟! .

حكم القصر والبدراوى وسراج الدين المشعوذين حفظة سورة آل عمران !؟

كيف أصبح الثوار طغاة ·· والطغاة أبطالا للحرية والديموقراطية !؟

كيف أصبح مجلس قيادة الثورة الذى عصف بالظالمين فاشيا يستمد أفكاره من هتلر وموسولينى وكل الطغاة وأصبح محمود أبو الفتح تاجر الرأى والسيارات بطلا شعبيا تماما مثلما أصبح حسن الهضيبى !؟

هذا هو موضوع الفصل التالى ·

الثورة والرجعية

كيف أصبح الثوار أعداء الظلم والاستبداد ديكتاتوريين طغاة وأصبح تجار الرأى والدين والوطنية أبطالا للديمقراطية ؟!

كيف حدث هذا ؟

كيف تقلب الأوضاع هكذا ؟!

وأين كان هؤلاء الأبطال قبل ٢٣ يوليو ؟!

لماذا لم يقودوا الجماهير فى ثورة تهدم صرح الظلم والطغيان ؟!

أين كان محمود أبو الفتح وحسن الهضيبى وسراج الدين والنحاس وكل القطيع السياسى الذى أصبح بعد ٢٣ يوليو رمزا للديمقراطية والحرية والوطنية والعدالة الاجتماعية ؟

أين كان الذين ينادون اليوم بالديمقراطية والحرية يوم كان يحكم البلاد ديكتاتور اسمه فاروق ؟!

لماذا لم يفعل محمود أبو الفتح مثلما يفعل الآن فى ربوع

أوربا ؟.. لماذا لم يقم الدنيا ويقعدها وينادى بتخليص البلاد من قبضة الحكام الطغاة والاقطاع والباشوات والسماسرة ؟!

ولماذا لم يعد حسن الهضيبى جهازا سريا مسلحا ينسف به قصر عابدين ورياسة مجلس الوزراء حيث كان يربض أعداء الشعب الحقيقيون وجلادوه ؟!

لماذا لم يترك سراج الدين سيجاره الضخم لحظة ، ليصرخ فى الناس أن قوموا لتحرروا مصر من هذا الاخطبوط الرهيب الذى يبطش بمصائركم ؟!

ولماذا .. ولماذا ؟!

لا توجد الا اجابة واحدة عن كل هذه الأسئلة .. وهى أن حكم أسرة محمد على والباشوات والسماسرة كان هو الحكم الديمقراطى الدستورى المجيد الذى يرضى عنه كل هؤلاء الساسة وأذنابهم وأعوانهم وخدامهم .

أما اليوم فهم فى محنة .. ويريدون أن يشترك الشعب معهم فى تقويض صرح الثورة التى قلبت نظام حكمهم ، وبطشت بمستقبلهم ، وأبعدت قبضتهم الدنسة عن رقاب ذلك الشعب !

واليوم هم أبطال الديمقراطية ، ونحن أعداء لها !

فكيف حدث هذا ؟!

مرة أخرى أقول انى سأناقش المسألة بهدوء تام وبصراحة تامة ، وسأحاول ضبط أعصابى وأنا أسجل الحقائق .. وهى حقائق كان من المفروض أن يعرفها الشعب فلا يكون فى حاجة الى من يذكره بها .. لكن الظروف كانت تحتم علينا نحن الذين ظهرنا فجأة على المسرح السياسى بلا مقدمات ، أقول حتمت علينا الظروف أن نسكت ونترك أبناء العهد الماضى يسموننا حكومة العسكريين ،

لا حكومة الثورة ، ونترك أذناب العهد الماضى يصفوننا بأننا حكام جدد ٠٠ ونحن أبعد ما نكون عن هذه الصفة ، فليس الذى يغير نظام الحكم هم الساسة والحكام ٠٠٠ بل هو الشعب ، ممثلا فى قيادته التى ظهرت فى ٢٣ يوليو ، وعزلت ملك البلاد ، سيد كل أبطال الديمقراطية وولى نعمتهم ، وصانع مجدهم !

سيد حسن الهضيبى الديمقراطى الحر ، وسراج الدين الدستورى العريق ، ومحمود أبو الفتح البطل الشعبى الباسل ٠

وكل ربيب للقصر والحكم الذى سقط هو الآن رائد للحرية وللديمقراطية وللدستور ٠ !!

أى لعنة يمكن أن تحل بمصر أكثر من هذه اللعنة ٠٠ وأى مصيبة كبرى يمكن أن تطبق على البلاد اذا ما سلمنا ببطولة ذلك القطيع السياسى الديمقراطى واصغينا الى هذيان أفراده ٠ !!

أقول : كيف حدث هذا ؟ ٠٠ كيف قلبت الأوضاع ومسخت الحقائق ٠ !!

اذن اسمعوا ٠٠٠

مرة أخرى أعود الى الصين ٠٠٠

الى حيث قامت ثورة وتغير نظام ٠٠ وأقيم حكم جديد

وأحب أن أقول اننى اخترت الصين بالذات ، لأن تلك البلاد عندما قامت ثورتها كانت مثل بلادنا ٠٠ مستعمرة فيها حكام خونة واقطاع واحتكار ٠٠ وذل وحفاة وعراة وجياع ٠

وعلى الرغم من أن الذين قاموا بثورة الصين تختلف معتقداتهم عن معتقداتنا ، الا أنهم ـ أى ثوار الصين ـ لم يصنعوا أكثر مما صنعنا ٠٠ حتى الآن ٠٠ فزعيمهم يقول :

« ان الاصلاح الزراعى هو المحور الرئيسى للثورة الديمقراطية الجديدة للصين » ٠

والاصلاح الزراعى فى الصين قضى على الاقطاع ولم يفعل أكثر مما فعلناه نحن بذلك العدو حليف المستعمر ٠

وقد وجد ثوار الصين من يقول لهم انتم طغاة ٠٠ أنتم تريدون ديكتاتورية !

كانت ثورة الصين تبطش بأعدائها دواما ٠٠ وكانت تمضى فى طريقها الملىء بالدم والبارود والدمار ولا أحد يستطيع أن يقف فى طريقها ٠٠ فالشعب معها ، والشعب شعر أنها قامت لتحرره لا لتجعله يؤمن بمعتقدات معينة !

ولو كان الشعب فى مصر قد خاض مع الجيش معركة مسلحة ضد القصر والاقطاع وكل أعداء الشعب لعرف أهداف الثورة فى الحال ولما وجد من يضلله أو يخدعه ٠٠٠ لكن الوضع فى مصر بالنسبة لقيادة الثورة كان مخالفا لوضع قيادة الثورة فى الصين فكان علينا نحن أعضاء مجلس قيادة الثورة أن نتجاهل ما يقال عنا ، وما يشيعه أعداء الشعب عن أهدافنا ٠٠ كنا نعتمد على الوقت ٠٠ فالأيام كفيلة بتوضيح أهدافنا وحقيقة ثورتنا ٠٠ لا المعارك ٠

وأعود الى الصين فأقول انه بالرغم من المعارك الدموية التى مرت بها الثورة فى الصين الا أن قادتها وجدوا من يقول عنهم انهم طغاة ويريدون ديكتاتورية ٠٠ وقال ماوتسى تونج بالحرف الواحد لأعداء الثورة :

« يقال لنا : تقيمون ديكتاتورية ٠٠ نعم يا حضرات السادة ٠ أنتم على حق فنحن بالفعل نقيم ديكتاتورية ، ان الخبرة التى تكونت

للشعب الصينى خلال عشرات السنين ، تبين لنا ضرورة اقامة ديكتاتورية تحرم على الرجعيين حق التعبير ، عن آرائهم ، فللشعب وحده حق التعبير ، وحق التصويت ، فمن هو هذا الشعب ؟!

في المرحلة الحالية يتكون الشعب من الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين، والبورجوازية الصغيرة، والبورجوازية الوطنية، وباتحاد هذه الطبقات تكونت حكومة لهم من أجل اقامة ديكتاتورية على خدام الاستعمار ، ومن أجل سحق الاستعمار وأعوانه والذين ارتبطوا بمصالحه ، فلا يسمح لهم بالتصرف الا فى داخل حدود معينة ، فاذا تجاوزوا تلك الحدود بالقول أو بالفعل فسيمنعون وسيعاقبون فى الحال ، فلا بد من تأسيس النظام الديمقراطى بين الشعب ، فيمنح حرية الكلام والاجتماع والتنظيم ، ولا يعطى حق التصويت الا للشعب دون الرجعيين ... فالديمقراطية للشعب . والديكتاتورية على الرجعيين . واذا لم نفعل هذا تنهزم الثورة وتقع الكارثة على الشعب ، وتفنى الدولة » .

هذا ما حدث فى الصين ...

والذى حدث فى مصر بعد ٢٣ يوليو هو أن مجلس قيادة الثورة كان حتما عليه أن يحمى الثورة أو بمعنى أكثر وضوحا يحمى الشعب من الرجعيين .. وكان أول اجراء قام به مجلس قيادة الثورة بعد ٢٣ يوليو هو عزل الحاكم فاروق .. فاذا كان طرد فاروق ديكتاتورية فليكن .. ونحن نفخر بها .

ثم كان أن قرر مجلس الثورة اسقاط النظام الملكى واقامة النظام الجمهورى ، فاذا كان ذلك ديكتاتورية فما أروع ذلك وما أعظمه وما أتعس الديمقراطية اذا لم تقف الى جانب الذين أسقطوا ذلك النظام .

واذا كان القضاء على الاقطاع ديكتاتورية فما هى الديمقراطيا اذن ؟ قولوا لنا يا فلاسفة هذا العصر ويا حكماء الزمان !

ان الثورة كان لا بد أن تمضى فى طريقها ·· كان لا بد أن تحقق للشعب حاجاته ، لابد أن تقضى على الظلم الاجتماعى والاستغلال والرجعية ، ويستحيل أن تحقق الثورة أهدافها ـ وهى بيضاء وليست دموية ـ الا اذا أخلى الطريق أمامها من كل الأعداء ·

فكيف يمكن ابعاد هؤلاء الأعداء من طريق الثورة ؟!

هل ببرلمان سراج الدين أو بدستور أحزاب الاقطاع أم بحرية الصحافة ··· صحافة « أبو الفتح » والأحرار الدستوريين وبقية الاذناب ؟!

أم بمعركة دموية يباد فيها كل الاعداء ··· كما حدث فى الصين ؟!

أعداء الثورة

تساءلت فى الفصل السابق عن الطريقة التى كان يمكن بها ابعاد الاعداء عن طريق الثورة !؟

كيف كان يمكن للثورة أن تسقط النظام الملكى وتحدد وضع البدراوى بالنسبة للشعب ، وكيف كان يمكنها أن تجنب البلاد خطر السادة الذين امتصوا دماء الملايين من المصريين ؟!

فاذا وقفنا لحظة عند كل هذه الأسئلة عرفنا أن جمال عبد الناصر ورفاقه كان عليهم بعد طرد فاروق أن يبقوا على دستور عام ١٩٢٣ ، وهو دستور وضع على أساس النظام الملكى الاقطاعى ·

ثم كان علينا أن نجعل البرلمان يجتمع بنوابه الذين يمثلون الارستقراطية المصرية ويعملون لحماية مصالحها ٠٠ وكان علينا أن نترك الأحزاب كلها بما فيها حزب عبد الهادى وحسن الهضيبى، وحزب البيوتات الذى يضم ذوى الاصل العريق جدا ٠٠ الاحرار الدستوريين ٠

وكان علينا أن نترك الصحافة تقول ما تشاء وتدعو الى ما تشاء ٠٠ ثم ماذا بقى بعد ذلك ؟!

بقى أن نعود الى وحداتنا فى الجيش ونترك البلاد لنفس الأشخاص الذين حكموها قبل ٢٣ يوليو ٠

أى أن ثورة الشعب المصرى تسلم قيادتها هكذا ببساطة الى النحاس وسراج الدين والهضيبى وابراهيم عبد الهادى وكل أفاق دعى يريد أن يصبح زعيما بخطبة أو بوعد معسول !

أى أن جمال عبد الناصر ورفاقه ، وكل ضابط وكل جندى من الأحرار هؤلاء جميعا ما قاموا بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الا من أجل النحاس والهضيبى وعبد الهادى وهيكل وباقى الساسة الذين حكموا البلاد فعلا من قبل ولم يصنعوا ثورة ، ولم يرفعوا عن الشعب ظلما اجتماعيا ولم يملأوا معدة جائع ولم يمكنوا مريضا من الشفاء ؟!

أى منطق هذا ؟

وفيم اذن كان كل هذا الجهد والعرق والتضحيات التى بذلها جمال عبد الناصر ورفاقه ومئات من الاحرار فى الجيش طوال أعوام قاسية مليئة بالاحداث والمفاجآت ؟ ٠٠ هل كانوا يعدون كل هذه الاعمال التاريخية الثورية لكى يحكم النحاس وسراج الدين وهيكل وعبد الهادى ٠٠٠ وهم الحكام الذين كان فاروق يجلسهم على مقاعد الحكم ؟!

هذا .. اذا كانت الديمقراطية تحتم أن يترك كل شيء كما هو بعد طرد فاروق .

يبقى البدراوى فى درين يشرب دم الالوف من المواطنين .. ويبقى كل باشا فى قصره يدوس بأقدامه على مستقبل الشعب

ويبقى سراج الدين يدخن سيجاره وهو يحكم مع أذنابه .. ويبقى الامراء والأميرات فى مصايفهم وأوكارهم يستأنفون أكل لحم البشر ، ويبقى ويبقى ..

يبقى كل شيء ما عدا فاروق .. فهل هذه هى الديمقراطية ؟

وهل هذا ما كان يريده الشعب ؟

هل هذا ما كان يحقق العدالة الاجتماعية ورفع مستوى الطبقات ، ويحقق الاستقلال والعزة والتخلص من القيود ؟!

هل هذا ما كان يعجل بتصنيع البلاد ، وانفاق نقود الشعب فى مشروعات للشعب لا فى رحلات الى أوربا ، وفى اصلاح اليخوت والقصور واعداد صنوف المتعة والرفاهية لعصابة من الأفاقين العاطلين ؟!

ثم .. هل كان النحاس وسراج الدين وعبد الهادى وهيكل وباقى القطيع السياسى بدستوره وببرلمانه ، والذى كنا سنتركه يحكم بعد طرد فاروق .. هل كان ذلك القطيع سيوافق على تحديد الملكية ، واعلان الجمهورية والغاء الألقاب ، ورفع مستوى الفلاح والعامل ، واعداد العدة لكفاح الاستعمار ، ثم عدم الدخول فى أحلاف عسكرية ؟

وهل كان ذلك القطيع يقبل أن يخاطب أفراده بلقب «سيد» لا « باشا » أو « بك » أو صاحب رفعة ودولة ؟!

وهل كان محمد نجيب اذا فرضنا انه سيكون معهم باعتباره ديمقراطيا .. أقول هل كان محمد نجيب قادرا على توجيه ذلك القطيع والسير معه فى ركب التقدم والمدنية ؟

وماذا أيضا ؟!

هل كان يمكن ـ لو فرضنا أننا استسلمنا لهذا القطيع ولآرائه وتوجيهاته بعد ٢٣ يوليو ـ أن تتم الانتخابات فى البلاد وليس هناك سوى نفس النواب بدوائرهم التى تكاد تكون ملكا لهم بأرضها ، وبالناس الذين يعيشون فوق أرضها ؟!

وأسئلة عديدة أخرى تتلاحق وراء بعضها أمامى وأنا أسطر هذا الكلام ، ومطلوب من أدعياء الديمقراطية ولصوص الحريات أن يجيبوا عليها ..

مطلوب منهم أن يقولوا لنا ما هى الديمقراطية فى رأيهم ، اذا لم تكن انتخابية مسجلة بأسمائهم !؟

ما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن عيشا رغدا وأشهرا ناعمة فى أوربا وثيابا من باريس وقصرا فى الخلاء .. وكلابا تأكل أطيب أرزاق البشر ؟!

ما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن حق عضو البرلمان فى أخذ رشوة علنية من كل طالب وظيفة ، ومن كل تاجر يريد الخروج على القانون ، ومن كل أرملة تريد عملا لوحيدها ، ومن العامل والفلاح ... وحتى من أبناء السبيل ؟!

وما هى الديمقراطية فى رأيهم اذا لم تكن تحكم العاطلين فى العاملين ، وسيطرة الأفاقين والمرتشين والخونة واللصوص والتجار والسماسرة على مصائر الملايين ؟!

ثم ما هى حرية الصحافة فى رأيهم اذا لم تكن التجارة فى الورق والسيارات والتآمر مع المستعمر ·· والتحدث باسم الاقطاع والمشعوذين ؟!

أليست تلك هى ديمقراطيتهم التى يلطمون الخدود ويشقون الجيوب كمدا عليها ؟!

وأعود الى السؤال السابق ، فأقول انه كان لايمكن للثورة المصرية أن تمضى فى طريقها اذا اكتفت بخلع فاروق ··· ثم تركت الأمور كما هى بعد ذلك ·

لو كان قد حدث هذا ، وترك جمال عبد الناصر ورفاقه الامور بعد طرد فاروق كان حتما أن تقوم ثورة أخرى لتحقيق العدالة الاجتماعية ··· الا اذا كان أدعياء الديمقراطية يرون أن العدالة الاجتماعية يمكن أن تتحقق على أيدى الباشوات والهضيبى وعبدالعزيز البدراوى ؟!

وفى هذه الحالة ·· أكان من مصلحة الشعب أن يبقى جمال عبد الناصر ورفاقه فى أماكنهم كمسئولين عن الثورة ، ليحققوا أهداف الشعب فى فترة انتقال حددوها من تلقاء أنفسهم ·· أم كان من أصول الديمقراطية التخلى عن تلك الأهداف الشعبية لتتحقق أهداف سراج الدين والهضيبى وعبد الهادى وباقى القطيع ؟!

وقد بقى جمال ورفاقه فى أماكنهم ·· واستمروا فى عملية قلب نظام الحكم القديم شيئا فشيئا ·· ومضوا يعملون آناء الليل وأطراف النهار ·· فى الصيف وفى الشتاء ·· فى البرد وفى القيظ ·· ويواجهون الأحداث ويعدون المستقبل للشعب ولكى لا يعطلهم الأعداء وقطيع عهد أسرة محمد على، اتخذوا موقفا حازما حيال كل نشاط يقوم به هؤلاء الساسة وأذنابهم ·

.. وكان لا بد من اتخاذ ذلك الموقف الحازم الصارم حتى لا تزحف الأفاعى مرة ثانية لتهدد حياة الشعب .. فأطلقوا علينا من أجل ذلك حكومة الضباط والعساكر ، وعندهم حق ، فنحن ضباط وعساكر فعلا ، لكن لسنا ساسة من نوعهم ، ولسنا حكاما ذوى كروش منتفخة بدم الشعب ، ولسنا من جيل قديم تربى فى أحضان الاستعمار وعاش فى كنفه !

لسنا سوى ثوار يريدون تحطيم قيود هذا الشعب بلا دم، وبلا أشلاء تتناثر هنا وهناك ، وبلا بارود ينسف المدن والقرى ، وبلا مجازر فى الشوارع والميادين !

وقد مضينا فى الطريق ، وذلك الطريق كان ولا يزال مليئا بالأعداء .. وكل عدو منهم يريد أن يوقف زحف الثورة ، يريد وقف تطور الشعب ، يريد أن يبقى كعدو الى الأبد ، يعيش هو ولتمت الألوف تحت أقدامه !

فهل الديمقراطية ترضى عن هذا ؟!

هل اذا وقف أبو الفتح ، ومصالحه مرتبطة بمصالح سراج الدين وباقى القطيع ، واتهمنا بأننا كذا وكذا .. هل نتركه يواصل نشاطه الاجرامى ضد ثورة الشعب باسم الديمقراطية ؟

وهل اذا حوكم جواسيس الانجليز أمام محكمة الثورة ، وصدر الحكم باعدام شيخهم « كنج صبرى » .. واذا ألقينا بالمدعو « كريم ثابت » فى الليمان .. نصبح ضد الديمقراطية ؟

وهل اذا منعنا صاحب السيجار الفاخر والسياسى البارع فؤاد سراج الدين من التآمر على الثورة ووضعناه فى زنزانة بعيدا عن الشعب نصبح ضد الديمقراطية ! ؟

وهل اذا تركنا تجار الدين يقتلون جمال عبد الناصر ،

ومئات غيره ، وتركنا الهضيبى ينسف دور الحكومة ومنشآت الدولة ويقيم حكومة تتاجر فى الدين ·· هل اذا كنا سمحنا بهذا، نصبح مع الديمقراطية ومع الدستور ؟!

ان طريق الثورة كان مليئا بالأعداء··وكان لا بد من ابعادهم عنه ، ولا سبيل الى ذلك الا بمعركة مسلحة يلقى فيها كل عدو للشعب مصرعه ·· ولكننا فضلنا أن نبعد هؤلاء الأعداء عن الطريق بقانون الثورة · بالحزم والصمود وبالاصرار على أهدافنا ··

فضلنا هذا على المذابح والمجازر ، فهل لأننا نريد حقن الدماء ·· نعمل ضد الديمقراطية ؟!

وماذا لو كنا اقتحمنا قصر عابدين وتركنا الشعب يفتك بفاروق وبأسرته ، بدلا من اسقاطه بانذار وطرده بكلمة ··· وتركنا الشعب يهاجم الاقطاعيين فى قراهم وفى قصورهم فيهدمها فوق رءوسهم ويأخذ الأرض التى هى من حقه ·· لو كنا تركنا الشعب يحطم رءوس الباشوات والبكوات وأبناء الارستقراطية المصرية العفنة ، بدلا من الغاء ألقابهم ووقف نشاطهم ؟

هل لو كنا فعلنا كل هذا ، نصبح ديمقراطيين ومن أحباب الدستور ؟!

الثورة وطريق الدم

انتهى حديثى فى الفصل الماضى عند نقطة هامة للغاية ، بالنسبة لتاريخ هذه الثورة ··

ماذا كان علينا أن نصنع منذ قمنا بتلك الثورة حتى نصبح ديمقراطيين ، ونصبح أيضا مع الدستور !؟

هل كان علينا أن نخوض مجزرة يوم ٢٣ يوليو ضـــد كل الذين أراد الشعب الخلاص منهم ، الملك والاستعمار والباشوات والبكوات وملاك أرض الشعب ؟!

وهل كنا حقا قادرين على ابادة كل هؤلاء الأعداء في معركة واحدة مشتركة حتى بالرغم من وقوف القوات المسلحة معنا والشعب ؟

لقد كان أمرا واقعيا فعلا أن تبيد الثورة كل أعداء الشعب والا كانت مهزلة لا ثورة ٠

ان التاريخ يقول لنا ان كل ثورة فى أى بلد من بلاد هذا العالم قد قضت على أعدائها بمجزرة يفقد فيها الطرفان ـ الشعب وأعداء الشعب ـ مئات وألوفا بل وملايين من الضحايا ٠

ولكن ـ كما سبق أن قلت فى مقالاتى السابقة ـ الفرق بين الثورة التى قامت فى مصر وبين كل الثورات الاخرى هو أن قيادتها ظهرت بين صفوف القوات المسلحة ٠٠ أى ظهرت بين نفس الصفوف التى كانت تحمى أعداء الشعب ٠

فالجيش كانت قيادته خاضعة للقصر والاقطاع والاستعمار ٠٠ لم تكن قيادة الجيش خاضعة للشعب على الاطلاق ، لكنها أصبحت فعلا خاضعة للشعب فى صباح ٢٣ يوليو ، ووجد أعداء الشعب أن القوة التى كانت تمكنهم من السيطرة على البلاد قد ضاعت منهم ، بل واتجهت الى ابعادهم عن طريق الشعب ! ٠٠

وفوجىء العالم بثورة مصر تتبع أسلوبا جديدا فى القضاء على أعدائها لم تسبقها اليه ثورة أخرى فى أى بلد من بلاد العالم

.. فهو أسلوب مستمد من واقع هذا البلد ومن ظروفه ومن امكانياته .

فالجيش هو الذى يمثل قوة الثورة المصرية ، وأعداء تلك الثورة لا يمكن أن يشتبكوا مع الجيش فى معركة .. فالنتيجة معروفة ! وكان عليهم أن يستسلموا .. كان عليهم ـ جميعا ـ أن يرفعوا الرايات البيضاء ويخضعوا للأمر الواقع ، لارادة الثورة .. وقد كان ! لكن لأنهم لم يبادوا ويفنوا فى مجزرة ، ولأنهم بقوا على قيد الحياة يتنفسون ويأكلون ويشربون ويعيشون بين الناس ، خيل اليهم أن من الممكن وقف الثورة بالمؤامرات ، ما دامت تنقصهم القوة التى يمكنها أن تصمد أمام القوات المسلحة !

وعندما تفشل تلك المؤامرات ، وعندما تدفن الثورة كل مؤامرة فى مهدها ، عندما تمنع الثورة مجزرة وتبعد شبح الفتنة ، يقال عن قادتها انهم يريدون ديكتاتورية !

كأن الديمقراطية هى وقف ظهور الشعب، وكأن الديمقراطية هى ترك الباشوات وترك الهضيبى يلقن السذج سورة آل عمران وأحدث وسائل النسف والذبح .

وكأن الديمقراطية هى أن يجلس محمود أبو الفتح فى مكتبه فى احدى عواصم أوربا ويوجه الصحافة لخدمة مصالحه .. وهو حليف الاقطاع والزعامات التى تعفنت !

وكأن الديمقراطية هى أن يوقف جمال عبد الناصر عجلة التطور التى بدأت تدور وتخطو نحو الحياة ويقول لباشوات مصر وبكواتها : تفضلوا واحكموا من جديد !

وعندما تضرب الثورة على أيدى الشيوعيين لأنهم تآمروا

يضا على الثورة مع الاقطاع وتجار الدين والمستعمرين وكل أعداء يقال عن الثورة انها لا تؤمن بالديمقراطية ، ويقول عنها الشيوعيون انها حكومة الفاشست والسفاحين !

ماذا بقى بعد ذلك من مواقف للثورة ضد الديمقراطية ؟!

ماذا صنعت الثورة غير هذا ضد ديمقراطيتهم المزعومة ؟!

هل بطشت الثورة بمصير الشعب مثلما فعلوا ؟

ان البطش بالشعب هو المظهر الحقيقى للديكتاتورية .

فهل الهضيبى هو الشعب ، وهل سراج الدين هو الشعب ؟

وهل الجاسوس كنج صبرى هو الشعب ، وهل كريم ثابت هو الشعب ، ومحمود أبو الفتح وعدلى لملوم وحافظ عفيفى وعبد الهادى وعملاء اسرائيل وعملاء كل الجهات الاجنبية .. هل كان هؤلاء الذين أوقفت الثورة نشاطهم ومنعتهم من الوقوف فى طريقها هم الشعب ؟!

وهل من أجل موقف الثورة هذا الذى تحمى به نفسها ـ وهى كما سبق أن قلت ثورة لا تريد الدم ـ يصبح قادتها من الذين لا يؤمنون بالديمقراطية والدستور وحرية الصحافة ؟

وأعود الى موضوع الدم من جديد ، فأقول ان الثورة لو كانت بدأت فى فجر ٢٣ يوليو بمذبحة ضد القصر والاقطاع والاستعمار وعملاء الدول الاجنبية والباشوات والسماسرة ثم انتهت بانتصار شامل عليهم ، ثم لم يبق فى مصر عدو واحد يمكنه أن يعطل نهضة الشعب المصرى بعد انتصاره أقول لو كانت قيادة الثورة قد خاضت هذه المجازر كلها وانتصرت ثم منعت حرية الصحافة ومنعت الانتخابات والدستور وكل الحريات ، لو حدث

هذا لأصبحت فى هذه الحالة فقط ٠٠ وفى هذه الحـــــالة فقط قيادة ديكتاتورية تؤمن بالحكم المطلق لا بالشعب !

ولكن للأسف الشديد ـ وأقول بمرارة ـ لم يحدث أن قامت تلك المجازر بعد ٢٣ يوليو ٠

لم تفرش دماء أعداء الثورة الشوارع وكل شبر فى البلاد حتى كان يمكن بعد ابادتهم بالسلاح أن يطمئن قادة الثـورة على مصير أهدافهم الشعبية ، فيقام الحكم الديمقراطى فى الحال ، وتعاد كل الحريات فى الحال ، بعد أن خلت مصر من الاعداء !

لكن ٠٠ ليس معنى أن قيادة الثورة قد اتجهت فى طـريق آخر غير طريق الدم هو أن مجلس قيادة الثورة كان غير مسـتعد للاتجاه فى هذا الطريق منذ أول دقيقة قامت فيها الثورة ٠

لا ـ وأقولهـا بمـلء فمى ـ فنحن كنا على اسـتعداد لكل احتمال ، كنا على استعداد لخوض معركة فى ميادين القصور الملكية وفى قصور الباشوات والساسة الخونة والرجعيين ، وفى قـرى الاقطاع وفى القنال ٠

كنا سنفعل ذلك سـواء من تلقاء أنفسنا أو بحكم الامر الواقع ، وكان النصر سـيحالفنا ، فالشعب وراء الجيش منـذ انطلق ذلك الصـوت من محطة الاذاعة اللاسـلكية فى صباح ٢٣ يوليو ٠

لكن بالرغم من ايماننا بأن النصر سيحالفنا لو خضنا معركة مسلحة ضـد جميع الاعداء ، الا أننا كنا نضع فى حسابنا دائما مسألة الخسائر !

فماذا كان الشعب سيخسره لو خاض هو والجيش معـركة كبرى واحدة ضد الاستعمار والقصر والاقطاع وباقى الأعـداء ؟

ألم يكن محتملا أن تدمر قرى بأكملها ومدن أيضا ؟

ألم يكن محتملا أن يموت الألوف بل ربما الملايين من أبناء
شعب ؟

ألم يكن محتملا أن تتحول أرضنا الخضراء الهادئة الى ساحة
حرب يحترق فيها الأخضر واليابس ويدمر فيها الاقتصـــاد بل
الحياة نفسها ؟

وكما قلت ، كنا سننتصر حتما فى تلك المجزرة طال الزمن
أو قصر .. لكن بعد النصر هل كان من الممكن اعادة بناء هذه البلاد
بعد أن دمرتها الحرب ؟

واذا كانت هناك طريقة أخرى لتحقيق النصر للشـــعب فى
ثورته غير الدمار والفناء .. واذا اتبع مجلس قيادة الثورة هذه
الطريقة وحقن دماء الشعب وحمى اقتصاد الشعب ومدن الشعب
وقرى الشعب ...

اذا كان مجلس قيادة الثورة قد صنع هـــذه المعجـــزة ونجح
فى اسقاط النظام الملكى بلا دم وأعلن الجمهورية بلا دم ، وقضى
على الباشوات وحكمهم بلا دم .

وقاد معركة الثورة فانتصر الشعب فيها دون أن تختفى من
على ظهر الارض مدينـــة مصرية واحـــدة بما فيها من ناس ومال
وحياة ..

أقول اذا كان مجلس الثورة قد حقق وسيحقق الانتصارات
لثورة الشعب ، أيعد هذا العمل التاريخى المجيد ضد الديمقراطية
وأية ديمقراطية ؟!

ان الشـــعب لم يصب بســـوء حتى يمـــكن أن يجـــد الذين

يتهموننا بالفاشـية دليلا واحـدا على اتهامهم لنـا ، وعلى تجنيهم علينا ٠٠ بل الذين أصيبوا بالسوء هم أعداء الشعب ٠٠ هم كنج صبرى وكريم ثابت والبدراوى وسراج الدين وابراهيم عبد الهادى والهضيبى وعصـابته الناسفة ، وعمـلاء اسرائيل وعملاء الدول الاجنبية على اختلافها ٠

وهؤلاء هم الذين يتهمون مجلس الثورة بالديكتاتورية ٠

وانى أقول لهم مثلما قال ماوتسى تونج لأعداء ثورة الصين :

« نعم يا حضرات السادة ، اننا نقيم ديكتاتورية ٠٠ لـكن على أعوان الاستعمار والاقطاع » ٠

الضباط الأحرار

د المحنة

عام ١٩٤٩ ، بعد المحنة الكبرى ، بعد أن عاد جيش البلاد ن فلسطين ومعه المأساة الكبرى ٠٠ المأساة التى صنعها الخونة السماسرة الذين حكموا الشعب وقتلوا جنوده وضباطه ومزقوا كرامته وسخروا من مقدساته ٠٠ فى ذلك العام بدأت مرحلة جديدة فى الموقف السياسى فى البلاد٠٠فبعد انتهاء معركة فلسطين بعد تلك المأساة التاريخية كان على أعداء الشعب أن يبحثوا عن مخرج لهم فسخط الشعب قد بلغ حدا يهدد بالانفجار وغضب لجيش بعد أن طعن من الخلف يجب أن يزول ٠٠

وكان تنظيم الضباط الاحرار فى ذلك الوقت قد لحقته خسائر شديدة أثناء المعركة فى فلسطين ٠٠

وكان حتما بعد المحنة ان يعوض التنظيم تلك الخسائر ، خاصة وانها ـ أى الخسائر ـ كانت قد بلغت الى حد أن الضباط لاحرار قد فقدوا الاتصال بعضهم ببعض ٠٠

وقد بدأ الضباط الاحرار يعملون على الفور لاعادة الاتصال من جديد ، وكان هدفهم فى هذه المرة تكوين هيئة تأسيسية للضباط الاحرار ثم السيطرة على الجيش تماما بتنظيم ضخم متماسك يمكن أن يبعد شبح المآسى عن الجيش وعن الشعب ٠

وتكونت الهيئة التأسيسية فعلا *وكانت تضم فى البداية*

جمال عبد النـــاصر وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين وعبد المنعم عبد الرءوف ..

ثم تضاعف نشاط الضباط الاحرار بعد تلك الخطـوة مما حتم زيادة أعضاء الهيئة التأسيسية ، فانضم اليها عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وجمال سالم وعبد اللطيف البغدادى وكاتب هذه السطور .

وفى ينـــاير عام ١٩٥٠ أجـريت انتخابات رئاسـة الهيئة التاسيسية ، وانتخب جمال عبد الناصر رئيسا لها بالاجماع .

وعلى أثر هذا مضينا نستعد لخوض اضخم معركة فى تاريخ الشعب . بدأنا نعد أنفسنا للاشتباك مع الاعداء جميعا تحت سماء هذه البلاد .

وقد كانت البلاد فى ذلك الوقت أشبه بمسرح كبـير يشهد العالم فوق خشبته أعنف مأساة انسـانية تعرض لهـا شعب من شعوب الارض .

لا عدالة ولا حرية ولا حق فى أرضنا ، بل فساد واستبداد وحكم مطلق وسماسرة يتاجرون بكل شىء ، بالسياسة وبالأرزاق وبالمستقبل نفسه .. مستقبل الملايين ، أما مستقبلهم هم فقـد كانوا على ثقة من أنه لا توجد قوة فى الوجود يمكنها زحـزحتهم عن أماكنهم ..

فالاستعمار حليفهم والرجعية والاقطاع والبرلمان نفسه الذى يسير الأمور ، كل هذا رهن مشيئتهم .

لا يوجد غير الشعب

لم يكن فى مصر أبطـال على الاطلاق يمكنهم خـوض المعـركة ضد هؤلاء الاعداء الطغاة سوى الشـعب نفسه ، فكيف كان يمكن لشعب أن يخوض المعركة حتى يمكنه التخلص من قيوده كلها ..

لم تكن هناك قيادة شعبية يمكنها أن تعـد الملايين لهـذه المعركة .. فحزب الاغلبية الذى يضع الشعب فيه كل آماله قد جاء الى الحكم فى ذلك الوقت وخاض المعركة ـ فعلا ـ لكن ضد الشعب ..

فزعيمه ينحنى حتى يكاد يقول للحاكم بأمره فاروق تفضل اركب على ظهرى .. وأعوان الزعيم يعملون من أجل شيء واحد فقط ولا شيء غيره .. من أجل أن يبقوا كما هم باشوات وأصحاب ضياع وعقار وجاه وسلطان .. فمن اذن يمكنه أن يقود الشعب ويكتله ضد جلاديه ؟! .. الاخوان .. ان مرشدهم يدخل القصر ويخـرج منه ليسبح بحمـد الحاكم .. ويعلن على الملأ أنه ملك كريم .

السعديون .. انهم لا يمثلون سوى أنفسهم .. ومصـالحهم مرتبطة ببقاء النظام كما هو .. بقاء الاقطاع والاستعمار والفساد والخيانة .. ببقاء الشعب فى القمقم حبيسا لا يجد مخرجا ..

ماذا بقى من قيادات سياسية ؟

بقى الاحرار الدستوريون ، وهم توائم للسعديين ..

من يتولى المعركة ؟

كان لا بد من معركة مهما كانت الظروف فمن المحال أن تبقى البلاد فريسة للحاكم وأعوانه وبرلمانه ودستوره ..

من المحال أن يبقى الجياع والعـراة والمستعبدون الى الابد تدوسهم أقدام العصابات الحاكمة ، ويفترسهم المستعمرون فكيف يمكن للمعركة أن تبدأ ؟

كما قلت كان لابد من قيادة تتولاها وكما قلت كان لابد أن تكون قيادة من خارج صفوف حزب الوفد الذى انسلخ عن الشعب يوم أن ضمت قيادته الاقطاع ٠

ومن خارج صـــفوف الاخــوان الذين لا يؤمنون ســـوى بالهضيبى وبالسمع وبالطاعة ٠٠ وبولى الامر الملك الكريم ٠٠ كان لا بد أن تكون القيادة التى ستخوض بالشعب معركة الحياة والحرية غير مرتبطة بقصر أو بحزب من الأحزاب المذكورة ، أو بهيئة تتاجر فى الوطنية ، وفى كل شيء ٠٠ كان لا بد أن تكون قيادة تربط مصالحها بمصالح الشعب حتى يمكن أن تصمد حتى النهـاية لأن فى عـدم صمودها الفناء لها ٠٠٠ وللشعب أيضا ٠٠

فأين يمكن أن توجد تلك القيادة ٠٠ وكيف يمكنها لو وجدت أن تبدأ فى تكتيل الشعب وخوض المعركة بعد ذلك ؟

لقد سبق أن أكدت فى مقالاتى السابقة عن الثورة والديمقراطية، ان ظهور قيادة للثورة المصرية بين صفوف القوات المسلحة هو أمر محتوم مستمد من واقع مصر ومن ظروفها المختلفة ٠٠

وكان لا يمكن أن تظهر تلك القيـادة خـارج تلك القـــوات والا كانت مذبحة يفنى فيها الجيش والشعب قبل أن يفنى الاعداء فمن غير القوات المسلحة كان لا يمكن للشـــعب خوض معركته ضد أعدائه ، لأن القوات المسلحة كانت ـ فى هذه الحالة ـ ستنضم الى الجانب الآخر ، الى جانب القصر والاقطاع والاســتعمار والرجعية ، ليس لان وحداتها خارجة على الشعب ، بل لان قيادتها كانت خاضعة

لاعداء الشعب وكانت تعمل على حماية هؤلاء الاعداء ، فالطريق اذن هو تخليص الجيش من قيادته الخائنة الخاضعة للحاكم والتى تحمى النظام فى البلاد ، وبعد ذلك يمكن ان تبدأ المعركة على الفور ٠٠٠ يمكن أن تبدأ الثورة المصرية التى تؤيدها وتحميها القوات المسلحة٠٠

الثورة فى عام ١٩٥٠

وقد تكونت فعلا قيادة للثورة المصرية داخل الجيش ٠٠ وكان تنظيم الضباط الاحرار كما قلت قد كبر وأصبح نشاطه مضاعفا فى عام ١٩٥٠ ٠

وبدأت الهيئة التأسيسية لتنظيم الضباط الاحرار تعد العدة للضربة الكبرى ٠

كان كل فرد فى تنظيم الضباط الاحرار يؤمن بأنه اما النصر أو الموت ٠٠

وكان كل فرد فيهم يستمد القوة والعزم بل والشجاعة من الشعب نفسه ، من مشاعر الجماهير وآمالها ورغباتها وسخطها العارم على الحكام ، ورغبتها الصادقة فى التحرر ٠

وخرجت المنشورات السرية لتقض مضاجع قادة الجيش ورجال القصر والحكام ، وكانت المنشورات ثورية حددنا فيها أهداف الشعب بصراحة ٠٠

لم نحدد فيها مطلبا للجيش أو لضباطه وجنوده ٠٠

كل كلمة فى تلك المنشورات كانت مستمدة من اتجاهات الرأى العام فى البلاد ٠٠ فالشعب يريد العدالة الاجتماعية ونحن

ننادى بها ، والشعب يريد القضاء على المستعمر وأذنابه ونحن نسجل ارادته ، والشعب يلعن الاحلاف العسكرية والدفاع المشترك ونحن نطبع مئات المنشورات لنؤيد وجهة نظر الشعب ٠ ومضى كل منا يكتل ضباط الجيش فى جميع الوحدات استعدادا لبدء المعركة الشعبية ..

أما متى تبدأ المعركة فهذا ما يحدده تقديرنا للموقف بلغة العسكريين ٠

وقدر الموقف فعلا على أساس قلب نظام الحكم القائم واحلال نظام جديد مكانه ، وحددت المدة لتنفيذ الخطة كاملة فى عام ١٩٥٠ بخمس سنوات .. أى أن الثورة كانت ستبدأ عام ١٩٥٥ ... وليس فى يوليو عام ١٩٥٢ .. !!

وفى يناير عام ١٩٥١ أجريت انتخابات جديدة للهيئة التأسيسية للضباط الاحرار وأعيد انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا لها للمرة الثانية ..

الشعب لا أولادنا ..

وبعد ذلك وبينما نحن نعد خطتنا لقلب نظام الحكم على أساس تقديرنا للموقف فى البلاد فى ذلك الوقت ، فوجئنا بالبكباشى عبد المنعم عبد الرءوف وهو ينادى بضم تنظيم الضباط الاحرار كله الى احدى الهيئات ..

ولم يجد عبد المنعم عبد الرءوف من يستمع اليه . كنا جميعا نؤمن بالشعب كوحدة .. وارتباطنا به وبأهدافه ككل ، لابهيئة ما مهما كانت أهدافها .

وأصر عبد المنعم عبد الرءوف على اخضاع الضباط الأحرار

ماعة الاخوان المسلمين ، وقال وهو يحاول اقناعنا بوجهة نظره جميع اعضاء تنظيم الضباط الاحرار يمكن أن يقبض عليهم ل أن يتمكنوا من عمل شيء .. من يرعى أطفالهم وزوجاتهم هلهم ؟

وقال ان انضمامنا لهيئة ما فيه ضمان لعائلاتنا فى حالة اذا أصابنا مكروه فالهيئة المذكورة تتولى رعاية عائلاتنا لادنا .

وقلنا له جميعا اننا مثله لنا زوجات وأولاد ، ويهمنا أن نمئن على مصيرهم ، لكن المسألة ليست مسألة شخصية .

فنحن نعد ثورة لا مؤامرة !!

ومصير أولادنا وزوجاتنا لا يعنينا لان الذى نعمل من أجله هو مصير الشعب لا أطفال الضباط الاحرار ..

وقلنا له ان ارتباط الجيش بهيئة ما يعرض البلاد للفوضى ، فالجيش يجب أن يكون خاضعا للشعب ككل .. والا جعلت منه الهيئة المذكورة اداة لتنفيذ اغراضها هى واهدافها هى .. وخططها هى !!

وقلنا له نحن لا نستطيع أن نبيع أفكارنا ومبادئنا من أجل أطفالنا

واصر الضباط جميعا على رايهم ، فالجيش يجب أن يصان من نفوذ الهيئات والاحزاب ، الجيش هو جيش الشعب وليس جيش الهضيبى او الوفد او جماعة معينة .

تنفيذ الخطة قبل موعدها ..

وكان نجاح فكرة تكوين تشكيلات داخل الجيش اكثر مما قدرنا ، ففى كل وحدة من وحدات الجيش أصبح لتنظيم الضباط الاحرار أفراد فيها ..

لم نكن نتوقع عندما قررنا تكوين تشكيلات بين صفوف القوات المسلحة ان تنجح الفكرة الى هذا الحد ، وكانت الامور فى البلاد تتطور بشكل سريع ومثير ..

فقد ظهر مدى ايمان قيادة الوفد بالكفاح المسلح فكانت مهزلة القنال التى كان فؤاد سراج الدين يتولاها من مكتبه بالداخلية .

ثم بدأ القصر يتآمر ، وبدأ الوفد يتراجع ، لكن الرأى العام كان فى حالة من اليقظة يصعب معها خداعه .

وكان لابد من ضربة قاصمة تنهى المسألة قبل استفحالها فالضباط الاحرار كانوا قد بدأوا يساهمون فى معركة القنال رغم ارادة القصر وحكومة الوفد ..

واجتمعنا وتبين لنا اننا قد نضطر الى تنفيذ خطتنا قبل موعدها .. أى قبل عام ١٩٥٥

لمن يخضع الجيش !؟

كان نجاح تكوين تشكيلات للضباط الاحرار فى جميع وحدات الجيش هو أحد عاملين عجلا بتقديم موعد تنفيذ الخطة .

أما العامل الثانى فهو الاحداث السياسية التى طرأت على الموقف فى البلاد بعد حريق القاهرة .

وكان لابد من اختيـار قائد للثورة .. لـكى تبدأ الثورة معاركها مع اعداء الشعب فى العلن وعلى مشهد من العالم كله ..

هنا أود ان أقف قليلا ، فهنا تلعب الظروف دورها .. هنا تتحكم الصدفة ولا شىء غيرها فى الموقف

لقد كان من راى جمـال عبد الناصر وهو رئيس الهيئـة التأسيسية للضباط الاحرار والذى انتخب فى كل مرة رئيسا ، والذى كان عليه ان يقود الثورة فى العلن مثلما قادها فى السر قبل ٢٣ يوليـو .. اقول كان من رأى جمـال أن يكون قائد الثورة حاملا لرتبة كبيرة من رتب الجيش ، وكان هناك رأى واحد فقط فى الهيئة يعارض ان يقود الثورة واحد من خارج الهيئة التأسيسية .. لكننا اتفقنا – جميعا – فى النهاية على أن يتولى احد الضباط الكبار قيادة الثورة ، واقترح جمال ثلاثة أسماء : عزيز المصرى وفؤاد صادق ومحمد نجيب .

حقيقة فؤاد صادق

وبدأت الاتصالات بعزيز المصرى ، ولكن الرجل أصر على أن يظل أبا روحيا للثورة وأقنعنا برأيه .

وبقى اثنان .. اللواء فؤاد صادق واللواء محمد نجيب ..

وذهب صلاح سـالم لمقابلة اللواء فؤاد صـادق ، ليعرف نواياه ..

وكان عثمان المهدى – رئيس هيئة أركان حرب الجيش .. قد استقال من منصبه فى ذلك الوقت ولم يكن معقولا أن يفاتح صلاح فؤاد صادق فى أمر قيادته للثورة .. فهـو كان مثل محمد نجيب لايدرى أن هناك تنظيما للضباط الاحرار .

وأيضا لا يدرى ان هؤلاء الضباط الاحرار قد اعدوا انفسهم للقيام بثورة لقلب نظام الحكم ، كل ما كان يعرفه فؤاد صادق هو ان بعض ضباط الجيش الصغار لهم رأى معين فى الحالة وأن هؤلاء الضباط الصغار لا يتعدى نشاطهم اعلان السخط والغضب والاسى ..

وأعود الى مقابلة صلاح سالم بفؤاد صادق ..

ذهب صلاح اليه فى بيته ، وقال له ان الرأى العام بين الضباط فى الجيش يرشحه لتولى منصب رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، وقال له صلاح ان هؤلاء الضباط يمكنهم مساعدته لكى يتولى هذا المنصب فهم قوة ولهم نفوذ كبير ، وظل صلاح يحدثه عن هذا الرأى العام لهؤلاء الضباط فى الجيش حتى اقتنع فؤاد صادق وآمن بأنه سيعين رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش..

وأثناء الحديث دق جرس التليفون ، ورفع فؤاد صادق السماعة ، وكان المتكلم هو اليوزباشى مصطفى كمال صدقى ، وكان مصطفى على صلة ما بالقصر فى ذلك الوقت ، وقال مصطفى كمال لفؤاد صادق ان مرسوم تعيينه رئيسا لهيئة اركان حرب الجيش سيوقعه مولانا فى الصباح .

وظهرت على فم اللواء فؤاد صادق ابتسامة غريبة ونظر الى صلاح نظرة ذات مغزى .. ثم قال وهو لا يزال يمسك بسماعة التليفون : بتقول ايه يا مصطفى ؟ . زعق شوية واشار فؤاد صادق لصلاح سالم أن يقترب منه ، واقترب صلاح وقرب اذنه من التليفون كما طلب منه اللواء صادق وسمع صلاح مصطفى صدقى يتحدث عن مرسوم تعيين فؤاد صادق الذى سيصدر فى اليوم التالى .. ثم وضع فؤاد صادق سماعة التليفون .

عرف شخصيته

فى تلك اللحظة عرف صلاح شخصية فؤاد صادق .

فالرجل شعر بعد أن أبلغه مصطفى صدقى بامر تعيينه ان ـ الرأى العام ـ للضباط فى الجيش والذى حدثه عنه صلاح سالم لم يعد يعنيه ..

وقد كشف فؤاد صادق عن شخصيته امام صلاح فجأة ، فبعد أن كان قد ابدى استعداده لتحقيق كل رغبات الضباط وحماية مصالحهم والوقوف الى جانبهم ، انقلبِ فجأة وبلا مقدمات وبعد أن عرف أن هؤلاء الضباط لن يكون لهم دخل فى تعيينه فقدِ عين والحمد لله ..

ان اللواء فؤاد صادق كشف عن حقيقة معدنه عندما قال لصلاح بعد مكالمة مصطفى صدقى بالحرف الواحد :

ـ اذا كنت بقيت رئيس اركان حرب الجيش فده بمجهودى انا .. وبدراعى انا .

ثم قال لصلاح انه سيعمل على اقامة النظام الكامل فى الجيش وانه لن يسمح بأى نشاط ضد نظم الجيش .

وصمت لحظة ثم عاد يقول لصلاح المذهول :

ـ لازم تفهم انت والضباط اللى معاك الكلام اللى بقوله ده .. لأنى سأنفذ القانون .. وأنصحك انك واللى معاك تدوروا على مصالحكم ومستقبلكم ومستقبل أولادكم أحسن !!

ولم يتمالك صلاح نفسه فقال له وهو حزين آسف !

ـ دى آخر مرة اخش فيها بيتك ... السلام عليكم ! !

وهم صلاح بالانصراف وسمع فؤاد صادق يقول له وهو فى طريقه الى خارج البيت :

– بيتى مفتوح .. اللى يحب ييجى ييجى .. واللى مايجيش هوه حر ..

وعاد صلاح الى رفاقه يحدثهم بما دار بينه وبين فؤاد صادق ، المرشح الثانى لقيادة الثورة ، وكانت مفاجأة للجميع !!

أما لماذا لم يعين فؤاد صادق فى اليوم التالى رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش وعين بدلا منه فى اللحظة الاخيرة حسين فريد فلذلك قصة ثانية ، لعب فيها تشكيل الضباط الاحرار دورا حاسما ..

اين كان محمد نجيب ! ؟

كيف تم الاتصال بنجيب ! ؟

كيف ظهر على المسرح .. وهو الذى لم يكن يعد ثورة او اى شىء ! !

لقد كان نجيب فى ذلك الوقت قائدا لسلاح الحدود .. ولم تكن له صلة ما بالحركة . ولم يكن يدرى مثل فؤاد صادق ان هناك فى الجيش تنظيما ضخما يعمل تحت الارض ويعد العدة للقيام بثورة لقلب نظام الحكم ..

لم يكن يعلم شيئا بالمرة ، وكنا فى أواخر عام ١٩٥١ ..

وأعود مرة أخرى الى الصدفة العابرة ، الصدفة التى جعلت اسم نجيب .. يتردد على السنتنا وجعلت جمال يرشحه مع عزيز المصرى وفؤاد صادق لقيادة الثورة .

فقد صدر الامر بنقل نجيب من سلاح الحدود الى سلاح المشاة ..

وعين حسين سرى عامر ذنب السراى مكانه .. ولم يكن لهذا النقل من مبرر .

وتردد فى صفوف الجيش أن محمد نجيب قد يستقيل بعد اللطمة التى وجهت اليه ، وكان الشعور العام فى الجيش ضد حسين سرى عامر . لا لشىء الا لانه ذنب للسراى !!

ومن هنا كان العطف على نجيب .

شعر الجميع انه ضحية لحسين سرى عامر ، ولو كان نجيب نقل أو احيل الى المعاش وعين بدلا منه أى مدير آخر لسلاح الحدود لما حظى بتأييد الراى العام فى الجيش على الاطلاق ، لكن لأن الذى عين مكانه هو ذنب للسراى فنجيب اذن يستحق العطف ، ويجب ان يقف الضباط الاحرار الى جواره . وفعلا حدث عقب ان سرى نبأ اعتزام نجيب تقديم استقالته ان اتصل به جمال عبد الناصر وقال له :

ـ ان الضباط يطلبون منك أن تبقى كما أنت فى سلاح المشاة ولا داعى لتقديم استقالتك .

وقال له جمال ايضا ان اللطمة التى وجهت اليه انما هى موجهة للجيش ، ولهذا فالجيش يعتزم رد اللطمة بأشد منها ! !

هكذا بدا اتصال الضباط الاحرار باللواء نجيب ، فهو فى محنة وهم يقفون الى جواره باعتباره ضحية لذنب السراى .. ومن هنا جاء ترشيحه لتولى قيادة الثورة ، ومن هنا بدأ القدر يفتح أمامه أبواب التاريخ !

خُطة الثورَة

بعد البداية

وقفت فى الفصل السابق عند البداية ٠٠ بداية اتصال تشكيل الضباط الأحرار باللواء محمد نجيب ، وكان ذلك فى عام ١٩٥١ ، وذلك الاتصال تم لا على أساس مفاتحته فى موضوع قيادة الثورة ، بل لاقناعه بعدم تقديم استقالته بعد أن نقل من منصبه فى سلاح الحدود الى المشاة ، ليحل حسين سرى عامر عميل القصر مكانه بناء على رغبة القصر ٠

وشرحت فى المقال السابق كيف حظى اللواء نجيب بتأييد الرأى العام فى الجيش أو بعبارة أخرى بتأييد تنظيم الضباط الأحرار ، وهم كانوا على استعداد لتأييد أى ضابط كبير آخر أصابه سوء على يدى عميل السراى حسين سرى عامر !

وفى ذلك الوقت لم يكن محمد نجيب يعلم ماذا يجرى فى الجيش !؟

لم يكن يعلم أن فى الجيش تنظيما سريا ضخما يباشر نشاطه تحت الأرض استعدادا لقلب نظام الحكم ٠ !

ولم يكن يعرف أنه كان ــ فى ذلك الوقت ــ المرشح الثالث لقيادة الثورة فى حالة ما اذا لم يتول قيادتها عزيز المصرى أو فؤاد صادق ٠!

وفى المقال السابق عرف القارىء كيف صمم عزيز المصرى

على أن يبقى أبا روحيا لنا · وبذلك كان علينا الاتصال بالمرشح الثاني اللواء فؤاد صادق ، ثم اكتشف صلاح سالم حقيقته أثناء وجوده في بيته ، وعرف مدى غروره وصلفه وأنانيته ، عرف من أى طينة عجن ذلك الرجل !

وبعد أن ظهرت لنا حقيقة فؤاد صادق اسقطناه من حسابنا ثم جاء دور المرشح الثالث محمد نجيب ، وحدث ما رويته من نقله الى سلاح الحدود ، ثم اتصال جمال عبد الناصر به وتأكيده له أن الجيش يعتبر اللطمة التى اصابته موجهة للجيش نفسه ، وسيرد الجيش اللطمة بأشد منها ··· للقصر !

وبعد اتصال جمال باللواء محمد نجيب استعد تنظيم الضباط الاحرار لرد اللطمة فعلا · واجتمعنا وقررنا أن تكون اللطمة عن طريق نادى الضباط !

اختبار قوة الاحرار

قررنا أن نخوض معركة انتخابات النادى لانتخاب محمد نجيب رئيسا لمجلس الادارة مع حرمان سلاح الحدود من تمثيله فى المجلس ، لأن مديره حسين سرى عامر خصم لنا ·· ولأنه عين القصر المفتوحة فى الجيش · !!

ولم يكن غرض التنظيم من خوض معركة نادى الضباط الانتقام من حسين سرى عامر ورد اللطمة للقصر فقط ، بل رأينا أن هذه المعركة اذا انتصرنا فيها تكون بداية عظيمة للمعركة الكبرى القادمة معركة قلب نظام الحكم ، فمعركة الانتخابات اذا خضناها تكون أول معركة علنية يخوضها الضباط الاحرار ضد القصر ، وانتصارنا فيها يشعرنا بالثقة ، ويبعث فى نفوس جميع الرفاق فى التنظيم الاحساس بالقوة ، وليس هذا فقط فان الجيش بعد

انتصارنا في معركة النادى سوف تسرى فيه روح جديدة ويكون الانتصـــار اختبارا لروح التضامن بين القوات المسلحة كمجموعة واحدة تقف خلف تنظيم الضباط الاحرار ·

وقدرنا أيضا نتائج كثيرة أخرى لمعركة انتخابات النـــادى لو انتصرنا فيها فالملك سوف يشـــعر بهزيمة عمـــلائه فى تلك الانتخابات بأن الجيش غير راض عن تصرفاته ، ويمكن أثناء هذه المعركة كشف الخونة وجميع عملاء القصر وهم الذين ســـيقفون ضدنا وضد الذين سنرشحهم للفوز فى معركة النادى ·

ومضينا نستعد للمعركة الاولى بينــنـــا وبين القصر ، وشعر القصر بأن فى الجيش نشاطا مريبا ، وان فى الافق سحبا تنـــذر بالشر ، فأصدر أمرا بتأجيل انتخابات نادى الضباط · !

التنظيم يتحدى أمر التأجيل !

وقد كان علينا أن نمضى حتى النهاية لتنفيذ خطتنا كاملة ، ولم نبال بقرار التأجيل · فصدرت الاوامر لجميع الضـــبـــاط الاحرار بأن يتوجه أكبر عدد منهم الى النادى فى نفس التـــاريخ المحدد للانتخابات وكان محددا لها ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١ ·

وفى الموعد المحدد كان فى نادى الضـــبـــاط عدد كبير من الضباط الاحرار · واعلنوا على الفور احتجـــاجهم على أمر تأجيل الانتخابات ، ثم طلبوا دعوة الجمعية العمومية للاجتماع بعد ثلاثة أيام بوساطة رياسة الجيش لتقرر ما تشاء !

ولم نكن نتوقع أن تستجيب رياسة الجيش لهـذا التحدى ، لكن يبدو انها ـ أى الرئاسة ـ خشيت توتر الموقف فاستجابت للمطلب وتمت عملية الانتخاب !

وهنا وزع الضباط الاحرار كشفا بمن يرشحونهم للانتخاب. ومن ضمن هؤلاء الذين حددنا أسماءهم اللواء محمد نجيب ·· وهو الذى لم يكن يعرف ماذا يجرى وراء الستار · وماذا نعده له نحن أفراد التنظيم من مفاجآت كبرى ستغير مجرى حياته · !

ونجحت خطة التنظيم ·· فكل الذين سجلنا اسماءهم فى قائمة الانتخابات نجحوا وبأغلبية ساحقة · !

وليس هذا فقط ، بل مضينا فى تحدى القصر الى أبعد مدى ، فرفض تعيين مندوب من سلاح الحدود فى مجلس ادارة النادى · !

وكذلك كسبنا المعركة حسب الخطة الموضوعة ! وقد حدث ما توقعناه ، ارتفعت الروح المعنوية بين جميع أفراد القوات المسلحة، وازددنا ثقة فى خطتنا وفى معاركنا وفى أعمالنا ·· !

وجاءت الاحداث · !

واقبلت الاحـــداث لتدفع عجلة التـــاريخ بسرعة لم نكن نتوقعها ، فقد وقع حريق القاهرة ـ يناير سنة ١٩٥٢ ـ واجتمعنا على الفور لنغير خطتنا كلها · وكان الاجتمـــاع فى منزل حسن ابراهيم ، وكنا قد قدرنا مدة خمس سنوات للقيام بالعملية الكبرى، عملية قلب نظام الحكم ، لكن ذلك الحدث الضخم كان أشبه بالنذير لنا ·· وقدرنا الموقف فى ذلك الاجتماع مرة ثانية ، ثم قررنا أن نكون على استعداد خلال شهر واحد ·· وبذلك تغيرت الخطة · !

وأثناء حريق القاهرة صدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار الذين فى القاهرة بمقاومة أعمال التخريب ، كنا نعرف النتيجة ، فالقصر والاستعمار وأعوانهما سيمضون فى ضرب الحركة الوطنية بكل وسيلة · ولا سبيل الى مقـــاومة هؤلاء الاعـــداء الا بثورة ، لا بالتخريب والخطب الرنانة ، وقد وضح الموقف السياسى فى البلاد

وضوحا تاما بعد حريق القـــاهرة ، وعرف من لم يكن يعرف انه لا توجد قيادة شعبية لثورة مصر ضد الاستعمار ٠

فقيادة الوفد انتهازية وتمسك الحبل من الوسط ، فهى مـع الشعب حينا وضد الشعب فى أغلب الاحيان ٠ !

وكانت وزارة على ماهر التى تكونت عقب حريق القـــاهرة عبارة عن خدعة أراد القصر والاستعمار بها التمهيد لحكم البـــلاد بالحديد والنار ثم تصفية الحركة الوطنية نهائيا عـلى أيدى الخونة والاذناب وأصحاب المصالح المتناقضة مع مصالح الشعب !!

وفعلا لم تلبث وزارة على ماهر أن طارت فى فبراير ٠٠ أى بعد أيام من تأليفها !

حقيقة رشاد مهنا ٠٠

وقبل أن أمضى فى سرد أحداث ما بعد حريق القاهرة ، أود أن أقف قليلا لاتحدث عن رشاد مهنا ٠٠ لازيح الستار عن سر آخر غير سر محمد نجيب !

ان رشاد مهنا لم يكن فى تنظيم الضباط الاحرار ، لم يكن واحدا منا ٠٠ وعلاقته بنا سأتناولها بالشرح التام ٠٠ فقدحدث بعد انسحاب عبد المنعم عبد الرءوف من الجمعية التأسيسية للضباط الاحرار أن اقترح جمال عبد الناصر ضم رشـــــاد مهنا بدلا منه ، وعارضت رأى جمال لأنى كنت أعرف شخصية ذلك الرجل ٠٠ من تاريخه ومن واقع تصرفاته !!

لكن جمال ذهب فعلا الى رشاد مهنا وعاد ليقول لنـــا ان رشاد لم يصدق أن فى الجيش تنظيما سريا يعد العدة للقيام بثورة فى البلاد ٠ كل ما كان يعرفه رشاد مهنا هو أن فى الجيش رأيا عاما

ضد القصر فقط ، وقال لنا جمال أيضا ان رشاد مهنا رفض أن ينضم الى التنظيم وقال انه يفضل التعاون من بعيد لبعيد !

وهكذا تراجع رشاد مهنا في عام ١٩٥٠ ، مثلما تراجع من قبل عام ١٩٤٢ .. ولذلك قصة سأرويها فيما بعد !!

وأعود الى قصتنا فأقول انه بعد أن طارت وزارة على ماهر فى فبراير عام ١٩٥٢ ، ذهب جمال عبد الناصر مرة ثانية الى رشاد مهنا ، وفاتحه فى موضوع تنفيذ الخطة .. أى قلب نظام الحكم !!

وهنا شعر رشاد مهنا أن المسألة جد ، وان الجيش فعلا يمكن أن يفعلها ـ اليوم ـ ويقلب النظام ، وقد وافق رشاد مهنا فى هذه المرة على الاشتراك فى تنفيذ الخطة ، وقال لجمال عبد الناصر ان معه ناسا ، أى وراءه رأى عام فى الجيش .. ! وقد وضع جمال خطة قلب نظام الحكم على أساس ان رشاد مهنا سيشترك فيها وان معه ناسا وصدرت الأوامر للضباط الأحرار بالاستعداد .. وكان ذلك فى مارس عام ١٩٥٢ .

رشاد مهنا يتراجع ..

وفجأة بعد أن أعددنا كل شيء للتنفيذ ، على أساس اشتراك رشاد مهنا معنا جاء ذلك الرجل الى جمال ليقول له انه نقل الى العريش ..

وعرفنا بعد ذلك ان رشاد مهنا قدم طلبا كتابيا الى رئاسة الجيش للخدمة خارج القاهرة .. ويبدو أنه شعر بعد أن اتفق مع جمال على الاشتراك فى قلب نظام الحكم .. أقول انه شعر بالخوف فقدم ذلك الطلب ليبتعد عن هؤلاء الذين يريدون توريطه فى عملية قد تطير فيها رقبته !

وقد عدلت الخطة بعد تراجع رشاد مهنا وسفره الى العريش وكان لابد من تعديلها بحيث لاتعتمد على رشاد مهنا ، وألغيت الاوامر وأجلت العملية الى أجل غير مسمى ٠

كان موقف رشاد مهنا صدمة لكل الضباط الاحرار وأخرجنا رشاد مهنا من حسابنا نهائيا ، مثلما أخرجنا عبد المنعم عبد الرءوف ، وكان ذلك باعثا على ارتياحى أنا شخصيا لأنى كنت أعرف حقيقة رشاد مهنا أكثر من جميع الزملاء ٠٠ وكان رأيى دائما هو عدم الاتصال به أو الثقة فيه ٠

محمد نجيب والرغبة السامية

مايو ١٩٥٢ ، وكنا فى رمضان ، طلب محمد نجيب عقد الجمعية العمومية لنادى الضباط بناء على رغبة سامية !

وعرض نجيب على الجمعية موضوع قبول عضو من سلاح الحدود ورفض الطلب بالاجماع ٠٠

كان نجيب حتى ذلك التاريخ لا يدرى ما يدور حوله ٠٠ لا يعرف شيئا ولا يرى شيئا ٠٠

ان آخر شيء كان يتوقعه محمد نجيب هو ان يقلب الجيش نظام الحكم ؟

أقول كان لا يعلم حتى ذلك الحين ـ مايو عام ١٩٥٢ ـ ان فى الجيش تنظيما سريا ولم يعرف أى شيء عن الضباط الاحرار ، وانما كان يعرف جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم ٠

ولم يكن يعرفهم على أساس انهم يعملون داخل تنظيم سرى

يعد العدة للقيام بثورة ، بل كان يعرفهم على أساس أن لهم رأيا عاما في الجيش فقط .

هكذا كان وضع قائد الثورة الذى حرر البـــلاد ، وطرد الملك واعلن الجمهورية وحطم الاقطاع وقضى على تجار السياســـة والفساد .

هكذا كان حال اللواء محمد نجيب فى عام ١٩٥٢ أى فى عام الثورة ، رجلا مسالما يرى أن الرغبة السامية لها احترامها ويرى أن المسألة فى الجيش ليست ثورة بل رأيا عاما لجمـــال وصـــلاح وعبد الحكيم !

هكذا كان حال الرجل الذى تحدث عنه العـــالم كله واشاد بثورته المجيدة وببطولته الفذة ، وقيادته للشعب المصرى فى معاركه ضد الاستعمار والاقطاع .. ضد جلاديه .

كان مثل أى رجل فى مصر وفى مثل ســـنه ، مثل أبى وأبيك ..

كان موظفا يجلس الى مكتبه من الصباح حتى الظهر وليس فى ذهنه أى شيء عن العدالة الاجتماعية أو عن الاستغلال والاستبداد ومحنة الاستعمار ، كل الذى كان يشغل باله فى عام الثورة .. عام ١٩٥٢ هو نفس الشيء الذى كان يشغل بال أى موظف كبير فى مثل سنه .. ربما علاوة أو ترقية أو منصبا آخر غير منصبه فى سلاح المشاة !

لم يكن يخطر على باله أن التاريخ يعده ليكون أكثر من هذا .. ليكون على رأس ثورة .. ثم ليكون رئيسا لجمهورية البلاد .. لا رئيسا لسلاح الحدود !

ولم يكن يخطر على باله أن جمال وعبد الحكيم وصلاح الذين يراهم أحيانا كما يرى عشرات غيرهم من الضباط فى كل يوم يعدون

العدة لكي يفتحوا أمامه أبواب التاريخ ثم ليقولوا له ٠٠ تفضل ٠٠ انت زعيم !!

هذا هو وضع محمــــد نجيب فى عام ١٩٥٢ ٠٠٠ فى عام الثورة !! ٠٠

موظف كبير من موظفي الدولة ٠٠ اساءت اليه السراى عندما نقلته من وظيفته ، فقرر القدر أن يعوضه عن هذه الاساءة الهينة بوضعه على رأس الدولة !!

جمال وعبد الحكيم فى القاهرة

وأعود الى القصة فأقول انه فى صيف ذلك العام بحث التنظيم أمر تنفيذ الخطة من جديد ٠٠ وتقرر تأجيل التنفيذ الى نوفمبر من نفس السنة ٠٠ سنة ١٩٥٢

وكان هناك أربعة من الهيئة التأسيسية للتنظيم خارج القاهرة وهم جمال وعبد الحكيم وصلاح وكاتب هذه السطور ٠٠ كنا فى العريش ورفح ٠

وفى شهر يوليو سافر عبد الحكيم عامر الى القاهرة فى أجازة مرضية ، وسافر جمال الى الاسكندرية فى أجازة أيضا ، ثم قطع جمال اجازته وعاد الى القاهرة بعد أن سمع اشـــاعات عديدة عن الاجراءات التى سيتخذها الملك ضد الضباط الاحرار ٠٠ وبعد ان سمع ان هناك أوامر من الملك بسرعة البحث عن هؤلاء الضباط بين أفراد القوات المسلحة للبطش بهم ! ٠

١٥ يوليو ٠٠ ونجيب لا يعرف !

وفى ذلك الوقت أى فى يوليو ٠٠ آى فى شهر الثورة ، كان محمد نجيب مريضا فى منزله ، وأيضا ليس فى ذهنه شىء عن أية ثورة ٠ !

ربما كان أمله الوحيد فى شهر يوليو ان يغادر فراشـــه الى عمله فى سلاح المشاة ، وكان أملنا نحن هو أن يغادر ذلك الرجل فراشه ليذهب الى قصر عابدين رئيسا للجمهورية !

أى موقف ذلك الذى مرت به الثورة المصرية فى ذلك الشهر من عام ١٩٥٢ ٠٠؟!

خطة الثورة توضع وقائد الثورة فى منزله لا يعلم !؟ قائد الثورة فى فراشه والثورة نفسها تجهله ٠٠ قائد الثورة فى فراشه، والثورة نفسها لا تدرى هل هو الذى سيوضع على رأســـها ، أم سيكشف أحد حقيقته فى اللحظة الاخيرة ، مثلما اكتشف صلاح حقيقة فؤاد صادق ٠ !؟

لم يكن هناك وقت على الاطلاق أمام جمال ورفاق جمـــــال لاكتشاف حقيقة محمد نجيب ٠٠ فنحن فى ١٥ يوليو ٠٠ ونجيب لا يعلم شيئا بالمرة ٠٠ ثم يصـــدر الامر بحل مجلس ادارة نادى ضباط الجيش ٠

نجيب فى بيته لا يعلم

صدرت الاوامر بحل مجلس ادارة نادى الضـــباط فى ١٥ يوليو ١٩٥٢ ٠٠ كانت مفاجأة للجميع ، وان كنا نعرف ان القصر كان يتربص بمجلس الادارة المذكور بعد ان لمس مدى سيطرة ذلك المجلس على الموقف وتحديه للرغبات السامية ، ورفضه قبول عضو يمثل سلاح الحدود ٠

ولم تصدر الاوامر فقــط بحل المجلس ، بل وبتعيين مجلس ادارة مؤقت ، ليس للضباط الاحرار عليه سلطان أو نفوذ !

وشعرنا جميعا بأن الضربة الثانية ستوجه للضباط الاحرار، وكان علينـــا أن نبدأ فى العمـــل فورا لنضيع على القصر فرصة البطش بنا ·

وفى ١٦ يوليو عقد اجتماع سريع حضره جمـــال وحسن ابراهيم وكمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين وبغدادى وكان ذلك الاجتماع هو اخطر اجتماعات الهيئة التأسيسية التى كان بعض أفرادها فى فلسطين ورفح فى ذلك الوقت ، وفى ذلك الاجتماع تقرر بدء المعركة الكبرى النهائية ، وكان يجب علينا أن نأخذ بمبدأ المبادأة حتى لانؤخذ على غرة ، ويتوصل جواسيس القصر الى معرفة أشخاص الضباط الاحرار وتشكيلاتهم فى أسلحة الجيش المختلفة ·

الوقت سيد الموقف ··

وكانت هناك حركة تنقلات ضخمة فى الجيش ، وشـــعر التنظيم أن هذه الحركة انما الغرض منها هو تشتيت شمل الضباط الاحرار واحداث ارتباك بين صفوفهم ·· وفعلا حدث ما كانت تهدف اليه رئاسة الجيش ·· فقد بدأت التحركات بين وحـــدات الجيش على أثر صدور حركة التنقلات السريعة وشعر التنظيم بالخلل فى جهازه نتيجة تلك التحركات ·· فهناك ضباط احرار كان عليهم أن يتركوا أماكنهم الى غيرها نتيجة لتلك التحركات الجديدة ·

كانت فترة حاسمة فى تاريخ الضباط الاحرار ، وكان الوقت هو سيد الموقف ·· ولابد من التماسك والتكتل ثم الوثوب عـــلى الاعداء قبل أن تحدث كارثة ·

كانت هناك خطتان ·· نواجه بهما الموقف :

الاولى هى البدء فى تنفيذ الخطة الاساسية ، أى القيام بقلب

نظام الحكم ، واقامة نظام جديد ، فاذا لم يكن هذا ممكنا • أى اذا ما جاءتنا احداث جديدة ، أو ظروف طارئة تؤجل الخطة الاولى وتنفذ الخطة الثانية وقد كانت تقضى بالقيام بحركة اغتيالات على نطاق واسع •

كنا فى ١٨ يوليو ، شهر الثورة •• وعندما استعرضت الخطة الثانية اعترض عليها جمال عبد الناصر •

قال ان الاغتيالات لن تحقق اهدافنا ، لان النظام سيبقى كما هو حتى لو نجحت خطة الاغتيالات •

وقال جمال أيضا ان هذه الخطة سوف تعطى فرصة لقوى الرجعية مجتمعة تقضى فيها على جميع الضباط الاحرار • وبهذا تكون قد ضيعنا الفرصة الكبرى على الشعب ، فرصة قيام القوات المسلحة وهى أمل البلاد الوحيد بقلب نظام الحكم •

١٩ يوليو ونجيب لا يعلم • !

كانت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار توالى اجتماعاتها فى تلك الايام التاريخية الرهيبة المليئة بالاحداث •

وأبلغ جمال الهيئة أنه يمكن تنفيذ الخطة الاساسية بالقوات الموجودة ، وقال ان ذلك يمكن أن يتم ليلة ٢١و٢٢يوليو •

كل هذا كان يحدث وكل تلك الاحداث التاريخية الكبرى كانت تقع واللواء نجيب فى بيته لا يعلم شيئا ولا يرى شيئا •• بل لم يكن قد عرف ان فى الجيش تنظيما سريا سوف يقلب نظام الحكم •• وكنا فى ١٩ يوليو •

وقد صدرت الاوامر لجميع الضباط الاحرار بالانتظار يومية فى « مراكز تجمع » من الساعة الثالثة بعد الظهر حتى منتصف

الليل .. وأبلغوا بموعد التنفيذ ، وكل هذا واللواء نجيب فى بيته لا يرى شيئا ولا يسمع شيئا ، بل ولم نكن قد فاتحناه حتى ذلك الوقت بمسألة قيادته للثورة .. على أى حال لقد كان كل شىء يعد له لكى يدخل من أبواب التاريخ ، لكى يحرر الشعب ، ويطرد الملك ويقضى على الفساد ويعلن الجمهورية ..

كنا جميعا نمهد له الطريق فى تلك الايام نحو الخلود .. كنا نواصل ليلنا بنهارنا لكى يخرج من بيته ـ وهو لا يعلم ـ ويقال له .. أنت زعيم .

رقابنا .. ومصائر أطفالنا وزوجاتنا .. كل هذا لكى يصبح اللواء الذى فى بيته على رأس الدولة وهو لا يعلم .

وكما قلت كنا فى ١٩ يوليو ، أى قبل الثورة بأربعة أيام .

لنتأمل ـ اذن ـ فى هذا الوضع التاريخى العجيب ، وليتأمل معنا العالم كله فى كيف يصبح الرجل ـ أى رجل ـ زعيما وقائدا لثورة شعبية فى أربعة أيام .. فى غمضة عين .

أليس هذا شيئا أشبه بالسحر ؟ الا يذكرنا هذا بمصباح علاء الدين وخاتم سليمان ، والعملاق الذى يخرج من القمقم ليقول : شبيك لبيك عبدك وملك يديك !

لقد قلنا للواء نجيب هذا .. قلنا له شبيك ولبيك وكل ما تطلبه بين يديك .. وطلب أن يكون فكان .

العمالقة على باب نجيب ..

قلت اننا كنا فى ١٩ يوليو ، وكانت الاوامر قد صدرت الى مجموعات الضباط الاحرار ، وكان على كل مجموعة أن تنفذ دورا معينا فى الخطة .

وكان جمال عبد الناصر هو الذى وضع الخطة العامة وعاونه عبد الحكيم عامر وكمال حسين ، وكان عبد الحكيم فى تلك الايام كما قلت ـ فى الفصل السابق ـ فى أجازة مرضية ٠

وتم وضع الخطة العـــامة ثم كلف عبد الحكيم بوضع الخطـــة التفصيلية واستعان عبد الحكيم بزكريا محيى الدين ٠

وفى ٢٠ يوليو أى قبل الثورة بثلاثة أيام توجه جمـــال عبد الناصر وعبد الحـــكيم عامر الى بيت محمد نجيب لابلاغه بأنه الزعيم والقائد ومحرر البلاد الذى سيقلب نظام الحكم ٠

وطرق العملاق باب البيت وكان عند نجيب البكباشى جلال ندا والصحفى محمد حسنين هيكل ٠٠ وكانت الانظار قد اتجهت الى نجيب فى ذلك الوقت بعد أزمة مجلس ادارة نادى الضباط ٠

وأقول مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى الالف ان نجيب لم يكن يعلم لـــاذا جاء جمال وعبد الحكيم ٠٠ وربما ظن أن الاثنين جاءا لمواساته بعد حل مجلس ادارة النادى ولتشجيعه كالعادة ٠٠ وتظاهر جمال وعبد الحكيم انهما جاءا للاستفسار عن صحة اللواء ٠٠ وبدأ الحديث فى موضوع آخر غير موضوع الثورة ٠٠ فلا أحد فى الحجرة كان يعلم ماذا فى رأس جمال وعبد الحكيم ، ولا أحد فى الحجرة ـ حتى نجيب ـ كان يتخيل انهما جاءا ليقولا لنجيب : أيها القائد٠٠ أنت زعيم الشعب ٠

والحديث الذى دار كان حول موضـــوع نادى الضباط فقد كان ذلك الموضوع هو حديث الناس فى ذلك الحين ، ودار الحديث ـ كما قلت ـ حول التصرف الذى يمكن أن يحدث بعد حل مجلس ادارة النادى ٠٠ وقال جمال عبد الناصر :

ـ احنا عاوزين نرفع قضية أمام مجلس الدولة ٠٠٠ ومحتارين مين اللى يرفعها ؟

وقال جلال انه مستعد أن يرفع القضية باعتباره ضابطا على المعاش وعضوا فى النادى .

ومضى جمال حتى نهاية الشوط فأخرج ستة جنيهات واعطاها لجلال ندا كمصاريف للقضية .. ولم يتمكن جمال وعبد الحكيم من الانفراد بنجيب ، وكان عليهما أن يتظاهرا أمام ندا وهيكل بأنهما ما جاءا الا للاستفسار عن صحة نجيب .

وظلا جالسين فترة طويلة ، والحديث يدور حول نفس الموضوع .. وحول القضية التى سيرفعها جلال ندا أمام مجلس الدولة .. وأخيرا لم يجد جمال وعبد الحكيم بدا من الانصراف .. دون أن يفاتحا « نجيب » فى مسألة الثورة .. أما هو فكان لا يدرى ماذا فى رأسيهما .

وبعد تلك الزيارة ـ فى ٢٠ يوليو ـ لمس جمال انه ربما يكون من الخطر على الثورة الاتصال بنجيب مرة ثانية . اذ ربما انه كان فى ذلك الوقت موضوعا تحت المراقبة .

وأمام هذا الخاطر قرر جمال الاتصال بنجيب بعد نجاح الخطة .. أى بعد القيام بالثورة .

ازمة النادى وازمة الحكم

وجاء يوم ٢١ يوليو .. ولم تكن الخطة التفصيلية قد فرغ منها بعد .

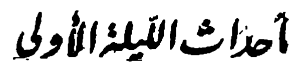
وأجلت العملية من ليلة ٢١ ـ ٢٢ الى ٢٢ ـ ٢٣ حتى يمكن استدعاء جميع الضباط الاحرار الذين مازالوا فى الاجازة ، وكان

كمال الدين حسين هو حلقة الاتصـــال معهم ‥ يبلغهم تطورات الموقف أولا بأول ٠

فماذا حدث بعد ٢١ يوليو ؟!

أى قبل الثورة بيومين اثنين ؟!

ان نجيب لم يعرف ٠ كان لا يزال ينتظر فى منزله حل أزمة نادى الضباط ، أما نحن فكنا ننتظر حل أزمة نظام الحكم ٠


أحداث الليلة الأولى

أحداث الليلة الأولى

تأجلت عملية قلب نظام الحكم من ليلة ٢١ ـ ٢٢ الى ٢٢ ـ ٢٣ يوليو ، حتى يمكن استدعاء جميع الضباط الاحرار الذين كانوا فى الاجازة ٠

وكمال الدين حسين كان حلقة الاتصال بين التنظيم وبينهم ، ليبلغهم تطورات الموقف أولا بأول ، بعد أن اتخذت الجمعية التأسيسية للضباط الاحرار قرارا ببدء الثورة ٠

وكنت قد قلت فى مقال سابق ان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ذهبا الى بيت اللواء نجيب يوم ٢٠ يوليو ، ليبلغاه ـ ولأول مرة ـ أن فى الجيش تنظيما سريا له تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة ٠

ثم ليبلغاه أيضا أن هذا التنظيم السرى الضخم قرر القيام بقلب نظام الحكم وانه ـ أى التنظيم ـ قد اختاره ليكون قائدا للثورة وأن العملية ستبدأ بين لحظة وأخرى !

وفى بيت نجيب وجد الرفيقان زوارا عنده ، فلم يتمكنا من ابلاغه هذه الحقائق ودار الحديث حول الموقف بعد حل مجلس ادارة نادى الضباط ، وكان نجيب يجهل تماما الغرض الذى جاء من أجله جمال وعبد الحكيم ، كان يعتقد أنهما ما جاءا الا لزيارته ، ولتشجيعه ـ كالعادة ـ بعد أن حل مجلس ادارة نادى الضباط ٠

ومر الوقت والزوار مع نجيب ، والرفيقان يتحدثان عن كل شيء ما عدا ـ الثورة ـ وقلب نظام الحكم .

ثم خرجا بعد أن أوهما الزوار ومحمد نجيب أيضـــا أن كل ما يشغل بالهما هو رفع قضية فى مجلس الدولة ، لعدم شرعية حل مجلس نادى الضباط وتعيين مجلس جديد له .

وفى ذلك اليوم ـ ٢٠ يوليو ـ قرر جمال عدم الاتصـــال باللواء نجيب ، لابلاغه بأن الثورة ستقوم وأنه قائدها الا بعد انتهاء العملية ونجاحها .

لقد قال جمال ان بيت نجيب ربما كان موضوعا تحت المراقبة، بعد أن ظهر أمام السراى كخصم لحسين سرى عامر ، وفى هذه الحالة يصبح الاتصال بنجيب قبل بدء العملية خطرا على الثورة .

الوزارة الخامسة والأخيرة !

وبعد هذا أى فى ٢٠ يوليو ، تحدد موعد قيام الثورة نهائيا ليلة ٢٢ ـ ٢٣ يوليو ، وصدر ذلك القرار بالموعد النهـــائى من أعضاء الجمعية التأسيسية الموجودين فى القاهرة ، ولم أكن موجودا يومها فى القاهرة وأيضا صلاح سالم وجمال سالم فقد كنا فى العريش ورفح .

وفى ذلك الوقت ، عندما قررت القوات المسلحة قلب نظام الحكم فى البلاد كان حسين سرى قد اســـتقال مع وزارته ، وهى الوزارة المشهورة التى كان كريم ثابت ـ باشا ـ وزيرا فيها .

ودارت المشاورات كالعادة لتأليف الوزارة الخامسة بعد حريق القاهرة .

وكانت حكومة حسين سرى فى قبضـــة السماسرة والخدم ،

وكذلك كانت كل الوزارات التى تكونت بعد حريق القاهرة ، لايكاد أفرادها يستقرون على مقاعد الحكم حتى تتحرك أصبع سمسار أو خادم فيطيروا من فوق المقاعد كالدمى ...

كيف يحكم الشعب ؟

ان نظام الحكم فى ذلك الوقت كان يتهاوى من تلقاء نفسه والبلاد معه ..

والمسألة كانت : هل يحكم الشعب أم يحكم القصر عن طريق عملائه من أمثال كريم ثابت ؟!

ان الشعب كان لا يحكم على الاطلاق فكانت الوزارات التى تتكون تبدو كحكومات لشعوب أخرى تعيش فى بلاد أخرى غير مصر .

فكيف ـ اذن ـ كان يمكن أن يحكم الشعب .. والقوات المسلحة هى التى كانت قيادتها تحمى النظام نفسه !؟

كان حتما ـ اذن ـ كما قلت فى مقالاتى كلها أن يتخلى الجيش عن قيادته الخائنة المتآمرة مع القصر والاقطاع والاستعمار على الشعب ..

تلك القيادة التى خضعت للقصر وحكومة الوفد أيام معارك القنال ، فمنعت القوات المسلحة من خوض تلك المعارك جنبا الى جنب مع أبناء البلاد على اختلافهم .

كيف ظهرت القيادة الجديدة ؟

وكما قلت وسأقول دائما ان الثورة المصرية كان عليها فى عام ١٩٥٢ ، أن تجد قيادة جديدة لها .

قيادة غير وفدية ، لأن الوفد انسلخ عن الشعب عندما ضمت قيادته الاقطاعيين .

وغير قيادة السعديين والأحرار الدستوريين الذين يمثلون مصالح الساسة الذين خلقهم الاستعمار والقصر والرجعية المصرية.

وغير قيادة الاخوان ، لأن الاخوان أهدافهم هى استغلال الدين لمصالح الرجعيين ..

هو الدين الذى تقف آياته فى صف الشعوب لا حكامها ..

أين - اذن - كان يمكن أن تظهر قيادة شعبية للثورة المصرية ؟ ...

وفى أى صفوف بين هذه الملايين المصرية المستعبدة يمكن أن يخرج زعماء يولون وجوههم شطر الشعب ويعطون ظهورهم للاستعمار والقصر !

ليس هناك سوى القوات المسلحة كما قلت ، فهى الصفوف التى تضم ألوف المصريين المسلحين ..

والضباط والجنود الذين تضمهم تلك القوات ليسوا مرتبطين - بأية مصالح - مع القصر والاقطاع وحاميهما الاستعمار ! ..

فقيادة الثورة المصرية تكون فى هذه الحالة خاضعة لمصالح الشعب ، ويمكن أن تمضى فى الطريق الذى يحقق تلك المصالح .

وكانت منشورات الضباط الأحرار تعلن أهداف تنظيمهم الضخم الذى يعمل لقلب نظام الحكم فى البلاد ، وهى - أى المنشورات - كانت تحدد اتجاهات الشعب تماما ، فى السياسة وفى الاجتماع ، كانت المنشورات صدى لما يعتمل فى صدور الملايين المصرية ! ..

وفى كل صباح كانت تلك المنشورات تحمل أهداف القيادة الجديدة ٠٠ الى الشعب والجنود والضباط ٠

والضباط الاحرار كانوا قد انتشروا بالعشرات فى جميع وحدات الجيش ، حتى أن ادارة المخابرات وهى من أخطر أجهزة الجيش وأمنعها كان للضباط الاحرار أفراد فيها !

وأمام هذه الحقائق كلها تقرر قلب نظام الحكم بواسطة القوات المسلحة ٠٠ وتحددت ـ كما قلت ـ ليلة ٢٢ ـ ٢٣ ، للبدء فى العملية ٠٠ لقد ظهرت القيادة الجديدة !

فى مطار العريش

وفى يوم ٢١ يوليو ٠٠ فى ساعة مبكرة من الصباح كانت هناك طائرة تتجه من القاهرة الى العريش ٠٠ وهى الطائرة نفسها التى تسافر الى العريش عادة كل يوم ـ اثنين ـ لكن فى هذه المرة كان حسن ابراهيم فيها ، أرسله جمال عبد الناصر الينا ٠٠ صلاح سالم وجمال سالم وأنا ٠

وكان جمال عبد الناصر قد اتصل بنا تليفونيا واخطرنا بأن « حسن » فى طريقه الينا ٠٠ وفى مطار العريش كنت مع جمال سالم فى انتظار الطائرة ٠

جاء حسن ابراهيم ليبلغنا أن الخطة الأساسية ستنفذ مابين ٢٢ يوليو و ٥ أغسطس !

وطلب حسن منى أن أسافر على الفور الى القاهرة لمقابلة جمال عبد الناصر ٠

وقال جمال سالم انه مادامت الخطة ستنفذ خلال هذه الفترة،

فانه سيبقى فى العريش لينهى بعض الاعمال العاجلة ، ثم يطير الى القاهرة يوم الخميس .

وتركت حسن ابراهيم لأعود الى رفح سريعا ، وأعددت حقائبى على الفور ، ثم استأذنت من قائدى فى السفر ، بعد أن أخبرته أن والدتى مريضة جدا .. وكان القطار الذى يسافر الى القاهرة يقوم فى الصباح !

وفى صباح ٢٢ يوليو كنت جالسا فى قطار القاهرة .

من السينما الى المعركة

وفى محطة القاهرة وكانت الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ، رأيت أن أقضى السهرة مع أولادى فى احدى دور السينما الصيفية القريبة من منزلنا .. اعتزمت هذا على أساس أننى سأتوجه فى الصباح التالى لأقابل جمال عبد الناصر وأتلقى منه ما يخصنى من أوامر لتنفيذ الخطة .

وكانت دار السينما تعرض - كالعادة - ثلاثة أفلام مرة واحدة ... وجلست مع الاولاد فى السينما نتابع الروايات الثلاث .

وفى خلال تلك المدة كان جمال قد ذهب الى منزلى بسيارته الاوستن المشهورة ولم يجدنى ، ولم يعرف البواب دار السينما التى ذهبنا اليها وعاد جمال يسأل مرة أخرى بعد ساعة فلما لم يجدنى ، ترك لى بطاقة مع البواب كتب عليها :

« **المشروع** ينفذ الليلة ، المقابلة فى بيت عبد الحكيم الساعة ١١ ... »

وجمال فى تلك الليلة كان يلف بسيارته فى جميع انحاء القاهرة كالنحلة تماما .. ليوزع الاوامر على الزملاء ..

وما كاد البواب يناولنى البطاقة بعد عودتنا من السينما حتى وجدت نفسى أقفز فوق درجات السلم الى شـــقتى ، تاركا أولادى مذهولين مع البواب ! ••

وخلعت القميص والبنطلون ، وارتديت ثيابى العسكرية ، ثم ركبت سيارتى الخاصة الصغيرة وانطلقت بها •

اننى لم أجد أحدا فى بيت عبد الحكيم عامر ، فأين أذهب ؟ كنت حائرا •• !

الملازم الذى قبض على !

لم أر بدا من التوجه الى مبنى رياسة الجيش ، لابد أن قواتنا قد اتجهت اليها مادامت العملية قد بدأت ، وكنت منطلقا فى شوارع القاهرة بأقصى سرعة تحتملها السيارة الصغيرة ، وعند قشـــلاق العباسية أوقف أحد الضباط ســيارتى ولما رأى رتبتى خاطبنى بلهجة حاسمة مليئة بالحزم ، بالرغم من أنه كان يوزباشيا لكنه كان من الضباط الاحرار ••

قال لى ألا أذهب الى وحدتى فى الصباح وأن أكون فى انتظار أوامر جديدة !

وعلمت أن تلك كانت صيغة الامر الذى يبلغه الضـــباط الاحرار الى جميع الضباط من رتبة بكباشى فما فوق !

وتابعت مسيرى فوصلت الى قشلاق السوارى ، وكان الطريق هناك مقفلا ، وتأكدت أن العملية بدأت فعلا وخاصة بعد أن سمعت أصوات مئات الطلقات وهى صادرة من ناحية مبنى القيادة ••

وأردت أن أمر من « الكردون » الذى صنعته قواتنا ، ولـكن

الضابط منعنى ، وكان صارما جدا معى ٠٠ لانى لا أعرف كلمة السر ٠

كان موقفى رهيبا ٠٠ فبلا كلمة السر لن يسمح لى الضابط الصغير أن أمر من « الـــكردون » الا على جثته ! فكيف أتصرف معه ؟!

كيف أقنعه أني من الأحرار ٠٠ كيف أدعه يتركنى أخـوض المعركة مع قواتنا ٠٠

لقد كنت أرى أشباحا عديدة من بعيد ٠٠ انها قواتنا تقلب نظام الحكم ، وأنا واقف خلف « الكردون » والضابط الصـــغير يمنعنى بل وبدأ يتحرش بى ٠٠

وامتلأت رأسى بمئات الخواطر ٠٠ ترى هل أصيب أحد من الزملاء ٠٠ ترى ماذا يصنع جمال الآن ٠٠ وأين عبد الحكيم ٠٠ أين الجميع وماذا صنعوا ؟!

وعدت بسيارتى ثم اضـــطررت الى اللف من فوق كوبرى القبة ، لأمر من المدخل الثانى للكوبرى الذى يواجه مســتشفى الجيش ٠

وهناك وجدت الطريق مغلقا أيضا ، ولكن ضابط «الكردون» كان يعرفنى ٠٠ لمحت وجهه من بعيد فعرفته ، انه ملازم أول كان يعمل معى فى رفح ، وهو يعرفنى شخصيا قضينا معا وقتا طويلا فى مكان واحد ٠

واقتربت من « الكردون » وقد استراحت أعصابى قليلا ٠٠ أضاء الامل فى صدرى ٠٠ سوف أمر اذن واشترك فى العملية !

وما كدت اقترب حتى سمعت صوت الملازم صديقى وهـــو يمنعنى من الاقتراب ٠٠ ثم وهو يقترب منى ويرى وجهى ٠٠ لكن

ظهر على وجهه علامات تبشر بالخير ، فبالرغم من انه عرفني الا انه كان لا يعلم انى من الضباط الاحرار فألقى القبض على فى الحال ..

وهنا شعرت بصدرى يمتلىء بالضيق وبرأسى تكاد تنفجر حاولت افهامه دون جدوى ، ان الصداقة التى تربط بيننا لم تشفع لى عنده فى معركة الحياة أو الموت .. فلم يصدقنى لانى لا أعرف كلمـــــة السر ولم أعرف ماذا يمكننى أن أفعل وزاد من هلعى أن أصوات الطلقات النارية من قريب ازدادت حدتها . !

يا عبد الحكيم .. أنا أنور . !!

وفجأة أضاء الامل مرة ثانية صدرى . وكنت مـــع الملازم صديقى الذى قبض على فوق الكوبرى ، فسمعت صوتا من بعيد يشبه صوت عبد الحكيم عامر .. واجتاحنى شعور بالخلاص ، كان الصوت القريب الى نفسى يصدر تعليمات الى قوات كثيرة ، ويحدد لها أماكنها .. وفى هذه اللحظة كانت العربات المحملة بالجنـــود والضباط تمر من أمامى ، انها قواتنا بدأت تقلب نظام الحكم !

ووجدت نفسى أنادى بملء صوتى :

يا عبد الحكيم .. يا عبد الحكيم .. أنا أنور . !

ورأيت شبح عبد الحكيم يقترب منا .. وهنا فقط أفرج عنى صديقى الضابط !

البطل الصامت . !!

ومضيت مع عبد الحكيم .. لم يكن معى ســـلاح ، وناولنى عبد الحكيم طبنجة .. وهو فى تلك الليـــلة كان يحمل كل أنواع الاسلحة الصغيرة ..

وبدأت أســـأل عبد الحكيم فى لهفة عن الموقف .. وكان صوت الطلقات لا يزال يدوى كالرعد من حولنا ، وقال عبد الحكيم :

ـ رئاسة الجيش سقطت ..

وصمت ثم عاد يرد على أسئلتى فى هدوء عجيب ..

قال لى :

ـ الطلقات اللى انت سامعها دى عملية تطهير لمبنى الرئاسة !

ولم يقل لى عبد الحكيم فى تلك اللحظـــة انه هو الذى قاد معركة رئاسة الجيش ، وأنه هو الذى احتلها بجنوده !

هو الذى قاد الجنود ثم تقدمهم واقتحم بهم المبنى وهو يحمل طبنجته .. تماما مثلما فعل ذات يوم فى فلسطين .. عندما تقـدم وفى يده مسدس ومن خلفه عساكره واقتحم مستعمرة نيتساليم.. وكان تصرفه ذاك أشبه بالاساطير التى ترويها لنا جداتنا ...

ولولا انه رقى الى رتبة صاغ استثنائيـــا لما عرف أحد ماذا صنعه يوم نيتساليم .. انه صامت على الدوام ، لا يتكلم أبدا عن نفسه ، وأعصابه تبدو كأنها فى أعماق الجليد !!

لقد كان عبد الحكيم عامر دائما باسلا حاسما يخوض معاركه بايمان راسخ متين وأعصاب تبدو ساعة المعارك كأنها الفولاذ !

انه فى يوم نيتساليم بمسدسه وعساكره من خلفه .. وفى يوم رئاسة الجيش بمسدسه وعساكره من خلفه ..

وفى يوم ٢٧ فبراير فيما بعد .. فى عام ١٩٥٤ حين تدخـل ببسالته وحسم الموقف ، فمنع بجرأته قيام حرب أهلية كانت على وشك أن تقع بعد دقائق ..

أقول فى كل هذه المواقف كان عبد الحكيم بطلا اسطورية يحمل رأسه على كفيه وبايمان لايزعزعه رصاص أو ديناميت !

المخابرات تعرف الخطة

وأعود الى قصتنا ٠٠ الى قصة سقوط رئاسة الجيش ٠٠ بمن فيها من قواد !!

فى الساعة الحادية عشرة مساء يوم ٢٢ يوليو ، توجه أحد ضباط المخابرات ، اليوزباشى سعد توفيق وهو من الضباط الاحرار وابلغ جمال عبد الناصر أن الخطة اكتشفتها رئاسة الجيش ، وأن حسين فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش قد دعا قواد الوحدات الى مؤتمر عاجل فى مبنى الرئاسة ٠٠

جمال كقائد ٠٠

وكان معنى ذلك أن الثورة لن تقوم ٠٠ بعد أن عرفت قيادة الجيش خطة الضباط الأحرار ٠٠

ولكن جمال عبد الناصر لم يتراجع ٠٠ ان العملية قد بدأت ولا سبيل الى التقهقر ، فلم يبق غير ساعة واحدة وتصل جميع قواتنا الى مراكز تجمعها ٠٠ وتبدأ المعركة !!

أقول لم يتراجع جمال ، بل قرر القبض على هؤلاء القواد الذين دعاهم حسين فريد للاجتماع فى مبنى الرئاسة !!

وفى ذلك الوقت ، وبعد كل التطورات كان اللواء محمد نجيب لا يزال فى منزله ٠٠ لا يرى شيئا ولا يسمع شيئا !

كيف نجحت الثورة؟

شخصية جمال

بدأت الثورة اذن ـ واللواء نجيب لا يعلم ..

وانطلقت رصاصات جنود عبد الحكيم عامر حول مبنى رئاسة الجيش وسقطت القلعة المنيعة فى ثوان .. وبقوادها .

لقد كان بين الذين وقعوا فى قبضة الثورة فى لحظاتها الاولى رئيس هيئة أركان حرب الجيش بلحمه ودمه . !

لقد وفر لنا كشف المخابرات لخطتنا وقتا طيبا ، كما وفر علينا جهودا ضخمة فى نفس الوقت ، فبعد أن علم جمال عبد الناصر بأن المخابرات كشفت الخطة كان مفروضا أن تقف جميع العمليات التى سيقوم بها الضباط الاحرار يوم ٢٢ يوليو .. أى تقف الثورة ويبقى النظام .. !

وهنا تتضح شخصية جمـــال كقائد .. انه لا يتراجع .. انه يصمد .. يقرر هذا بعد أن علم باجتماع قواد الوحدات لمواجهة الثورة واخمادها .. وبعد أن عرف هذا كله قرر القبض على هؤلاء القادة فى مبنى رئاستهم ، وبهذا يوفر التنظيم جهودا ضخمة فى الرجال والوقت كانت ستبذل للقبض على هؤلاء القواد فى منازلهم .. كل على حدة !

لقد اصطاد جمال عصافير عديدة بحجر واحد .. أما الحجر فكان عبارة عن مجموعة من الجنود فوجىء جمال بهم ليلة الثورة وهم يتقدمون تحت رئاسة ضابطهم ـ اليوزباشى محمد شديد ـ نحو

مراكز تجمع قوات الضباط الاحرار ٠٠ وظن جمال أن تلك القوة أوفدتها رئاسة الجيش كمقدمة للقوات التى ستحشدها لاخماد الثورة ٠ !!

وتتضح الحقيقة ٠٠ ويعرف جمال ان اليوزباشى « شديد » جاء بتلك القوة التى تعمل تحت رئاسته من تلقاء نفسه ، وبلا أوامر من أحد عندما علم بأنباء الثورة ، فقرر أن يشترك بجنوده فى المعركة قبل موعد بدئها بساعة ٠ !!

وكانت تلك المفاجأة مكملة لمفاجأة كشف المخابرات للخطة ، واجتماع قواد الجيش العاجل بدعوة من حسين فريد فى مبنى الرئاسة ٠ !

واتخذ قرار فى الحال بعد وصول قوة الضابط شديد بأن تتوجه نفس القوة برئاسة عبد الحكيم عامر وتحتل مبنى رئاسة الجيش ثم تلقى القبض على القادة أثناء اجتماعهم العاجل ٠ !

وفعلا قام عبد الحكيم وهو يشهر مسدسه ، وتقدم الجنود ثم اقتحم بهم مبنى الرئاسة وانتصر التنظيم فى المعركة الاولى ، وهى كانت أول معركة حاسمة ، تكسبها الثورة ٠ !

وقد قتل فى تلك المعركة اثنان وجرح أربعة من الفريقين ٠ '

مفيش حاجة

كان كل واحد من الضباط الاحرار يحتل مكانا معينا فى أرض العملية ، وكل واحد كان عليه تنفيذ جزء من الخطة ٠٠ ولعل جمال عبد الناصر كان الوحيد الذى ليس له مكان يستقر فيه ٠٠ كان يطوف بأرض العملية كلها ٠ !

وبعد أن سقطت رئاسة الجيش وقبض على رئيس هيئة

أركان الحرب وقواده كان جمال قد انتهى من طوافه ، واطمأن على نتائج الضربة الاولى فتوجه الى مبنى رئاســة الجيش وجلس فى المكتب ·· ثم دق جرس التليفون بعد وصول جمال بقليل ، وكان المتحدث هو اللواء عبد الله النجومى ··

وسمع جمال النجومي يسأل عن حسين فريد رئيس هيئـة أركان الحرب ·· ورد عليه جمال بأن الباشا يقوم بجولة تفتيشية !

وسأل النجومى عن اسم من يتحدث اليه فقال له جمال انه الضابط النوبتجى !

والنجومى كان يتحدث من الاســكندرية ليطمئن على الموقف ·· وسمع جمال النجومى يقول له :

ـ حسين فريد وهوه بيكلمنى من شوية ســمعت ضرب نار والسكة انقطعت ·

ورد عليه جمال فى هدوء :

ـ لا ·· مفيش حاجة أبدا !

رشاد مهنا مرة أخرى

وفى الساعة الثانية من صباح ٢٣ يوليو بلغت من القـاهرة اشارة ـ النجاح ـ المتفق عليها الى جميع وحـدات الجيش خـارج القاهرة ·· فلم تمض ســاعة حتى كانت جميع وحدات القوات المسلحة يسيطر عليها الضباط الاحرار ·

فقد كانت التعليمات تقضى بأنه بمجرد تبليغ اشارة النجاح يسيطر الضباط الاحرار على القوات فى الحال ·

وفى العريش ورفح كان صلاح سالم وجمال سالم قد سيطرا

على جميع القوات هناك سيطرة كاملة ٠٠ بمن معهما من ضباط أحرار ٠

وفى تلك اللحظة وبعد أن سيطر جمال سالم وصلاح سالم على قوات العريش ورفح توجه جمال سالم الى رشاد مهنا ٠٠ وكان وقتذاك فى العريش كما سبق ان قلت ، وطلب جمال سالم من رشاد مهنا أن يتولى قيادة لواء العريش وبالرغم من أن رشادا كان قد عرف أنباء نجاح التنظيم فى السيطرة على الجيش ، الا أنه تردد أيضا فى هذه المرة مثلما كان دائما يفعل كلما اتصل به أحد من التنظيم ليطلب منه أن يشترك فى العمليات !

وبعد أن رفض رشاد مهنا أن يتولى القيادة فى العريش ، طلب جمال سالم من صلاح حتاته ـ رئيس الدائرة الاولى لمحكمة الشعب فيما بعد ـ أن يتولاها وفعلا تولى صلاح قيادة لواء العريش بدلا من رشاد مهنا !

حقيقة تعلن لأول مرة ٠٠ !

أين كان نجيب أثناء هذا كله ٠٠ وماذا كان يفعل ٠٠ والساعة كانت الثالثة من صباح ٢٣ يوليو ٠٠ وكل شىء كان قد تم بنجاح مذهل ، وأقول كل شىء لأن قيادة الضباط الاحرار كانت تؤمن بأن السيطرة على القوات المسلحة بعد ابعاد قيادتها الخاضعة للملك هو الاساس فى عملية قلب نظام الحكم !

وقد تم هذا فعلا فى الساعة الثالثة من صباح ٢٣ يوليو ٠٠ وسيطر الضباط الاحرار على جميع قوات مصر المسلحة فى القاهرة وخارج القاهرة فى تلك الساعة ! ٠

فأين كان اللواء محمد نجيب ٠٠٠ قائد الثورة ؟!

أين كان فى تلك الساعة ·· بعد نجاح العملية الكبرى وبعد أن أصبح نظام الحكم بلا جيش يحميه ·· ويذود عنه !

فى الساعة الثالثة صباحا من ٢٣ يوليو بدأ أول اتصال بين قيادة الجيش الجديد ـ أعنى الضباط الأحرار ـ وبين محمد نجيب ·· وهذه حقيقة تعلن على العالم لأول مرة !

وكان ذلك الاتصال عن طريق التليفون !

لقد دق جرس التليفون فى رئاسة الجيش للمرة الثانية ، ورفع جمال عبد الناصر السماعة · وظن أن المتحدث هو اللواء عبد الله النجومى أيضا ·· يريد أن يطمئنه حسين فريد على الحالة !

ولكن المتحدث فى هذه المرة كان اللواء محمد نجيب ·· وكان يتكلم من منزله ·· وقال محمد نجيب بالحرف الواحد :

ـ « المراغى اتصل بى من اسكندرية ·· وقال لى روح هدى الحالة فى رئاسة الجيش ·· هيه ايه الحالة يا جمال !؟ »

وانى أنقل هنا ما كتبه اللواء محمد نجيب بنفسه فى عدد الاهرام الصادر فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٤ ونشرت الجريدة ما كتبه نجيب فى صفحتها الاولى تحت عنوان ·· قائد الثورة يسجل ·

قال نجيب عن حديث المراغى معه بالحرف الواحد :

ـ دق جرس التليفون فى منزلى ، واذا بالأستاذ مرتضى المراغى يكلمنى من الاسكندرية ويقول لى : الاولاد بتوعك متجمهرين عند كوبرى القبة وعاملين دوشة ·· قوم سكتهم أحسن مش راضيين يسمعوا كلام حد !

وقلت له : أنا ما عنديش أولاد ولا حاجة !

قال لى : فيه شوية ضباط متهورين عاملين دوشة ·· !

قلت له : أعرف منين الكلام ده ، يمكن حد مدبر مكيدة ضدى علشان أروح وتمسكونى وتقولوا ده شريك معاهم .

فقال لى المراغى : أنا حا أجيب لك دولة الرئيس الهلالى باشا علشان يكلمك بنفسه ويعطيك عهد ان ما حدش يمسكك .

قلت له : وازاى أتحقق من شخصيتكم فى التليفون ؟!

ومرت لحظات ، واذا بالتليفون يدق من جديد ، وكلمنى الاستاذ نجيب الهلالى من الاسكندرية وقال لى :

ـ أنا أستاذك يا نجيب .. ومستقبل الوطن متوقف عليك ، فأرجوك تعمل على تهدئة الحالة لان الانجليز سيحتلون مصر ، وتبقى مسألة خطيرة .. فطمأنته وقلت له : « انى ذاهب لأرى الحالة بنفسى » .

انتهى ما كتبه نجيب فى الاهرام عام ١٩٥٤ .

والذى لم ينشره اللواء نجيب فى الاهرام هو حقيقة ما فعله بعد اتصال المراغى والهلالى به ليلة ٢٣ يوليو .. انه كان فى منزله .. لا يرى شيئا ولا يعلم شيئا ... ثم فى الساعة الثالثة اتصل بجمال فى مبنى القيادة ـ كما قلت ـ وبعد أن كان كل شىء قد تم وأصبح الجيش تحت سيطرة الضباط الاحرار ! .

وقد رد جمال على سؤال نجيب بأن أوضح له الموقف كله .. وأبلغه ـ لأول مرة ـ ان فى الجيش تنظيما اسمه تنظيم الضباط الاحرار ، وان قيادة ذلك التنظيم قد سيطرت ـ الآن ـ على جميع القوات المسلحة فى جميع أنحاء البلاد !

قال جمال لنجيب بالحرف الواحد فى تلك الساعة من صباح ٢٣ يوليو شارحا له الحكاية :

ـ الضباط الاحرار قاموا بالثورة الليلة ٠٠ والثورة نجحت والمنطقة العسكرية محاصرة ٠٠ واحنا عايزينك تيجى ، حانبعتلك عربية تجيبك ٠

وهكذا عرف نجيب ـ لأول مرة ـ حكاية الضباط الاحرار !

وفى الساعة الخامسة صباحا ٠٠ أى بعد ساعتين من معرفة نجيب لحكاية الثورة ، وبعد أن عرف « جمال » يجلس ـ الآن ـ مع أعضاء القيادة الجديدة فى مبنى رئاسة الجيش أقول فى الساعة الخامسة وصل نجيب الى مبنى رئاسة الجيش ٠٠ وفى هذا الوقت كان عبد الحكيم عامر جالسا يعد البيان الذى سيذاع على الشعب فى الصباح من محطة الاذاعة ٠

وجلسنا جميعا فى مبنى القيادة نرقب شروق الشمس ٠٠ وكل شىء قد كلل بالنجاح الساحق ، ولم نكن نتوقع النجاح بهذه الصوزة السريعة الخاطفة !

القاهرة تستيقظ

وأشرقت الشمس على القاهرة ، ثم خرج الناس من منازلهم، وامتلأت شوارع المدينة الكبيرة بهم ، وخرج أفراد منا الى المدينة ليروا بأنفسهم مدى انعكاس الثورة على الشعب ثم بدأ الصحفيون يفدون الى مبنى القيادة ٠٠ ان الشعب يؤيد ما حدث ٠٠ ان الشعب يعلن تأييده فى كل شبر فى البلد ، الناس فرحون ٠ كل الناس ٠ فقد كانت فرصة العمر !!

صحيح ان الشعب فوجىء بما حدث ، لكن المفاجـــأة أيقظت وعيه فى الحال ، فوقف الى جانب القوات المسلحة لايمانه بأنهـــا ستتولى تصفية حسابه مع جلاديه !!

ان الذى كان يطوف بشوارع القاهرة فى صباح ذلك اليوم التاريخى ، كان يرى صورا للشعب مليئة بالأمل والثقة !

ان بائع « الخروب » الذى وزع ما يحمله على الناس مجانا فى ميدان السيدة زينب ، كان يعبر بتصرفه ذاك عن ايمان الشعب بما حدث ، وأيضا كان يعبر عن حاجة الشعب الملحة الى قيام ثورة ٠

وغير بائع الخروب ٠٠ مئات من الصور الباهرة التى كانت تعكس فى صدق كبير بهجة الشعب بما حدث فى تلك الليلة ٠٠ بثورة القوات المسلحة من أجله !

وفى القاهرة كانت قيادة الثورة المصرية وليدة أحداث ٢٣ يوليو تستعد للمرحلة الثانية من الخطة الأساسية ، وتلك الخطة كانت تعتمد على ثلاث مراحل :

الأولى : السيطرة على القوات المسلحة ٠

والثانية : السيطرة على البلد ٠٠

والثالثة : طرد الملك ٠

وفى الاسكندرية كانت حكومة البلاد والملك يترقبان ما سوف يجرى بعد ذلك فى حيرة ٠٠ وربما كانت الحكومة والملك ، بل وكل أعداء الشعب ٠٠ كانوا لا يتوقعون أن يمضى الجيش الى أبعد من هذا ٠٠ لقد ظنوا أن المسألة لا تعدو طلبات يريد هؤلاء الضباط إجابتها ، ثم ينتهى الاشكال ٠٠!

فى أقل من ٢٤ ساعة ٠٠

وكنا نحن نعتقد أن تنفيذ المراحل الثلاث للخطة الاساسية، ربما استغرق وقتا طويلا بعد بدء العملية ٠

لكن ما ان انتصف نهار ٢٣ يوليو حتى كانت السيطرة

على الجيش قد أصبحت مطلقــة ، بل ان الذى كان يرى حال البلد فى منتصف نهار ذلك اليوم ٠٠ كان يقطع بأن الجيش قد ســـيطر عليها أيضا !

وكان المظهر الضخم لهذه الحقيقة ٠٠ أى سيطرة قيـــادة الثورة على البلد ٠٠ يبدو من فرحة الناس بمـــا حدث ٠٠ وتلك الفرحة كانت تكاد تقفز من وجه كل مواطن فى الطريق !

تمت ــ اذن ــ مرحلتان من الخطة الاساسية فى أقل من ٢٤ ساعة ٠٠ لقد كانت ــ فعلا ــ معجزة لم نتوقع أن تتم على الاطلاق فى مثل هذا الوقت القصير جدا !٠٠ ولم يبق أمامنا الا المرحلة الثالثة ٠٠ طرد الملك !

ثم بعد ذلك نمضى فى تحقيق أهداف الثورة المصرية ٠٠٠

طردالملک فاروق

انهارت القــلاع واحدة وراء الاخرى فى ســاعات ، وكانت الخطة الأساسية لقيادة الضباط الاحرار تتضمن ثلاث مراحل ..

وكما قلت تمت مرحلتان من الثلاث بنجاح ساحق وفى ساعات..

وسيطر الضـــباط الاحرار على الجيش تمــاما فى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ثم سيطرت قيادتهم على البلد نفســها فى اليوم نفســه ، فقد كان الشعب يترقب تلك الفرصـــة ، وهى كانت فرصة العمر كما قلت أمس ، وما كاد يسمع البيان الذى أعدته قيادة الضباط الاحرار من الراديو حتى وقف وراء القوات المسلحة مؤيدا ومنفذا لتوجيهات قيادتها الجديدة ، فلم يقــع حادث تخريب واحد ، ولم تحدث فتنة ..

لم يجــد أعداء الشــعب فرصة لاحداث شــغب يعطل تنفيذ المرحلة الثانية من الخطة ، وهى السيطرة على البلد ..

لقد استيقظ وعى الشعب فى الحــال بالرغم من أنه فوجىء بمــا حدث فى ذلك اليوم ، وكان ذلك الوعى هــو المظهر الحقيقى القوى لسيطرة قيــادة الضباط الاحرار على البــلد . وكان معنى وقوف الشعب وراء أحداث ٢٣ يوليو هو أن الشــعب يريد ثورة ... يريد الخلاص ..!

وكل شيء كان هادئا فى البلاد ٠٠ لا دم ولا بارود ٠٠ لا قتلى لا جرحى ٠٠ لم تنسف مدينـــة ولم تتزلزل الارض تحت أقدام الناس ٠٠!

انهــا كانت ثورة عجيبة لم تشهد بلد من بلاد العــالم التى تحررت مثيلا لها ٠٠

كل ثورة كانِ لها ضحايا يعدون بالالوف وبالملايين الا ثورة مصر ٠٠!

كل ثورة كانت لا يمكن أن تتقدم خطوة الا اذا فتكت طبقة بأخرى فتمضى فى طريقهــا فوق الاشــلاء والدم والانقاض ٠٠ الا ثورة مصر ٠

كل ثورة كانت تنسف وتدمر وتقتــل وتشيع الموت حيث تكون الا ثورة مصر ٠٠ !

ان كل شيء كان هادئا فى مصر يوم الثورة ٠٠

لم يكن فى مصر غير الفرحة والآمال التى سطعت فى الصدور

لم يخسر الشعب نقطة دم واحدة يوم ٢٣ يوليو ، وبالرغم من هذا مضت عملية تغيير نظام الحكم فى طريقها بنجاحِ وسرعة مذهلة ، لا تكاد تصدق !

فهل حدثت تلك المعجزة التاريخية الكبرى لأن الثورة المصرية ليس لها أعداء ٠٠!؟

لا أحد يمكنه أن يزعم هِذا ، فلم توجد الثورة التى لا أعداء لها ٠٠

فكيف اذن لم تحدث مجزرة ٠٠؟

كيف لم تغرق الدماء الشوارع ؟ وكيف لم يقتل مواطن واحد من أبناء البلاد ، الذين يريدون التحرر ٠٠!؟

كل مواطن كان يجلس فى بيته وفى عمله أو فى المقهى ٠٠ كل الشعب كان هادئا ساكنا ونظام الحكم يشهد أخطر تطور منذ ثلاثة آلاف سنة ٠٠!

فما هو السر ؟٠٠ لماذا تكون الثورة المصرية هى وحدها التى تتم هكذا فى هدوء ، وبلا مجازر فى الشوارع وفى الحقول ؟

لماذا أخذت الثورة المصرية هذا الشكل السلمى العجيب !؟

اننى هنا أقول مرة أخرى ان السبب فى هذا هو أن أعداء الثورة المصرية كانوا يحكمون الشعب بواسطة القوات المسلحة ، ثم فجأة ثارت القوات المسلحة على هؤلاء الأعداء بعد أن أصبحت لتلك القوات قيادة جديدة ٠٠

فكان على هؤلاء الاعداء أن يستسلموا أو يبادوا ، فلا قوة هناك يمكنها أن تحميهم ٠٠ لم يعد معهم جيش ولا شعب !

هكذا بدأت عملية تغيير نظام الحكم، وهكذا مضت فى طريقها بعد ٢٣ يوليو !

أبواب التاريخ

قلت لم يبق بعد السيطرة على الجيش والبلاد الا مرحلة واحدة ، ثم تبدأ الثورة المصرية تحقق أهدافها ، لم يبق الا طرد الملك ٠٠٠

وجلسنا فى مبنى القيادة ، بعد أن أعد عبد الحكيم البيان الذى سيذاع على الشعب فى صباح ٢٣ يوليو وكنا فى تلك اللحظات قد اطمأنت قلوبنا على الحالة تماما ، وكان اللواء نجيب قد عرف أن الجيش قام بثورة بعد أن سأل جمال عن الحكاية فرواها له ، وأخبره أن الضباط الاحرار قد سيطروا على الجيش ، ثم طلب

منـه أن يحضر فورا الى مبنى الرئاسة وأرسـل له سيارة لتعود به ..

وفي اللحظة الاولى التي وطئت أقدامه فيها مبنى رئاسـة الجيش كانت أبواب التاريخ كلها قد فتحت على مصاريعها أمامه.. كان قد أصبح زعيما ، وهو الذى كان لا يعلم ..

كان قبل حضوره بلحظات يسأل جمال عن الحـكاية ، لأن المراغى طلب منه تهـدئة ـ الاولاد ـ الذين عملوا « دوشـة » عند كوبرى القبة !

مناورة قبل طرد الملك

كانت خطتنا تقضى بأن نقوم بمناورة مع الملك ، حتى نطمئن الى أنه ليس هناك تدخل أجنبى يهدد مصالح البلاد وبعد أن نطمئن تنقض على صاحب الجلالة ونطرده ..

وجلسنا نتكلم ، وكان موضوع الحديث يدور حول رئاسـة الحكومة ، أو بعبارة أدق حول الرجل الذى نريد فرضـه على الملك كرئيس لمجلس الوزراء ، وكان نجيب لايزال فى منـزله .. لم يحضر الينـا بعد . فهو قد حضر كما قلت فى السـاعة الخامسة صباحا ..

واستعرضنا اسماء رجال السياسة الذين يمكن ان نفرضهم على الملك رغما عنه !

ولم نكن نريد على الاطـلاق واحدا من رجال الاحـزاب ، مهمـا كان موقفـه من القصر ، لأننـا اردنا الا نطبع ثورتنا بطابع حزب معين له مصالح تتعارض مع مصـالح الشـعب ... فالمسألة كما قلت كانت عمليـة تغيير كامل لنظام الحـكم ، ولم تكن مسألة حكومة من الحكومات !..

ورأينا أن على ماهر هو الرجل الوحيد الذى لا ينتمى لحزب من الأحزاب ، وهو كان رئيس الحكومة التى تولت زمام الامور بعد ٢٦ يناير المشهور !

وبدأنا نعد تفاصيل المناورة قبل الانقضاض على الملك ..

على ماهر رئيس مجلس الوزراء بدلا من الهـلالى الذى كان موجودا فى الحكم حينئذ ، فاذا خضع الملك لرأينـا وجاء بعلى ماهر يمكن بعد ذلك أن نبعث به الى الملك يحمل طلبات لنا ـ كما تقضى المناورة ـ فاذا رفض طلباتنا كان ذلك ايذانا ببدء المعركة معه !

وبعد أن انتهينا من هـذه المسألة فتح باب الحجرة ودخـل اللواء نجيب .. قائد الثورة ..

البحث عن عنوان على ماهر

وفى الساعة التاسعة من صباح ٢٣ يوليو اتصـل نجيب الهلالى بنا مرة ثانية ، وحاول أن يتفاهم ، وتحدث اليه محمد نجيب وكنا من حول نجيب نهمس فى أذنه بما يجب أن يقوله للهلالى ..

وانتهت المحادثة ولم ينجح الهلالى فى اقناعنا بشىء ..

ثم كلفنى الزملاء بالاتصال بعلى ماهر لنبـدأ المناورة ثم تتم المرحلة الثالثة من خطة التنظيم .. أى طرد الملك ..

ولم أكن أعرف عنوان منزل على ماهر ولا أحد فى الحجرة كان يعرف العنوان أيضا .. وكان الصحفيون يفدون منذ الصباح المبكر على مبنى القيادة .. وفى هذه اللحظة التى كنا فيها نبحث عن عنوان منزل على ماهر دخل علينا الاستاذ احسان عبد القدوس ، وسألته على الفور هل يعرف منزل على ماهر ، ورحب احسـان بتوصيلى الى المنزل .. وقمت معه على الفور ..

وصعدنا الى الدور الثانى فى المنزل ، وجلسنا فى الشرفة فى انتظار على ماهر ٠ وجاء على ماهر ، وقبل أن يجلس قال لى ان عنده فى البيت ـ الآن ـ الاستاذ ادجار جلاد فهل يأتى به ليحضر المقابلة فقلت له :

ـ لا ٠ مايجيش ٠٠ عايزين نقعد وحدنا ٠٠

وبدأت أتحدث اليـه عن مهمتى ٠٠٠ قلت له انى موفد من القيادة لكى يؤلف الوزارة ٠

وخيم الصمت علينا فترة قصيرة ٠٠ وانتظرت رد على ماهر ٠٠ ولـكنى شعرت أنه يريد أن يسمع كلاما أكثر ، وفى هـذه اللحظة بالذات مرت أربع طائرات من ذوات الاربع محركات فوق رءوسنا ، على ارتفاع قليل لدرجة أن أصواتها غطت على حديثنا فسكتنا الى أن ابتعدت ، وهنا التفت على ماهر وسألنى :

ـ الطيارات دى بتاعتكم ؟

وأجبته مبتسما لأطمئنه :

ـ نعم ، والقوات المسلحة كلها لا تخضع الا لقيادتنا اليوم٠٠٠

ومضيت أتحدث الى على ماهر بصراحة ٠٠ تكلمت عن الفساد وعن الاوضـاع الغريبة التى تمر بها البلاد ، وعن الملك وتصرفاته الشاذة ٠٠ (وهنا شعرت بقـدم احسان عبد القدوس تدوس على قدمى ٠٠ وبدأ احسان يزغدنى خلسـة حتى لا أستمر فى الحديث بهذه الصراحة) ٠

لـكنى لم أتوقف ٠ ومضيت أتكلم بصراحة أكثر ، حتى يفهم على ماهر وجهة نظر القيادة ٠٠ ثم عدت أقول لعلى ماهر ان القيادة تكلفه بتأليف الوزارة ٠٠

وقال على ماهر :

ـ أنا مستعد أتعاون ، بشرط أن يكلفنى الملك بتأليف الوزارة !

وقلت له :

ـ تقدر تعتبر نفسك من دلوقت مكلفا بتأليف الوزارة ، فجهز نفسك من الآن ••

ثم قلت له وأنا أهم بالانصراف :

ـ فيه طلبات الجيش عايز من الملك ينفذها فورا ••

وقبل أن أنصرف قال على ماهر :

ـ الزيارة دى ستبلغ للملك •• واظن من الاحسن أبلغها أنا دلوقت لادجار جلاد وهوه موجود عندى !

وقلت له :

ـ تقدر تقول اللى تحب تقوله •• احنا بنشتغل دلوقت على المكشوف • وعلى فكرة نجيب الهلالى اتصل بنا النهارده وعرف اننا رفضنا بقاءه فى الوزارة •• ولا بد انه بلغ رأينا للملك ••

•• ثم غادرت منزل على ماهر الى القيادة •

لقد بدأت المناورة مع الملك •••

وجاء عم ناريمان

وجلست أروى تفاصيل مادار بينى وبين على ماهر للزملاء •• ثم جاء من يخبرنا أن مصطفى صادق عم ناريمان يريد مقابلة أحد من القيادة •

لقد جاء مصطفى صادق ليعرض علينا تعيين اللواء نجيب وزيرا للحربية .

وقال لنا مصطفى صادق أيضا انه ما علينا بعد تعيين نجيب وزيرا للحربية الا أن نذهب الى قصر رأس التين ونقيد أسماءنا فى سجل التشريفات ثم ينتهى الاشكال !

وفوجىء مصطفى صادق برفض العرض الذى حمله اياه فاروق .. وقلنا له انه لابد أن يؤلف على ماهر الوزارة بلا مناقشات أو أخذ ورد.

ثم قلنا له ونحن نشيعه الى الباب ان على ماهر سيحمل طلبات أخرى لنا الى جلالة الملك ..

وخرج عم ناريمان بعد فشله فى مهمته .

وكان البيان الذى أذعناه اكمالا لخطوات « المناورة » لايتضمن سوى أن الجيش قام بحركته لتطهير صفوفه .. أى أن الحركة مقصورة على الجيش فقط ..

كانت المناورة متشعبة وكان لا بد لنا أن نأخذ حذرنا ..

ومن أجل هذا لم نكشف كل أوراقنا يوم ٢٣ يوليو .

الملك يطلب منا تأليف الوزارة

وبعد ظهر ٢٣ يوليو جاء عم ناريمان الى القيادة مرة ثانية ، وكان يحمل عرضا جديدا من الملك ..

قال لنا ان جلالة الملك يعرض علينا نحن أن نؤلف الوزارة .

وشعرنا بسخف الاقتراح ، الى حد أننا لم نحتمل وجود عم ناريمان معنا فى الحجرة فطردناه منها .. بدلا من توديعه كما فعلنا معه فى المرة الاولى .

ثم جلسنا نسخر من ذلك العرض العجيب ، وشعرنا فى تلك اللحظة أن المناورة بدأت تنجح ٠

وقد اتصل بنا على ماهر بعد خروج مصطفى صادق بقليل ، وقال لنا انه تلقى الامر بتشكيل الوزارة ٠٠

ثم قال أيضا ان الملك طلب اليه أن يسافر فى الحال الى الاسكندرية ، وانه ـ أى على ماهر ـ يريد مقابلتنا قبل أن يسافر، ليعرف وجهة نظرنا تماما ، ثم يحمل طلباتنا بعد ذلك ليبلغها الى صاحب الجلالة ٠٠

وقال على ماهر ان الملك قلق جدا ويريد أن يراه سريعا لكى يطمئنه ٠

جر شكل الملك

لقد كانت المسألة فى نظر الملك ٠٠ بل وفى نظر جميع الساسة المصريين فى ذلك اليوم هى أننا نريد تطهير الجيش فقط من الخونة والاذناب ٠٠ كانوا يعتقدون أنها أزمة لا تلبث أن تحل ، ثم تعود المياه الى مجاريها ٠٠ يبقى الملك على عرشه ويبقى الجميع فى أماكنهم ٠٠ والشعب أيضا ٠٠

لقد كانت المناورة فى بدايتها ٠٠

كنا نجلس فى مبنى القيادة نعد خطة خلع الملك ، والملك فى الاسكندرية ينتظر وصول على ماهر اليه ليطمئنه بعد أن تحل الازمة باجابتنا الى طلباتنا ٠٠

قد حددنا لعلى ماهر الساعة الخامسة والنصف من مساء ذلك اليوم لنقابله فى منزله ونسلمه طلبات الجيش ٠٠ ثم بعد ذلك يسافر الى الاسكندرية ليطمئن صاحب الجلالة ٠٠

وفي الموعد المحدد خرجنا من مقر القيادة.. جمال عبد الناصر ومحمد نجيب وأنا ، وتوجهنا الى منزل على ماهر واكمالا للمناورة سلمنا على ماهر عريضة دونت فيها طلبات الجيش ..

انني أذكر أننا وقعنا في ورطة عندما قال لنا على ماهر قبل أن نقابله ان الملك في انتظار طلباتنا .. فلم تكن فى رءوسنا طلبات معينة ، ان الشيء الوحيد الذى يملأ رأس كل فرد منا هو مسألة تغيير نظام الحكم ... أما طلبات الجيش من صاحب الجلالة فذلك شيء لم يخطر على بالنا اطلاقا ..

ان الاحوال في يوم ٢٣ يوليو كانت تترى بسرعة فائقة .. لم نكن قد أعددنا أنفسنا لهذه الظاهرة العجيبة .. للسرعة الفائقة.

وأذكر أننا جلسنا نكتب طلبات على الورق كيفما اتفق .. كان لا بد أن نمضى فى مناورتنا مع الملك الى نهاية الشوط قبل أن ننقض عليه لنسقطه عن عرشه .

واتفقنا ـ بعد جهد ـ على أن تكون الطلبات التي سيتقدم بها على ماهر الى صاحب الجلالة أساسها طرد الحاشية ، فقد كنا نعرف أن الملك سيرفض هذا الطلب، وبهذا نكون قد نجحنا فى جر شكله. فتبدأ بعد ذلك عملية طرده .

وهكذا كتبنا طلبات من الشرق والغرب على الورق ، كان أساسها كما قلت طرد الحاشية ..

وبعد أن قابلنا على ماهر فى الساعة الخامسة سلمه جمال عبد الناصر تلك الطلبات ، واستعد على ماهر للسفر على الفور . فطلبنا منه أن يخطرنا من الاسكندرية بالنتيجة ، وقال له جمال ان المسئولية ستقع على الملك اذا لم تجب كل هذه الطلبات فى الحال ..

وخرجنا من منزل على ماهر بعد أن تمنينا له سفرا سعيدا ٠٠ خرجنا ليبدأ جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين فى وضع تفاصيل خطة طرد فاروق ، وتجهيز القوات اللازمة للسيطرة على الاسكندرية وتأمينها ٠٠

تحرك القوات الى الاسكندرية

قطعنا ـ فى المناورة ـ مع الملك شوطا بعيدا ٠٠ سافر على ماهر الى الاسكندرية يحمل طلباتنا الى صاحب الجلالة ، وبعد أن أكد جمال أن المسئولية ستقع على الملك فى حالة عدم اجابته الطلبات كلها !

كنا نريد جر شكل صاحب الجلالة لكى نبدأ فى اسقاطه عن عرشه وبذلك تتم المرحلة الثالثة من الخطة الاساسية ٠

وقد عدنا من منزل على ماهر فى مساء ذلك اليوم (٢٣ يوليو) الى مقر القيادة فى كوبرى القبة لنرقب الاحداث ٠٠

واللواء نجيب كان يجلس بيننا لا يدرى ماذا فى رءوسنا كنا لانشك فيه ،ونعتبره واحدا منا وخاصة بعد أن فرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة ، وكان هذا العرض من بين الطلبات التى أرسلناها لفاروق ٠

وصحيح انه لم يكن بيننا احد قد اكتشف حقيقته بعد ، فهو يجلس بيننا كأنه فرد منا ، وكنا نحن نحاول قدر ما نستطيع افهامه بأنه القائد والزعيم وصانع كل هذه الاحداث التاريخية ٠٠ كنا قد قررنا أن نفنى جميعا فى شخصه ٠

قررنا أن نجعل منه زعيما لهذا الشعب يقوده فى معاركه

القادمة ضد جميع اعدائـه ٠٠ اما نحن فقد اعتبرنا أنفسنا جنودا في ثورة نجيب ٠٠ !

وانقضى يوم ٢٣ يوليو ، وجاء يوم الثورة الثاني ، وكنا لانزال على مقاعدنا في مقر القيادة لم ننم ولم نسترح ، والعرق يغرق ثيابنا فالحر كان شديدا ٠٠ لكننا لم نشعر بالارهاق على الاطلاق ٠ كنا نعرف أن أمامنا ليالي أخرى سوف نقضيها ساهرين على مقاعدنا ، وربما في الشوارع وفي الحقول مع الشعب نخوض معركة دموية من أجل مصائر الملايين ٠

لم نكن نعرف ـ بالتحديد ـ ماذا سوف يحدث لنا في اليوم الثاني للثورة ، لأن الأحداث كما قلت كانت تترى بسرعة فائقة لم نتوقعها ، والقلاع كانت تتساقط من تلقاء نفسها ٠

كل الذي كنا نعرفه اننا قد سيطرنا على القوات المسلحة وعلى البلد ٠

وبعد ذلك لتأت الاحداث بما تشاء من مفاجآت ، فقد كنا على ثقة من أن عملية تغيير نظام الحكم ستتم اليوم أو غدا أو بعد شهر ٠٠ حتى لو ظهرت في الافق بوادر تدخل جهات أجنبية فقد كان كل واحد منا قد اعد نفسه قبل ان يغادر بيته واولاده لمعركة سيخوضها ٠٠ وربما مات وربما فقد ذراعا ٠٠ المهم اننا جميعا كنا على استعداد للنزول الى الشوارع والحقول وخوض حرب مدمرة ضد جميع الاعداء لو فكروا في الوقوف امام الثورة ٠

جمال يامر بتحرك القوات

ووصل علي ماهر الى الاسكندرية وقابل صـــاحب الجلالة على الفور وقدم له طلباتنا ، وفي صباح اليوم التالي للثورة ـ يوم الخميس ٢٤ يوليو ـ اتصل علي ماهر من الاسكندرية وقال ان صاحب الجلالة قد وافق على جميع طلباتنا !

وطلب على ماهر ان نوفد اليه احد اعضاء القيادة الى الاسكندرية ليخبره بالتفاصيل ، ووقع الاختيار على لأقوم بهذه المهمة ٠

وحتى ذلك الوقت كان على ماهر لا يعرف ماذا نهدف اليـــه بالتحديد ٠ كان يعتقد حتى صباح الخميس ٢٤ يوليو ان الأزمة انتهت بعد ان قبل الملك طلباتنا ٠٠ والمياه ستعود الى مجاريهـــا قطعا ، وخاصة وان الملك قبل أفدح تلك الطلبات بالنسبة له ٠٠ وهو طلب ابعاد الحاشية !

وان كان قد قال لعلى ماهر انهم ـ أى أفراد الحاشية ـ كأهل منزلى فكيف يتدخل الجيش فى شئون بيتى !؟

على ماهر ـ اذن ـ ظن أن الازمة انتهت بعد أن تحدث الينـا بالتليفون ، وابلغنا بموافقة صاحب الجلالة على طلباتنا ٠

ولم يكن يعرف ـ مثلا ـ انه بعد أن غادر القاهرة فى اليـوم السابق ٠٠ أى فى مساء ٢٣ يوليو لم يضع جمـــال عبد النـــاصر دقيقة واحدة ، فجلس ومعــه زكريا محيى الدين ـ وكان فى ذلك الوقت مديرا للعمليات ـ وبدأ الاثنان يدرسان الموقف فى الاسكندرية واحتياجات عملية طرد الملك ٠٠ !

درست فى تلك الليلة كل الاحتمالات ٠

كما أعدت فى نفس الليلة خطة السيطرة على الاســـكندرية وتامين مرافقها ٠

وانتهت الدراسة قبل أن يتصل على ماهر بنا فى صباح الخميس (٢٤ يوليو) ٠

وأصدر جمال أمرا بتحريك قوة الى الثغر ٠٠ وكانت القـوة التى أمر جمال بتحريكها لاسقاط الملك وطرده عبارة عن لواء مشاه وآلاى دبابات لتأمين المدينة واعتبرت مدفعية قواتنا فى الاسكندرية

ضمن القوة التى ستقوم بتنفيذ المرحلة الثالثة من الخطـة ٠٠ طرد الملك ٠

على ماهر يسأل ٠٠ ما الداعى لهذا ؟!

وبالرغم من أن اللواء محمد نجيب كان يجلس معنا فى حجرة واحدة ، بل وحول مكتب واحد فى ذلك اليوم ، ألا انه كان لايشترك مع احد فى اعداد أى شىء ، فكل الخطط كانت معـدة قبل أن يأتى الينا وقبل ان يعرف انه زعيم الشعب !

وحتى التفاصيل كان يعدها جمـــال والزملاء وهم من حول نجيب يبتسمون له فى احترام وثقة وهو صامت يترقب الاحداث !

وقد تحركت من القاهرة القوة التى ستسقط الملك فى ليلة ٢٤ يوليو ٠٠ أى فى نفس اليوم الذى قبل فيه الملك كل طلباتنا !!

وقد فوجىء على ماهر والملك بهذا الذى حـدث ٠٠٠ فوجئـا بالطابور المسلح يدخل الاسـكندرية ٠ وكانا قد اعتقدا ان الميـاه ستعود الى مجاريها بعد أن قبلت الطلبات !!

وقوبل ذلك الطابور المسلح من الشعب فى الاســكندرية بالتهليل والهتاف الذى شق عنان السماء ٠

وكما حدث فى القاهرة صـــباح ٢٣ يوليو حـــدث فى الاسكندرية ٠

التف الشعب حول القوات المسلحة يؤيدها ويحتضـــن أفرادها ، ويجرى خلف المصفحات فى الشوارع بعـد ان غمرته الفرحة ٠

وبعد أن أخذت قواتنا فى الثغر اماكنها طبقا للخطة ، اتصل بنا على ماهر مرة أخرى بالتليفون ليسألنا :

ـ ما هو الغرض من وصول تلك القوات ٠٠ ألم يوافق الملك على جميع طلباتكم !؟

واردف على ماهر يقول فى التليفون :

ـ ان الملك قلق جدا منذ وصلت تلك القوات ٠٠ ويسأل ما هو الداعى لهذا ، بعد أن أجابكم الى ما تريدون ؟!

وقلنا لعلى ماهر :

ـ لا شىء ٠٠ لا شىء بالمرة ٠٠ طمئن مولانا وقل له ان هذه القوات ارسلناها لتأمين الاسكندرية ، ومنع الاضطرابات والحوادث !! ٠٠

نجيب يطلب السفر معى ٠٠٠

وبقى التنفيذ ٠٠

متى تبدأ العملية ؟ !

ان قواتنا فى الاسكندرية ، وقد اتخذت أماكنها والشعب من حولنا يؤيدها ويهتف لأفرادها من الاعماق ، لا اضطرابات ولا حوادث ٠٠

كل شىء كان هادئا فى المدينة تماما مثلما كانت القاهرة يوم ٢٣ يوليو ٠٠

وكان جمال قد كلفنى ـ كما قلت ـ بالسفر الى الاسكندرية بعد أن تحدث الينا على ماهر من هناك ليخبرنا بأن الملك وافق على الطلبات ، ثم طلب ان يسافر أحدنا اليه ليخبره بالتفاصيل ٠٠

وطلب جمال منى أن أؤجل سفرى الى صباح الجمعة ـ ٢٥ يوليو ـ حتى تكون قواتنا قد وصلت واحتلت أماكنها ٠

وقررنا عزل الملك يوم ٢٥ يوليو ٠

وفى صباح الجمعة ــ ٢٥ يوليو ــ طلب محمد نجيب أن يسافر معى الى الاسكندرية ، وكنا قد اتفقنــــا مع على ماهر على أننى انا الذى سأقابله وحدى ، فرفضنا طلب محمد نجيب ، لكنه ألح علينا بشدة لكى يسافر معى !

فولفقنا بعد أن لمسنا مدى تمســـكه بتلك الرغبة ، وبشرط الا يحضر معى مقابلة على ماهر ساعة الوصول ، وانمـــــا يذهب لمقابلة على ماهر بعد الظهر ، وهو يحمل الانذار التاريخى المشهور، الموجه الى الملك والذى نطلب منه فيه أن يتنازل عن العرش ويغادر البلاد ٠٠

جمال قال لى ٠٠

وكان على أن أغادر القيادة الى المطار ٠٠ وقبل ان اغادر المبنى أخذنى جمال عبد الناصر الى ركن من الردهة وكان وجهــــه قــد اكتسى بذلك الطابع المعروف عنه ساعة أن يقرر أمرا ٠٠ الصلابة والعزم القوى والاصرار التام ٠٠ وكانت فى يده سيجارة وقال لى وهو ينفخ دخان سيجارته ورأسه يتحرك قليلا الى الامام كعادته :

ــ شوف يا أنور ٠٠ لازم نخلص من فاروق النهاردة أو بكره بالكثير ٠٠ لأن الموقف ماعدش يحتمل !

ونظرت الى وجه جمال وهو يكلمنى ، وعرفت انه يتحتم فعلا الخلاص من فاروق بأية صورة اليوم ــ الجمعة ــ أو غدا ٠٠ ان جمال لا يلقى الكلام جزافا ٠٠ فهو لايقرر أمرا الا اذا عرف ان لا مناص منه حتى لاتحدث كارثة !

اليوم أو غدا ٠٠ لابد أن يطرد فاروق ٠٠ فقد كانت المشاكل

قد بدأت تطل علينا فى اليومين الماضـــيين ٠٠ والموقف لايحتمل وجودها !

كانت مشاكل تهدد وحدتنا وتماسكنا ٠٠ ونحن لم نخلقهـا ٠٠ بل خلقها واحد لم نكن نتوقع على الاطلاق ان يظهر بيننا فى اليومين المذكورين ٠٠ انه رشاد مهنا !

زوبعة على أبواب القيادة !

كان رشاد فى العريش كما سبق أن ذكرت ذلك فى حينه ٠٠ وكان قد رفض أن يتولى قيادة لواء العريش عنـدما طلب منه ذلك جمال سالم ٠٠ وتخلى عنا أيضا كعادته حتى بعد ان عرف الحقيقة كلها ٠٠ بعد أن عرف ان الضباط الاحرار قد سيطروا على الجيش تماما ٠٠ فى ليلة الثورة الاولى ، وبعد ان وصـــلت الى العريش اشارة النجاح !

وعندما عرف أن الضباط الأحرار نجحوا تماما وانه سـوف لا يكون له مكان على الاطلاق بينهم ، وخاصة وان جمال سالم كلف صلاح حتاتة بقيادة لواء العريش ٠٠ أقول بعد أن عرف رشاد ان الثورة نجحت بدونه ، جاء الى القاهرة بلا اذن وتوجه من فوره الى سلاح المدفعية ، وهو كان يتبع له ، وكان ضباط السلاح لايعرفون شيئا عن موقفه ليلة الثورة كانوا لايعلمون انه رفض التعاون ورفض ان يشترك فى العملية ٠٠ وظن ضباط السلاح ان رشاد مهنا هو أحد اقطاب الثورة ٠٠ وربما ظنــوا انه هو الذى قاد لواء العريش وسيطر عليه !!

لهذا قابلوه بالهتاف ورحبوا به وحملوه على الاعناق ٠٠ ثم اركبوه سيارة وتقدموا السيأرة بالموتوســــيكلات ، وجاءوا الى القيادة بالبطل !!

ورأينا موكب رشاد مهنا يدخل من باب القيادة ·· وأمامه راكبو الموتوسيكلات ·· وكانت مفاجأة ·· شــعرنا على الفور ان زوبعة على الابواب !

وكنا لانستطيع أن نقول لضباط المدفعية ان هذا الرجل ليس واحدا منكم ·· لم يشترك معـــــكم فى عمل ·· انه رفض أن يعاونكم ··

كان الموقف ـ اذن ـ حرجا للغاية ولا يحتمل أية خلافات ·· فالملك لايزال فى البلاد ··

تلك كانت احدى المشاكل التى أطلت علينـــا فى اليومين الماضيين · وقررنا أن نلتزم الصمت حيالها لأن الموقف كما قلت كان لايحتمل أية خلافات ، ومعركة فاروق على وشك أن تقع ··

أما المشكلة الثانية ، فقد كانت لا تقل خطورة عن مشكلة وجود رشاد مهنا ·

أعنى مشكلة الخلافات

الانجليز فى القاهرة

فقد كان هناك أناس فى البلد دفعهم الحرص الشـــديد ، وخوفهم الشديد فى يوم الثورة الاول وفى يومها الثـانى الى أن يجيئوا الينا ليقولوا :

ـ فاروق اتصل بفايد ·· انجليز فى طريقهم الى القاهرة ··

وأقوال أخرى كان مصدرها الرعب والفزع مما ســـــوف يقع ··

وكنا نعرف أن هؤلاء الناس جبناء تفزعهم المعارك ··· كنا

نعرف أن ما يقولونه ليس صحيحا ‥ الا اننـــا كنا قد قررنا أن نعد أنفسنا لكل الاحتمالات ‥ وأسوئها ٠

لهذا كانت طائرات سلاح الطيران المصرى طوال أيام ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ يوليو دائمة الحركة والاستكشاف فوق المنـــاطق التى يحتمـــل أن يزحف منها الانجليز على القـاهرة ··· اذا فكروا فى التدخل ‥

وكانت تقارير سلاح الطيران تصل الينا فى مبنى القيـــادة ساعة بساعة ‥

تلك كانت المشاكل التى رأينا أن وجود فاروق يوما أو يومين آخرين سيضاعفها ٠

يا باشا ‥ قررنا عزل الملك !!

وأعود الى الموضوع ‥ فبعد أن كلمنى جمال قبل مغادرتى القيادة الى الاســــــكندرية توجهت ومعى اللواء محمد نجيب الى المطار ، وانطلقت بنا الطائرة الى أرض العملية ‥ الى الاسكندرية ، وفى مطار النزهة وجدنا مندوب على ماهر فى انتظارنا ٠

وحسب الاتفاق توجه اللواء نجيب الى القيادة فى مصـــطفى باشا ، وتوجهت أنا مع مندوب على ماهر الى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى ‥

وقضيت ساعة ونصفا مع على ماهر ‥ سألنى عن القوات التى وصلت الاسكندرية مرة ثانية ، وكانت الحيرة بادية على وجهه ومضى يقول لى :

ـ الملك وافق على الطلبات كلها ‥ واستقالات افراد الحاشية فى جيبى أهه ٠

وأخرجها من جيبه ليريني اياها ، وتظاهرت بالاهتمام فتناولت منه الاستقالات لأقرأها ، ولفت نظرى توقيع الياس اندراوس على استقالته ، فقد وقع صاحبها عليها هكذا : « اليس اندراوس » ، وبخط ردىء للغاية ..

وهززت رأسي في دهشة .. ان الياس اندراوس كان احد الذين يحكموننا .. نحن الشعب .. كان محسوبا علينا كمصرى ، ويؤلف الوزارات ويسقطها .. وهو لا يعرف كيف يكتب اسمه .. لايعرف لغة البلاد التى ينتمى اليها .

وتنبهت على صوت على ماهر مرة اخرى وكان لايزال حائرا .. وسألنى مرة ثالثة عن حكاية القوات التى جاءت إلى الاسكندرية .

وفى هذه المرة اعتدلت فى مقعدى وبدأت أتحدث اليه فى الموضوع لأول مرة .. قلت له وكان ساعتها يبدو مذهولا للغاية :

ـ بصراحة يا باشا القيادة قررت عزل الملك « اليوم » .

لا خيار لك فالشعب مع الجيش !!

وقبل أن يفيق على ماهر من ذهوله اردفت قائلا له :

ـ اللواء نجيب سيجىء اليك فى الساعة السابعة وهو يحمل انذارا موجها الى الملك من القيادة ، بتنازله عن العرش ومغادرة البلاد ، وعليه أن يتحمل النتائج فى حالة رفضه لهذا الانذار ..

ومضيت أقول لعلى ماهر :

ـ انصحك ـ وانت الذى ستتوجه بهذا الانذار ـ أن تؤكد للملك ان لا فائدة من المقاومة اطلاقا ، لان الجيش والشعب سيسحقان أية مقاومة مهما كانت ، والأوامر التى صدرت قاطعة فى هذا الشأن ..

وكان على ماهر لا يزال فى ذهوله الشديد ٠٠ فاقتربت منه قائلا :

ـ انت لا خيار لك فى هذا ٠٠ بل اننى اعتقد انك مسئول عما أصاب البلاد الى حد ما لأنك أنت الذى نصبته ملكا على البلاد فى دقائق عام ١٩٣٦ ٠

وهنا لاحظت أن على ماهر تحمس قليلا ٠٠ فقال :

ـ أنا نصبته فعلا ملكا على البلاد ٠٠ لكننى لم أكن اتصور أبدا أن يصل على يد مربيه احمد حسنين الى ما وصل اليه اليوم ٠٠ انه هو الذى كتب بيديه افعاله ومصيره ٠

ومضى على ماهر يقول لى :

لعلك أنت تعلم ، ويعلم الناس أن « فاروق » أبعدنى منذ احدى عشرة سنة بتأثير من مربيه احمد حسنين والحاشية ٠

وسكت على ماهر ثم عاد ينظر الى ٠٠ ربما ليتأكد من ان ما قلته له منذ لحظات هو الامر الواقع ٠٠ وقمت لأؤكد له مرة ثانية ان لا خيار له فى الأمر ٠٠ فالشعب مع الجيش سيسحقان أية مقاومة ٠٠ وعدت من بولكلى الى مصطفى باشا ٠٠ حيث كان نجيب هناك ، وكان معه أيضا زكريا محيى الدين ـ مدير العمليات ـ وجمال سالم وحسين الشافعى ٠

وأخبرتهم ان على ماهر جاهز لتلقى الانذار فى الساعة السابعة من هذا المساء ٠

زكريا محيى الدين يفاجئنا ٠٠ !

كان زكريا محيى الدين فى تلك اللحظة منتحيا فى ركن من الحجرة وأمامه خريطة لمدينة الاسكندرية ، ثبت فوقها دبابيس عديدة ، وفى كل دقيقة يدخل أحد الضباط الحجرة ليتلقى أمرا ثم

يخرج .. وزكريا كأنه غير موجود فى الحجرة .. لايتحدث الينا ولا يلتفت الى أحد .. كان منهمكا فى « البحلقة » فى الخريطة ، وفى تثبيت الدبابيس على أماكن متعددة فيها .. فهو كان مديرا للعملية ..

وكتبنا صيغة الانذار ، ثم اتصلنا بجمال عبد الناصر فى القاهرة واخبرناه بما تم حتى اللحظة بعد مقابلتى لعلى ماهر .. ثم قرأنا له صيغة الانذار الذى سيوجه الى الملك فأقرها ..

ثم بعد ذلك اتجهنا الى زكريا محيى الدين فى الركن الذى انتحى فيه بعيدا عنا فى الحجرة .. وسألناه متى تكون قواته جاهزة فى أماكنها المحددة لها حسب الخطة ، لكى نسلم الانذار ثم تبدأ عملية طرد فاروق ..

وفوجئنا بزكريا يقول فى هدوء :

ـ العملية لا يمكن أن تتم الليلة ..

وذهلنا .. وسألناه فى صوت واحد :

ـ لماذا ؟! ..

ثم بدأنا نتناقش .. وارتفعت أصواتنا لتنفذ من الجدران .

رصاصة رأس التين

كانت مفاجأة لم نتوقعها .. فزكريا محيى الدين أصر على رأيه وظل متمسكا بذلك الرأى ووجهه يبدو هادئا للغاية ، ونحن من حوله تكاد أصواتنا تبلغ حد الصراخ .

فبعد أن انتهينا من وضع صيغة الانذار الذى سيوجه باسم

القيادة الى الملك ، اتجهنا الى زكريا نسـأله متى تكون قواته جاهزة ؟ ٠٠

وبهدوء تام اجاب :

ـ العملية لا يمكن أن تتم الليلة ! ٠٠

تلك كانت مفاجأة زكريا محيى الدين لنا فى ذلك اليوم ٠٠ ٢٥ يوليو ٠

فهو كان مديرا للعمليات ، وهو الذى كان مسـئولا عن تحركات القوات فى الاسكندرية أثناء قيـامها بعملية طرد فاروق

وقال لنا زكريا ان القوات لم تنل قسطها من الراحة ، وبعضها وصل الى المدينة متأخرا ، وهو لا يستطيع أن يخوض معركة بجنود متعبين ، وقال ان القوات بعد ان تستريح وتنال وجبة سـاخنة ، يمكن أن تبدأ المعركة على الفور !٠٠

وقلنا له ان مسألة التعب والارهاق هذه لايصح ان نسلم بها، لاننا جميعا لم ننل أى قسـط من الراحة طوال ثلاث ليـال ، ولا نزال نقف على أقدامنا متحفزين لخوض هذه المعركة ، وغيرها ! ٠٠

وبهدوء أيضا أجاب زكريا :

ـ ماليش دعوة بيكم ٠٠ لكن قواتى لابد ان تستريح ، وكل شىء حيكون جاهز بكرة الساعة الثامنة صباحا ٠

ولم يفلح أحد منا فى اقنـاع زكريا ، لكى يبدأ فى تنفيذ العملية اليوم (٢٥ يوليو)

وسلمنا الامر لله ٠٠٠ ثم اضطررت الى الاتصال بعلى ماهر فى بولكلى لكى أخبره ان موعد الساعة السابعة مساء ، قد تأجل الى التاسعة من صباح اليوم التالى ٠

وذلك الموعـــد كنا قد حددناه لعلى ماهر لكى نقابله فيه ونســـلمه الانذار التاريخى الموجه الى الملك فاروق من القيادة بالتنازل عن العرش ومغادرة البلاد ٠

اعدام فاروق

وقضينا ساعات الليل فى مناقشات عنيفة ٠

ان جمال سالم يصر على ألا يخرج الملك حيا من البلاد ، انه يرى محاكمته جزاء ما اقترف من جرائم فى حق الشـــعب وهى جرائم يستحق من أجلها الاعدام ٠

وظل جمال سالم مصرا على رأيه هذا ، وكنت قد قلت رأيى فى الموضوع وهو ان محاكمة فاروق سوف تستغرق وقتا ، ، ونحن نريد التخلص منه فى أقرب وقت ، اليوم أو غدا ، ويكفى أن يخرج من مصر ثم تطوى صفحته ولا حاجة الى أن نبقيه فى البـلاد الى أن يعدم ، فالاحداث يمكن أن تفاجئنا وتأخذنا على غرة !

وظلت المناقشة دائرة بيننا فى القيادة بمصطفى باشا تلك الليلة حتى بلغت الساعة الثانية صباحا ، وهنـــا قررنا عرض موضوع ـ مصير فاروق ـ على الزملاء بقية أعضاء القيـــادة فى القاهرة ٠

فالهيئة التأسيسية للضباط الاحرار يمكنها أن تجرى عملية اقتراع حول المسألة ٠٠ وسواء صوت اعضاؤها ضد اقتراح جمال سالم أو أيدوه فالمسألة حينئذ تصبح أمرا واقعا ٠٠

واستقل جمال سالم طائرة فى تلك الساعة وطار بهـــا الى القاهرة ، ليأخذ الاصوات حول مصير فاروق ٠٠ ثم عاد الينـا فى الساعة السابعة من الصباح ومعه رأى لبقية الزملاء ٠

وكانت الاصوات التى اشتركت فى حسم ذلك الخلاف هى : تسعة أصوات فقط ·· وهم أعضاء الهيئة التأسيسية واللواء محمد نجيب لم يكن عضوا فى الهيئة ، فلم يكن له صوت فى عملية الاقتراع ·

وقد رجح الزملاء كفة الرأى القائل باخراج فاروق من البلاد دون محاكمة ·· لان المسألة : كما قلت ـ كانت تحتم الخلاص منه فى ساعات قبل أن تحدث مفاجآت !

وقد علمت من جمال سالم بعد عودته من القاهرة ان جمال عبد الناصر اتصل بعزيز المصرى فجر ذلك اليوم ـ ٢٦ يوليو ـ واخذ رأيه فى الموضوع ·

مستشار السفارة الامريكية يسأل ؟!

وفى الساعة السادسة من صباح ـ ٢٦ يوليو ـ كان زكريا محيى الدين يرأس مؤتمرا من ضباط جميع القوات الموجودة فى الاسكندرية ، وشرح لهم واجباتهم ثم أصدر اليهم الاوامر النهائية·

وبعد نصف ساعة تحركت القوات ، ثم احتلت مراكزها قبل الثامنة صباحا ·

وفى الساعة التاسعة توجهت مع اللواء نجيب الى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلى لتسليم على ماهر الانذار الموجه الى الملك ·· وقبل ان نصل الى مكتب رئيس الوزراء قابلنا مستشار السفارة الامريكية فى الردهة ، وكان المستشار الامريكى فى حالة يرثى لها ·· كان يرتعش ، وكان قد فقد السيطرة على أعصابه تماما ·· وقال موجها حديثه الينا :

ـ أنا قادم الآن من رأس التين ، ان هناك معركة ·· واردف المستشار الامريكى قائلا وهو يرتعش :

ـ ما سبب هذا ؟ ٠٠ ان الملك فيما نعلم قد أجاب كل طلبات الجيش ، واريد تفسيرا لهذا الذى يحـــدث الآن عند رأس التين ، ويهمنى أن أطلب باسم « واشنطن » ما يفيد تأكيد سلامة فاروق الشخصية ٠

وصمت المستشار الامريكى ثم نظر الينا فى حيرة ٠

وقال له اللواء نجيب :

ـ اننا قادمون الآن للتفاهم مع رئيس الوزراء فى هذا الموضوع وتركنا مستشار السفارة الامريكية لندخل مكتب على ماهر ٠

على ماهر ظن ان الجيش تراجع

وبعد أن صافحنا رئيس الوزراء مددت يدى فى جيبى وبحركة مسرحية اخرجت « الانذار » من حافظتى وقدمته الى اللواء نجيب ، فسلمه هو بدوره لعلى ماهر ٠٠ وكان الانذار من صورتين وقع على ماهر على احداهما بتسلم الصورة الاصلية ٠

ورأيت على ماهر يلتفت الى وفى عينيه تساؤل واضح ، ولم يكن قد بدا يقرأ الانذار ، وفهمت فى الحال انه يريد أن يعرف ان كان هذا هو « الانذار » الذى حدد مصير فاروق !؟

ويبدو ان على ماهر كان قد اعتقد اننا تراجعنا عن مســألة طرد فاروق ، وخاصة بعد أن تأجل ميعاد مقابلتنا له من السابعة مساء الى اليوم التالى !

وقد أومأت برأسى لعلى ماهر وكأنى أقول له : نعم ٠٠ هذا هو الانذار بعينه !

وبدأ على ماهر يقرأ الانذار ، ثم التفت الينـــا قائلا بعد ان انتهى من قراءته :

ـ هذا هو ما يستحقه ، فكثيرا ما نصحته ولم يستمع أبدا الى نصحي ٠

وغادرنا مكتب على ماهر ٠٠ وخرج هو معنا فى تلك اللحظة ليتوجه الى الملك ويسلمه الانذار ٠

وكان الملك قد استدعاه فى صباح ذلك اليوم ، قبـــل أن نقابله ، وذلك عندما شعر بالقوات وهى تقيم حصارا حول سراى رأس التين ٠

وقبل ان يستقل على ماهر السيارة لتتجه به الى رأس التين قلت له وانا أهمس فى أذنه :

ـ ان كنت ترى انك فى حاجة الى حضورى معك فأنا مستعد

ولكنه قال : « لا داعى لذلك فى هذه الخطوة »

ومضت به السيارة الى الملك ٠٠ ليسلمه انذارا من القيــادة يقضى بأن يتنازل عن عرشه فى تمام الساعة الثانية عشرة ظهرا ، ويغادر البلاد فى السادسة من مساء نفس اليوم ، والا ! ٠٠٠

المدافع لهدم رأس التين

وكانت القوات التى تقرر اشتراكها فى عملية طرد فاروق قد أقامت حصارا على سراى رأس التـين وسراى المنتزه ، وفى نفس اللحظة كانت هناك قوات فى القاهرة تحاصر قصرى عابدين والقبة٠

وحول سراى رأس التين حيث كان الملك هناك كانت القوات المحاصرة تتكون من مشاة وعربات مصفحة ومدفعية وقد احتلت المدفعية منذ الصباح الباكر موقعا يتحـكم فى سراى رأس التين ، بحيث يمكن هدمها اذا ما استدعى الامر ذلك ٠٠

وكان على قوات المشاة أن تتقدم لحصـار السراى ، غير أن الاوامر التى صدرت لقائد تلك القوات كانت تقضى بعدم الاشتباك مع قوات حرس السراى الا بأمر من القيادة .

وأثناء تقدم تلك القوات لاتمام الحصار خارج الاسـوار حدث أن صعدت قوات الحرس الى الابراج فوق تلك الاسـوار ، وراحت تنصب عليها مدافع « الماكينة » لاعتقادهم ان القوات المتقدمة ستهاجم السراى فى الحال ، وواجبهم يقضى بالدفاع عنها ... فهم كانوا لا يعلمون شيئا .

وتنبه قائد القوات المتقدمة لحصار السراى ، وكان قد تعدى نطاق الحصار المعين له فى « العملية » .. ورأى قائد القوة المدافع والحرس ينصبها فوق الابراج ، فنادى جنود الحرس وهـو يأمرهم بالانسحاب .. وكانت تبدو على وجوه جنود الحرس الحيرة الشديدة، كانوا ينصبون المدافع فوق الابراج وهم ينظرون الى اخوانهم جنود المشاة ، وهم خارج الاسوار وكانت تلك النظرات فيها أبلغ آيات القلق والاضطراب فهم لا يستطيعون أن يفتحوا مدافع الماكينة على اخوانهم هؤلاء ... وفى نفس الوقت واجبهم يحتم عليهم الدفاع عن السراى ، لانه لا توجد اوامر جديدة قد وصـلتهم ، حتى كان يمكنهم ان يتخذوا موقفا مختلفا .

وفى هذه اللحظة وبعد أن نادى قائد القـوة جنود الحرس يأمرهم بالانسحاب خرجت رصاصة ـ طائشة ـ من مدفع كان احد الجنود ينصبه فوق البرج .. ويبدو ان الرصاصة خرجت خطأ من شدة ارتباك الجندى ، وفى الحال لم تجد قواتنا بدا من اسـكات المدفع الذى انطلقت منه الرصاصة ، ولا أحد كان يعلم ساعتها ان تلك الرصاصة خرجت خطأ وفتحت النيران على البرج الذى انطلقت

منه الرصاصة ، وفعلا سكت المدفع بعد ان اصيب سبعة من جنود الحرس ولم يصب أحد من القوات التى حول الاسوار ٠

تلك كانت المعركة التى أفزعت مستشار السفارة الامريكية ولم تفزعه هو وحده بل وجعلت فاروق يفقد أعصابه ويتهاوى كالحطام ٠

فاروق يستنجد بالسفير الامريكى !

ويقول على ماهر ان تلك المعركة الصغيرة كان لها وقع الصاعقة على فاروق والحاشية فما كادت الطلقات تتتابع حول السراى حتى اعتقد فاروق انه ميت لا محالة ٠ ٠ولم يتمالك نفسه فأصيب بحالة ـ هيستيريا ـ واسرع يطلب على ماهر فى فندق سان ستفانو٠٠ فلما وجده لم يستيقظ بعد ، ظل يصرخ فى التليفون طالبا من ادارة الفندق ايقاظه فى الحال ٠ ٠ وفعلا أستيقظ على ماهر وكلم الملك ، فسمعه يتحدث بصوت ضعيف مشوب بالذعر وهو يطلب حضوره ٠

وفى نفس الوقت استنجد فاروق بالسفير الامريكى ، وارسل له السفير سكرتيره الخاص ، ثم بعد ذلك ارسل لنا مستشار السفارة ٠

كانت معركة فاصلة ما فى ذلك شك بالرغم من بساطتها وهى ان دلت نتائجها على شىء فانما تدل على انه لا توجد قوة ٠٠ مهما كانت يمكنها الصمود امام تكتل الجيش والشعب ٠

فما كادت تلك المعركة تنتهى بهذا الوضع الذى ذكرته حتى خرج من السراى اللواء عبد الله النجومى ومعه اربعة ضباط من الحرس، وقالوا لقائد القوة المحاصرة انهم يريدون الذهاب الى القيادة فى مصطفى باشا للتفاهم ٠ ٠ وجاءوا الى القيادة فعلا ٠ ٠ وكانوا فى

حالة عصبية مروعة ، فحجزناهم هناك ٠٠ لتستريح أعصابهم ٠٠ فهم كانوا لا يعرفون شيئا ولا يعلمون ماذا فى الأفق !

فاروق طلب استثمار ثرواته

واتصل بنا على ماهر وقال لنا ان الملك قد خضع للانذار وطلب منا على ماهر أن نوافيه فى بولكلى ـ لنشترك معه فى وضع صيغة وثيقة تنازل الملك عن العرش وأيضا لكى يعرض علينا طلبات الملك الاخيرة بشأن سفره ٠

وتوجهنا الى بولكلى مرة أخرى ، محمد نجيب وجمال سالم وأنا ٠٠ ووجدنا سليمان حافظ جالسا مع على ماهر ثم أرسل يستدعى السنهورى لاعداد صيغة التنازل ، وفى هذه الاثناء عرض علينا على ماهر طلبات الملك بشأن رحيله وهى :

- أن يسمح له بالسفر فى المحروسة ويتولى قيادتها جلال علوبة ٠

- أن يجرد كل شىء فى السرايات الملكية ثم يضاف ما فى تلك السرايات الى ثروته وأن تجمع ثروته مع ثروة شقيقاته وتستثمر لحسابهم أو تقسم عليهم ٠

- أن يسمح له باصطحاب بوللى وحلمى حسين، وان لم يكن هذاممكنا فيسمح لبوللى فقط بالسفر معه ٠

تلك كانت طلبات فاروق الثلاثة ، وقد وافقنا على الطلب الاول فقط ، ورفضنا باقى الطلبات بلا مناقشة ٠

ولم يكن لفاروق خيار فى الامر ، فقد كان ينفذ كل ما يطلب منه بلا تردد ، بعد أن أصبح كل ما يأمل فيه هو أن يخرج حيا من هذه البلاد ٠

كان قد اقتنــع أنه لا توجد قوة ـ مهمــا كانت ـ يمكنها أن تحميــه من الجيش والشــعب ·· فتهــاوى من تلقــاء نفســه وبلا مقاومة ·

ارادة الشعب

وكتب السنهورى وسليمان حافظ صيغة التنازل ـ الأولى ـ وعرضت تلك الصيغة علينا ولــكن جمال سالم اعترض بشدة ·· فلم تكن الصيغة تتضمن السبب الاساسى الذى حتم على فاروق أن يتنازل عن عرشه ·· لم يكتب فيها نزولا على رغبة الشعب ·

وكتب جمال سالم الصيغة النهــائية والتى وقع عليها الملك نزولا على رغبة الشعب ·

وأخذ سليمان حافظ « الوثيقة » وتوجه الى رأس التين ليوقع الملك المخلوع عليها ·

وخرجت أنا لأتوجه الى رئاسة البحرية المصرية ، كى أتفق هنــاك على خروج « المحروسة » لتحمــل فاروق الى حيث يشــاء ، وأيضا لــكى أخلِى سبيل أمير البحر جلال علوبة الذى كان ممنوعا من مغادرة مكتبه ·

وفى طريقى رأيت ســليمان حافظ واقفــا مع الضابط الذى كان يرأس قوة حصــار رأس التين ، وكان الضــابط قد منعه من دخول السراى ، وطلبت من الضابط أن يتركه وأن يرافقه الى الباب الخارجى للسراى وظل الضابط معه حتى فتحوا له الباب ·

وتوجهت أنا بعد ذلك الى رئاسة البحرية ·· وهناك فوجئت بما لم يكن فى الحسبان !!

المحروسة وضباط البحرية والسواحل

تركت سليمان حافظ بعد أن فتحوا له باب سراى رأس التين ، وكان يحمل وثيقة تنازل فاروق عن العرش ليوقعها صاحب الجلالة ثم يرحل بعد ذلك عن البلاد .

ثم توجهت الى رئاسة البحرية لأعطى تعليمات بخروج « المحروسة » لتحمل فاروقا الى منفاه ، وأيضا لكى اخلى سبيل أمير البحر جلال علوبة الذى أراد فاروق أن يتولى هو قيادة المحروسة فى رحلتها .

وكان أمير البحر المذكور ممنوعا من مغادرة مكتبه فى ذلك الوقت .

وهناك فى رئاسة البحرية فوجئت ـ كما سبق أن قلت ـ بما لم يكن فى الحسبان !

فما كدت اصل الى الرئاسة حتى جلست مع قائد البحرية وكان معنا رؤساء الفروع ، واخبرتهم بقرار القيادة الذى يقضى بخروج المحروسة لتحمل فاروقا الى المنفى ... وما ان سمعوا ذلك منى حتى قالوا لى انهم يتوقعون نسف المحروسة اثناء خروجها الى عرض البحر !

وقبل ان افيق من دهشتى مضوا يقولون لى : ان مراكب الأسطول المصرى كلها واقفة فى الميناء ـ الآن ـ وجميعها محملة بالذخائر ، وهم لا يستبعدون ان تطلق احدى قطع الاسطول نيران مدافعها على المحروسة وهى ماضية بفاروق الى المنفى !

والواقع اننا كنا لا نعلم بالتحديد نوايا السلاح البحرى

المصرى ، فتنظيم الضباط الاحرار بالرغم من نجاحه فى تكوين تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة لم يكن على علاقة ما بضباط البحرية .

وكان جمال عبد الناصر قبل الثورة بأسبوعين ، قد سافر الى الاسكندرية فى اجازة ، وهى لم تكن اجازة للراحة ، بل سافر الى الاسكندرية خصيصا لكى يتصل بضباط البحرية ، ولكى يخلق صلة بين بعضهم وباقى القوات المسلحة تمهيداً للقيام بالثورة .

وكانت مهمة صعبة الى حد كبير ... فجميع اخواننا الضباط الذين ارتبطوا بالتنظيم فى جميع اسلحة الجيش كان من السهل خلق الصلة بيننا وبينهم سواء كانوا فى الطيران أو فى باقى الوحدات ، لاننا ـ جميعا ـ كنا زملاء فى كلية واحدة .. هى الكلية الحربية .

وأما بالنسبة الى ضباط البحرية فان كليتهم لم توجد الا بعد ان انتهينا من دراستنا وتخرجنا ، فلم نكن نعرف احداً من هؤلاء الضباط المعرفة التى تجعلنا نفاتحهم فى مثل هذه الامور !

وكنت قد قلت من قبل ان ثورتنا هذه كان الاساس فى قيامها قائما على الصداقات وصلات الاخوة بين أعضاء التنظيم ... وقبل ان توجد الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، كانت الصداقات بيننا هى الدافع القوى والاول الى التفاهم والاتفاق على عمل واحد ... ثم تحديد أهداف واحدة .

فقد كان مجرد الحديث عن هذه الاهداف بين الافراد جريمة كبرى وخيانة يعاقب صاحبها عقابا صارما .

ومن اجل هذا كنا نحن ـ الاصدقاء ـ نتبادل الحديث حول ذلك العمل وتلك الاهداف دون ان نخشى افتضاح امرنا ، ومن أجل هذا أيضا ظل الضباط الاحرار يعدون خطتهم ومشروعاتهم طوال عشر سنوات ، ولم يعرف احد سرهم !

واعود بك الى موضوع البحرية فأقول ان جمالا ظل فى الاسكندرية اياما قليلة وهو يحاول عمل حلقة اتصال مع ضباطها .. وبينما هو فى محاولته اذ طلب اليه اعضاء الهيئة التأسيسية العودة فورا الى القاهرة ... لانه ـ كما قلت من قبل ـ قد وصل الى علمنا ان الملك ينوى البطش بالضباط الاحرار بعد ان عرف اشخاصهم !

وترك جمال الاسكندرية قبل ان يتمكن من ايجاد الصلة بيننا وبين ضباط البحرية !

المفاجأة الثانية

تذكرت كل هذا وانا جالس مع قائد البحرية ورؤساء الفروع فى رئاستهم ، ولهذا كانت دهشتى كبيرة عندما قالوا لى ان مراكب الاسطول الراسية فى الميناء ربما اطلقت مدافعها على المحروسة وهى تحمل الملك المخلوع الى منفاه وتناقشنا طويلا حول هذه المشكلة ، وقلت لهم ان القيادة ارتبطت بوعد ، ولا بد من ان ينفذ وعد القيادة ، لا بد ان تخرج المحروسة سليمة الى عرض البحر بمن عليها .

واستقر راينا ـ كوسيلة لمنع ضرب المحروسة بالمدافع ـ ان نوزع انفسنا على مراكب الاسطول .. انا وقائد المحروسة ورؤساء الفروع ، كل واحد منا يصعد على ظهر مركب من مراكب

اسطولنا فى الميناء ، على أن يكون كل واحد منا مسئولا عن منع ضباط البحرية من نسف المحروسة !

وجاءوا بأحد اللنشات ليحملنا الى مراكب الاسطول الراسية فى الميناء .. وبينما كنت متأهبا للنزول الى اللنش اذ دق جرس التليفون فى غرفة قائد البحرية ، وقالوا لى ان القيادة تطلبنى .

كان زكريا محيى الدين ــ مدير العمليات ــ هو الذى يتكلم .. قال لى انه نمى الى علمه ان ضباط مدفعية السواحل قرروا ضرب المحروسة بالمدافع الساحلية الضخمة اثناء سفرها بالملك المخلوع ، وهم لن يسمحوا لها بالخروج من الميناء !

وطلب منى زكريا محيى الدين أن اتصل بهم وأعمل الترتيب اللازم حتى ينفذ وعد القيادة !

وكانت مفاجأة ثانية فى ذلك اليوم !

فضباط الاسطول قد استطعنا ان نجد طريقة لمنعهم من نسف المحروسة .. فماذا نصنع لنمنع ضباط السواحل من اطلاق مدافعهم الضخمة الرهيبة ؟ !

ولم أجد بدا من الاتصال تليفونيا بمندوب الضباط الاحرار فى مدفعية السواحل .. وشرحت للضابط الموقف ، ثم طلبت منه أن يتوجه بنفسه الى جميع مواقع المدفعية الساحلية لكى يشرح للضباط الوضع بالتفصيل ، ويقول لهم : ان القيادة ارتبطت بكلمتها .. ولابد أن يخرج الملك المخلوع سليما من البلاد .

وانتظرت بجوار التليفون ، ولم يلبث مندوب الضباط الاحرار أن اتصل بى ليخبرنى أن كل شىء على مايرام .. فقد استطاع اقناع ضباط مدفعية السواحل بعدم نسف المحروسة !

وبقى اقنـاع جلال علوبة بالسـفر مع فاروق ، فهو كان قد رفض السفر عنـدما أخبرته بأمر القيادة أثناء وجودى فى رئاسة البحـرية ، لانه خاف ألا يسمح له بالعـودة الى مصر بعد توصيل فاروق لكنى اخذته الى القيادة وهناك اقنعناه بأن عقليتنا لا يمكن ان تصل الى هذا الحد .. فهو مصرى ومكلف بمأمورية وبالرغم من صداقته لفاروق فنحن لا يمكن أن نمنعه من العودة الى بلده !

وبعد ذلك ركبنا اللنشات واتجهنا الى مراكب الاسطول لنمنع ضباطه من نسف المحروسة !

فاروق فى اللحظات الاخيرة

وكان من نصيبى الطراد « فاروق » وهو أكبر قطعة من اسطولنا !

ومن العجيب انه كان يقف تجاه المحروسة تماما !

ووقفت على ظهر الطراد ، وبدأت انظر الى رأس التين بالمنظار البحرى المكبر ٠

واقتربت الساعة من السـادسة .. وكنت لا ازال أتجه ببصرى نحو رأس التين .. وكنت أرى اللنشات وهى تتجه الى المحروسة ثم تعود ثم تجىء اليها مرة ثانية ، وعلمت انهم يحملونها بالمؤن وبمتاع الملك المخلوع استعدادا للرحيل ٠

وفى الساعة السادسة تماما نظرت من المنظار المكبر فرأيت علم فاروق فوق السـارية أمام رأس التين وقد أنزل ... ثم رأيتهم ٠٠٠ رأيت فاروقا ومن حوله المودعون من نسـاء ورجال ، ولم اميزهم جيدا بالمنظار ، وان كنت عرفت فيما بعد انه كان من بين هؤلاء المودعين على ماهر والسفير الامريكى وشقيقته فوزية ٠

فاروق يشتم الصحفيين

وظللت فى مكانى فوق الطراد « فاروق » احملق فى المنظار المكبر واشهد امامى نهاية ملك .. بل نهاية نظام

ورأيت فاروقا بجسمه الضخم يستقل اللنش الى المحروسة، وكان يرتدى بذلة بحرية بيضاء ويقف على مقدمة اللنش .. وخيل الى انه يريد أن يبدو شجاعا فى لحظاته الاخيرة ، وهو يغادر أرض الثورة .

وكانت اللنشات تروح وتجىء فى الميناء منذ الصباح حتى ساعة الرحيل ، وتقترب تلك اللنشات من راس التين ثم تدور حول المحروسة .. فكل الناس يريدون مشاهدة الفصل الاخير من رواية « فاروق الاول » .. بعد ان شهدوا كل فصول الرواية وضاقوا بها .

وكانت ناريمان وبنات فاروق قد وصلن الى المحروسة قبل الساعة السادسة .

وقبل ان يمر اللنش الذى يحمل الملك المخلوع امام الطراد الذى كنت فوقه سمعت طلقات رصاص .. وبحلقت فى المنظار وقد انتابنى شعور بالفزع .. خيل الى ان احدا أطلق الرصاص على فاروق .. وبهذا تكون القيادة قد أخلفت وعدها .

ثم عرفت ــ فى الحال ــ ان احد اللنشات اقترب من « لنش » الملك المخلوع وكان فيه صحفيون مصريون جاءوا ليلتقطوا صورا لفاروق ساعة رحيله عن مصر .. وما كاد فاروق يراهم وهم يقتربون حتى « تهيج » وصرخ بصوت عال وسبهم بشتائم مقذعة ، فما كان من حرس خفر السواحل الذين كانوا فى « لنش » يسير

بهم محاذيا للنش فاروق الا أن اطلقوا النار للارهاب .. وانطلق لنش الصحفيين بعيدا .

ووصل فاروق الى المحروسة ، ورأيته يصعد درجات السلم ثم يقف بعد ذلك فى الممشى فوق ظهر اليخت ، وكأنه ينتظر وصول أحد .

وبعد فترة قصيرة جدا جاء لنش آخر يحمل نجيب وجمال سالم وحسين الشافعى .. وكان من المفروض ان يودعوا فاروقا من « مرسى » سراى رأس التين قبل رحيله لكنهم تأخروا .. واقتربت الساعة من السادسة ، فاستقل فاروق اللنش على الفور كما ينص الانذار الذى تلقاه .

وجاء محمد نجيب وجمال سالم وحسين الشافعى الى المحروسة لتوديعه ، ورأيتهم يقفون مع فاروق ، وظللت أبحلق فيهم بمنظارى لكنى لم اكن اسمع حديثهم ... ثم ما لبثوا ان غادروا المحروسة .

كان أمر القيادة يقضى بأن يؤدى الطراد « فاروق » آخر تحية للملك المخلوع والمحروسة فى طريقها الى المنفى ، وطلبت من قائد الطراد أن يؤدى تلك التحية .. فبدأت المدافع تنطلق .. واطلقوا واحدا وعشرين مدفعا ، وكانت المحروسة خلال الطلقات تنسحب الى الخلف لكى تغادر « البوغاز » ثم تمضى بعد ذلك بعيدا عن أرض الثورة .

نمت على باب القيادة

وظللت أتابع « المحروسة » بالمنظار الى أن غابت عن عينى وهنا تلفت حولى لأجد ضباط الطراد يحيطون بى وعلى وجوههم الفرحة الطاغية .. وفى هذه اللحظة فقط وبعد ان انتهت «العملية»

شعرت بالتعب يطبق على كل جزء فى جسمى ... وترنحت وكدت أسقط فوق ظهر الطراد ... فمنذ ٢٣ يوليو حتى ذلك المساء لم أنم ولم استرح .. ولم أطمئن .

وكنت قبل رحيل المحروسة لا اشعر بتعب ولا بارهاق وفجأة اصبحت لا استطيع جر قدمى ، حتى عندما اردت مغادرة الطراد لاعود الى القيادة فى مصطفى باشا لم استطع النزول من فوق السلم .. فامسك بى ضباط الطراد وساعدونى حتى وصلت الى اللنش .

ووصلت الى مصطفى باشا ، وكنت لا ازال اترنح ... ثم دخلت من باب القيادة أجر قدمى جرا كأنى مصاب بعشرات اللكمات والضربات ، ورايت الى جوار الباب حجرة الضابط النوبتجى .. ولم يكن فيها أحد .. وبلا تفكير اتجهت اليها ، وبحذائى وبثيابى المبللة بالعرق والتراب تمددت فوق الارض لاستغرق فى نوم لم أذق أعمق منه أبدا .

مشكلة البنات والحيوانات

واستيقظت من نومى فى صباح اليوم التالى .. ووجدت نفسى اغادر القيادة فى مصطفى باشا وأتوجه الى محل البان كنت أتردد عليه فى وقت ما اثناء هربى من البوليس ... وتناولت طعام الافطار ثم عدت الى القيادة ... وعلمت أن جمال عبد الناصر اتصل بنا فى المساء وطلب منا أن نعود اليوم الى القاهرة .

وقد توجهت مع اللواء محمد نجيب الى مستشفى الحرس ، حيث زرنا الجنود السبعة الذين أصيبوا فى معركة راس التين . وصرفنا لهم مكافآت .

واثناء وجودنا فى المستشفى جاء اللواء عبد الله النجومى

وكان معينا من قبل القيادة لتصفية السرايات الملكية وتسليمها للحكومة .

وخيل الى ان النجومى فى ورطة .. وفعلا بدأ يتحدث عن ورطته .. قال انه يوجد فى سراى المنتزه واحدة وعشرون فتاة من مختلف الجنسيات وهن كن يعملن وصيفات ، وسألنا النجومى ماذا يصنع بهن الآن ؟

ثم بدأ يتحدث عن مشكلة ثانية استعصت عليه وهى ان الحيوانات والغزلان والطيور الموجودة فى السرايات مطلوب لها طعام ؟ ..

وطلب النجومى منا أن نحل المشكلتين ، وحللنا مشكلة البنات الوصيفات باخراجهن من البلاد .. فترحل كل واحدة الى بلدها .

اما مشكلة الحيوانات والغزلان فقد حلت بأن قلنا للنجومى انها ـ أى الحيوانات ـ يمكن أن تأكل طعامها العادى الذى كان يؤتى لها به .. الى أن تتسلمها الحكومة .

وعدنا الى القيادة بعد ذلك لنستعد للسفر الى القاهرة .

وفى القيادة كانت تنتظرنا مفاجأة أخرى ..

اول اجتماع للقيادة

كانت تنتظرنا مفاجأة فى القيادة بمصطفى باشا .. وقد استبدت بنا الدهشة عندما دخل رشاد مهنا علينا فى ذلك اليوم بعد رحيل فاروق !

وكنا ـ أو كنت أنا بالذات ـ لا أتوقع تلك المفاجأة اطلاقا ..

ماذا يريد هذا الرجل ؟ .. وما الذى جاء به ايضـا فى الاسكندرية ؟

لا أحد كان يدرى .. فذلك الرجل لم يفهمه احد تماما ، ولم يعرف أصدقاؤه ، أو أعداؤه ، أهدافه الحقيقية ..

هل يريد أن يثير زوبعة هنا .. مثل تلك التى أثارها فى مبنى القيادة بكوبرى القبة .. ! ؟ عندما جاء من العريش بدون اذن الى القاهرة ، وكان ضـباط المدفعية لا يعلمون موقفه من الثورة ، ورفضه الاشـتراك فى العملية عندما بدأت ، بل بعد ان نجحت صباح ٢٣ يوليو ، ظل يرفض التعاون .. ثم فوجىء بأننا نجحنا نهائيا واصبحنا فعلا نسيطر على الجيش وعلى البلد .... فأسرع الى القاهرة وهو مذهول لا يكاد يصدق ان الثورة نجحت بدونه !

ويومها ــ كما قلته ــ ظنه ضـباط المدفعية احد أقطاب الثورة فأحاطوا به هاتفين ، ثم جاءوا به فى موكب هائل الى القيادة فى كوبرى القبة ، ولم نستطع ان نفسر لضباط المدفعية موقف رشاد مهنا . لم نقل لهم ان هذا الرجل ليس من الثـوار ، ليس واحدا منكم ، فالمسألة لم تكن تحتمل ، فقد كان من الحماقة اثارة خلافات فى يوم الثورة الاول ..

تذكرت كل هذا وأنا أبحلق فى وجه رشاد مهنا عندما جاء الينا فى الاسـكندرية يوم طرد الملك ، ووقف فى الحجرة تائها مضطربا

لقد شعرت عندما رايته فى ذلك اليوم ان المتاعب فى طريقها الينا ان لم تكن قد جاءت فعلا !

ولم اتمالك مشاعرى ، كان لابد أن أحـدد موقفى على الفور من ذلك الرجل ، الذى لم يحدد اطـلاقا اهدافه او معتقداته ، ولا يستطيع انسان ان يعتمد عليه

وزاد فى احساسى بالريبة منه ذلك الاضطراب البادى عليه

كانت عيناه تتدحرجان فى جميع الاتجاهات وهو يتحدث الينا ...

لقد علم ان العرش قد سقط ، ولم يشترك هو فى عملية اسقاطه . وعرف انه قد اصبح فى مصر مئات الابطال وقادة فتح لهم التاريخ كل ابوابه وهو ليس واحدا منهم ، فمكانه سيكون خلف تلك الابواب

وها هو الآن امامى فى تلك الحجرة بقيادة مصطفى باشا ، انى اراه جيدا فى تلك الصورة .. الانسان الذى لم يعرف طريقه ، وبالرغم من جهله بالطريق فهو يريد أن يصل سريعا ، وبأى ثمن !

وظللت أتأمل فى رشاد مهنا وهو فى جلسته المضطربة أمامى فى مصطفى باشا ..

وكما قلت لم أتمالك مشاعرى فاقتربت منه ثم اخذته من ذراعه الى ركن فى الحجرة .. وسألته :

ـ ايه يا رشاد ... مالك ! ؟

ونظر الى فى اضطراب أكثر .. فسألته فى هذه المرة بلهجة جافة الى حد ما .. قلت له :

ـ عايز ايه يا رشاد ... قول ، ايه اللى انت عايزه ... مالك كده ... مضطرب ليه !؟

وفوجئت به يبكى ..

ثم قال لى وهو لايزال يبكى :

ـ أنا مش عايز حاجة .. أنا جاى أبارك على الخطوات الموفقة دى ..

رشاد يطلب اخراجي مع جمال سالم

وقد تكلم رشاد مهنا يومها بصوت مهـزوز ، وكان طوال حديثه زائغ البصر ..

ثم انشغلنا عنه بأمورنا .. وتركناه فى الحجرة تائها كما هو ومن حوله أربعة جدران ..

ولم أكن ادرى يومها أن حديثى الصريح معه سوف يفهمه على أساس أنى عدو له حتى كان ذلك اليوم الذى ذهب فيـه جمال عبد الناصر الى رشاد مهنا ، وكان رشاد وقتها قد أقيل من منصبه كوصى للعرش وأراد جمال كعادته دائما مع كل من تربطه بهم صلة ما .. صداقة كانت أو زمالة أو حتى مجـرد تعـارف عابر .. أقول أراد جمال أن يمد يده لرجل يعرفه ، لا لأنه صاحب نفوذ فهو كان قد أصبح لا شيء ولا لأنه فى حاجة اليه ، بل لأنه قد عرفه فى فترة ما ..

أراد جمال أن يمد يده لرشاد مهنا بعد خروجه من وصاية العرش فذهب اليه وقال له ان من الممكن الاسـتفادة بخدماته لهذا فهو يعرض عليه أن يكون سفيرا لمصر فى أية دولة يختارها ، وظن رشاد مهنا فى تلك اللحظة أن جمال عبد الناصر قد جاء اليه تائبا .. وانه ـ أى جمال ـ فى حاجة شديدة الى معونته ، وأن الثورة لم يعد يمكنها السير بدونه ... فقال لجمـال ان له شرطا أساسيا لقبول التعاون من جديد .. وهو أن يخرج جمال سالم وأنور السادات من القيادة ..

واضطر جمال عبد الناصر أمام هذه المفاجأة أن يوضـح لرشاد مهنا فى هدوء المسألة كلها .. فقال له انه لم يأت اليه لأنه فى حاجة الى التعاون معه ، بل لكى يساعده .

وتكلم جمال معه بصراحة .. فاستعرض امامه مواقفه من الثورة قبل قيامها وبعد أن قامت ، ثم بعد أن اصبح وزيرا ثم وصيا على العرش .. وخرج جمال من هذا كله بنتيجة واحدة اعلنها فى هدوء أمام رشاد مهنا .. وهو أن الوضع بالنسبة له اى ـ رشاد ـ هو انه خرج على الثورة ، اما بالنسبة للاثنين اللذين طلب ابعادهما عن القيادة فهو العكس تماما ..

ورفض رشاد بعد أن سمع رد جمال عبد الناصر .. أقول رفض الوظيفة .

هذا ما عرفته بعد موقفى الصريح منه يوم طرد فاروق ، عندما فاجأنا بوجوده فى مصطفى باشا .

ولنترك حديث رشاد مهنا ، فرشاد سوف نلتقى به كثيرا فى قصة ثورتنا ..

واعود الى الموضوع ..

كان علينا بعد أن رحل فاروق عن البلاد أن نعود فورا الى القاهرة ، بعد أن استدعانا جمال ليلة ٢٦ يوليو .

وفى اليوم التالى ـ ٢٧ يوليو ـ كنا فى القاهرة ، وانعقد فى نفس اليوم أول اجتماع للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار بعد قيام الثورة ، والاجتماع كان يرأسه جمال عبد الناصر ، وكان جمال قد انتخب مرتين رئيسا للهيئة بالاجماع كما سبق أن قلت ..

ولم يحضر اللواء نجيب هذا الاجتماع لانه لم يكن عضوا فى الهيئة .

وعندما بدأ اجتماع الهيئة كان اللواء نجيب فى مكتبه ، ثم جاء الينا ، وعندما رآنا مجتمعين عاد ثانية الى مكتبه .

استقالة جمال عبد الناصر

وفى هذا الاجتماع الاول للهيئة التأسيسية بعد الثورة وقف جمال عبد الناصر وتكلم فقال انه يقدم استقالته من رئاسة الهيئة بعد أن انتهت أول مرحلة من كفاح الضباط الاحرار ، ثم توجت بالنصر ساعة ان طرد الملك ٠٠ ومضى جمال يقول : انه رأى حتما عليه أن يستقيل بعد انتهاء تلك المرحلة من كفاحنا لكى يعطى فرصة لاعضاء الهيئة فينتخبوا رئيسا جديدا يواجه الاحداث القادمة ٠

وانتهى جمال من حديثه بأن أصر على تقديم الاستقالة ٠٠

وقد رفضت استقالة جمال بالاجماع ، وطلب اليه الاعضاء أن يستمر فى عمله كرئيس للهيئة ، ولكنه أصر على الاستقالة اصرارا تاما ٠٠

واضطررنا الى اجراء انتخاب جديد ، وتمت عملية الانتخاب فى اقتراع سرى ـ كالعادة ـ ففاز جمال بالاجماع ٠

موقف خالد محيى الدين

وبعد أن تمت عملية الانتخاب وبقى جمال رئيسا للهيئة ، وقف خالد محيى الدين وطلب الكلمة ٠٠ وتكلم فشرح موقفه ٠

قال خالد انه يطلب من زملائه تنحيته عن عضوية الهيئة التأسيسية لانه يدين بمبدأ معين ، ولهذا فهو يخشى لو بقى فى الهيئة التأسيسية أن يصطدم معنا من أجل المبدأ الذى يدين به ٠

ومضى خالد يقول انه رأى منعا لاى خلاف أن يعرض علينا تعيينه فى السلك السياسى ، فيسافر الى الخارج ٠

وقد دارت مناقشة طويلة بين الزملاء وبين خالد ، وكانت

مناقشة عاطفية للغاية ثم انتهت برفض انسحاب خالد محيى الدين من الهيئة .. أى استمرار التعاون معه .

اجتماعات فى الليل والنهار

وبعد ذلك توالت اجتماعات الهيئة التأسيسية ، كنا نجتمع بصفة مستمرة ، فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، وتلك الاجتماعات المستمرة ليلا ونهارا كانت من أخطر اجتماعاتنا .. فهى اجتماعات كنا نعد فيها خطط المعارك القادمة التى لا مفر منها بعد أن أصبحنا نحن على المسرح ، بعد أن خرجنا من تحت الارض ومن نطاق الاجتماعات السرية ، والكفاح فى الخفاء ، الى الكفاح فى العلن مع الشعب جنبا الى جنب .. وبلا فاروق ..

والعالم كله كان لايدرى شيئا عن أهدافنا بالتحديد.. والشعب أيضا ..

لم يكن أحد يعرف ماذا بعد فاروق ..

هل يبقى النظام كما هو ، وتظل مصر تحكم بتاج أسرة محمد على ، وصاحب الجلالة أحمد فؤاد الثانى ـ الطفل ـ كان على عرش البلاد !؟

بل لم يكن أحد فى مصر أو فى خارج مصر يعرف من نحن !؟

وهذا الذى حدث قد تم على أيدى من !؟

عرف الناس ـ فقط ـ فى مصر وفى خارج مصر ان اللواء نجيب هو قائد عام القوات المسلحة ، وانه هو الذى سيصنع المستقبل ، لانه هو الذى طرد فاروق فى ذلك اليوم من شهر يوليو !

وكنا نحن لا نريد على الاطلاق أن يعرف أحد فى مصر أو فى خارج مصر شيئا عن جمال عبد الناصر أو عبد الحكيم أو أى واحد منا ٠٠ لاننا قررنا أن نفنى جميعا فى شخص اللواء نجيب القائد والزعيم ٠

وأردنا أن يرسخ فى أذهان الشعب وفى أذهان كل العالم ان نجيب هو صانع كل تلك الاحداث فى شهر يوليو !

الطريق نحو الديمقراطية

وقد يسألنى بعض الناس ٠٠ ولماذا اتخذتم هذا القرار ؟! مادمتم قد حققتم أخطر مرحلة فى كفاحكم ، وطرد صاحب العرش عدو الملايين ، فلماذا لم تخرجوا الى الشعب بأشخاصكم وهو كان سيحملكم فوق رأسه مثلما حمل اللواء نجيب !؟

وأقول لهذا البعض اننا لم نكن نريد حكما ٠٠ لم نكن نريد أن نكون أعضاء فى حكومة مصر ، أو ساسة ضمن ساسة البلاد ٠٠ بل كانت كل أهدافنا هى تغيير نظام الحكم ولا يعنينا أن يحملنا الشعب على رأسه أو لا ، بل الذى يعنينا هو أن يتطور هذا الشعب بعد تحطيم كل قيوده !

أما الزعامة والمجد والنفوذ والسلطان فانها لم تكن من أهدافنا، ومنذ اللحظة الاولى حددنا لانفسنا الطريق ، فاللواء نجيب هو القائد والزعيم ٠٠ وهو كل شىء !

ونحن ـ كما سبق أن قلت ـ لسنا سوى جنود فى الثورة نحميها ونمهد أمامها الطريق لكى يصل الشعب الى الحرية والعدالة الاجتماعية وباختصار لكى يحكم الشعب فى النهاية نفسه بنفسه !

ذلك كان موقفنا بعد طرد فاروق فى ذلك اليوم من شهر يوليو عام ١٩٥٢ ٠

وكان علينا أن نعمل فى الليل وفى النهار لكى نحقق النصر فى مراحل الكفاح القادمة ، وفى كل اجتماع للهيئة التأسيسية كنا نتناقش لا حول الاهداف فالاهداف مقررة ولا سبيل الى تغييرها، بل حول وسائل تحقيقها ٠٠ بعد أن أصبحنا نكافح جنبا الى جنب فى العلن مع الشعب فى سبيل أعظم هدف وأخطره بالنسبة لحياة ملايين المصريين ٠٠ فى سبيل القضاء على المستعمر !

فهو ـ أى المستعمر ـ باق لم يطرد مع فاروق ٠٠ والمعركة القادمة ستكون حتما معه ٠٠ فليس هناك فى طريق الحرية والعدالة والديموقراطية أمام الشعب سواه ويجب أن يزول ! ٠٠

وكان الاستعمار فى تلك الايام التاريخية من شهر يوليو قد فوجىء باللطمة التى أصابته عندما طرد فاروق ٠٠

وانى أذكر أول معركة كانت بيننا وبين ذلك المستعمر ٠٠ أذكر اليوم الذى طرد فيه فاروق وكيف جاء الينا سفير بريطانيا بالنيابة فى ذلك الوقت ليقابلنا فى القيادة بمصطفى باشا ٠٠ قبل أن نعود الى القاهرة ٠

كيف بدأت المعركة وكيف انتهت ؟

دخل علينا القائم بأعمال السفارة فى مصطفى باشا وكنا مجتمعين ، وكانت فى يده مذكرة مكتوبة على الآلة الكاتبة ٠٠ وبدأ يتكلم تماما مثلما كان سفير الاستعمار يتكلم قبل أحداث يوليو ٠٠

وقال نائب السفير لنا وهو يقرأ فى « المذكرة » سالفة الذكر ان لديه طلبات !

ثم مضى يقرأ « المذكرة » محددا تلك الطلبات وكانت :

أولا : أن يعلن حظر التجول فى أنحاء مصر خوفا على أرواح الاجانب لانه يخشى - على حد قوله - أن يفقد الشعب السيطرة على مشاعره من شدة الفرح فيعتدى - أى الشعب على المحلات والمؤسسات !

ثانيا : ألا تحدث اية ثغرة فى نظام الحكم بعد خروج فاروق من البلاد ، فيعين مجلس وصاية على وجه السرعة ..

ثالثا : أن تحفظ حقوق أسرة محمد على ، وبالتالى حماية النظام الملكى فى البلاد !

وما كاد ينتهى من قراءة مذكرته حتى فوجىء بجمال سالم وبى - ونحن نتحداه ونسخر من طلباته !

قلنا له مادخل بريطانيا فى مثل هذه الامور، وهى أمور داخلية بحتة تخص الشعب المصرى لا الانجليزى، وقلنا له انه ليس لبريطانيا أو لغيرها أن تتدخل فى مثل هذه المسائل لأن هذا الزمن الذى كان لبريطانيا وغيرها من الدول حق تقديم طلبات قد انتهى ساعة ان تحركت « المحروسة » حاملة فاروقا الى منفاه ..

وكانت فرصة لنا لكى نلقى على ممثل بريطانيا أول درس بليغ عن الموقف فى مصر بعد فاروق ! ..

وبعد أن ألقينا على نائب السفير الانجليزى ذلك الدرس رأيناه يتراجع بسرعة عن موقفه ، وقال على الفور وبلهجة ناعمة وعلى فمه ابتسامة وديعة :

- أرجو أن تعتبروا زيارتى هذه ودية وهى زيارة للصداقة وللنصح لا غير ! ..

وطلب ـ رسميا ـ الا نعتبر أن هناك طلبات من بريطانيا ، وان حكومته لم تكلفه بهذه الزيارة على الاطلاق ، وهو قد فعل مافعل كصديق !

وقاطعناه قائلين :

ـ ولـكنك كنت تقـرأ من مذكـرة فى يدك • • فمـا هى الحكاية !؟

ومد يده لنا بالمذكرة وكانت تحوى تلك الطلبات •• وقال وهو يحاول تفسير موقفه : انه فعلا كتب تلك المذكرة بنفسه لكى يتذكر ماسوف ينصحنا به كصديق •

ولم يتركنا نائب السفير يومها الا بعد أن أكد لنا أكثر من مرة انه ماجاء الا كصديق، وان المسألة ليست تبليغا رسميا من بريطانيا •• وقال انه يسحب كل ماقاله لنا وطلب منا أن ننسى ماحدث •• ثم خرج !

تلك كانت أول معركة بيننا وبين بريطانيا ، وحدثت يوم طرد الملك ••

وكانت زيارة القائم بأعمال السـفارة ـ فى ذلك اليوم ـ قد سبقتها زيارات أخرى ومواكب أخرى عجيبة وكانت كلها مواكب نفاق •• بعد أن عرف الساسة الباشوات ان فاروقا قد رحل عن البـلاد •

الثورة وزعماء الأحزاب

الموقف السياسى بعد طرد فاروق

ماذا كان عليه الموقف السياسى بالتحديد ، بعد رحيل فاروق !؟ هذا هو السؤال ..

أنها كانت تجربة ضخمة فى تاريخ مصر السياسى .

فى اليوم الاول للثورة – ٢٣ يوليو – وبعد ان سرت الفرحة فوق هذه الارض ، ماذا فعل الساسة الباشوات ؟ !

هل فرحوا .. وايدوا وثبة الجيش فى ذلك اليوم من شهر يوليو ؟ !

كان الموقف واضحا .. الجيش قام ليصفى الموقف مع جلادى الشعب ، والجيش يفرض ارادته على ملك البلاد .. ثم الجيش يطلب عزل ذلك الملك ..! فهل وقفوا بجوار قيادة الجيش صانعة أحداث يوليو التاريخية ! ؟

وهم حينما كانوا زعماء للبلاد ، كانوا يطالبون بالاستقلال التام أو الموت الزؤام ، وينادون بالحرية والعدالة والديمقراطية ، كلما أرادوا حكم الشعب .. ! ؟

الوفد والسعديون والدستوريون والاخوان .. وكل الهيئات السياسية فى هذا البلد ، هل أيدت موقف الجيش من الملك فى أيام ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ يوليو ، مثلما أيد الشعب ذلك الموقف ! ؟

أم انهم كانوا لايمثلون الشعب فموقفهم – اذن – يصبح مختلفا تماما عن موقفه ؟.

لقد كانت أحداث تلك الايام من يوليو تشير بوضـوح الى أن الضربات بدأت توجه لاعداء الشعب ... لتصرعهم !

كان فـرض ارادة الشـعب على أسرة محمد على عمـلا ديمقراطيا ومن المحال وصفه بغير هذا .. فلماذا لم يقف زعماء البلاد الى جوار قيادة الجيش فى اللحظـات الاولى للمعركة ، وهم الذين كانوا يطالبون بحقوق الشعب وهم فى مخادعهم ! ؟

هل كانوا يتوقعون أن يفشل الجيش فى طرد الملك ، وفى هذه الحالة يصبح موقفهم اذا كانوا قد أيدوا الجيش عدائيا من أسرة محمد على ! ؟

وماذا عليهم لو كانوا قد وقفوا ذلك الموقف معنا ، والشعب كان يؤيدنا منـذ الدقيقـة الاولى .. أقول ماذا كان عليهم ــ وهم الزعماء الغيورون على مصالح الشعب ــ لو وقفوا وأيدوا الخطوة الاولى ، ولا أقول باقى الخطوات ! ؟

انى أقولها ويقولها التاريخ نفسه ان الزعماء جميعا كانوا يستهدفون فى تلك الايام مصالحهم فقط ومصالح أحزابهم ..

ففى صباح ٢٣ يوليو لم يؤيدوا الجيش لأن فى ذلك التأييد خطرا على تلك المصالح وذلك فى حالة فشل الجيش !

أما نجاح الثورة فذلك شىء لم يتوقعوه .. أما عزل الملك فذلك شىء لم يؤمنوا بأنه سيحدث !

لهذا فهم كانوا فى بيوتهم ، لم نسمع لهم صـوتا ، ولم نر وجها واحدا من وجوههم الكريمة !

كنا وحدنا فى المعركة ومعنـا الشـعب ... أما هم دعاة الديمقراطية والدستور والحريات فقد كانوا يأملون أن يفشـل

الجيش ويبقى ملك البلاد على عرشه ... فلا يحرمون من مقاعد الحكم ومغانم السلطان

حتى ذلك الرجل حسن الهضيبى وأتباعه ورثة كتاب الله فى هـذا الزمـان ، لم يؤيدوا قيـادة الجيش فى أيام الثـورة الأولى .. لم نر وجه الهضيبى وهو الداعيـة الذى يطالب بالحـريات والديمقراطية !

فأين كان ؟ !

أين كان وأتباعه وهم الذين زعموا فيما بعـد انهم صانعو الثورة !

ثم فجأة وعندما عرفوا أن الثورة نجحت وأن العرش قد سقط من فوق راس مولاهم جاءوا الينا مهنئين ... وهم الذين اختفوا عن أنظارنا قبل رحيل الملك المخلوع ... بل ان رجـال حزب الاغلبية ، الحزب الذى يدعى أصـحابه تمثيل الشـعب ، أقول ان هؤلاء الرجال ذهب بعضهم يوم ٢٤ يوليو - والشعب والجيش فى عنفوان معركتهما ضد صاحب الجـلالة - وقيدوا أسماءهم فى سجل التشريفات ، فى سراى رأس التين ، رافعين الى الاعتاب السامية فروض الولاء والطـاعة ، فى الوقت الذى كانت قوات الجيش تستعد للتحرك الى الاسكندرية لتطرد ذلك الملك !

ان اسم الفاضل صلاح الدين وزير خارجية الوفد لايزال فى دفتر التشريفات يشهد على صدق مانقول !

وكنا فى القيادة نعجب من هؤلاء الزعماء ... كنا نتوقع أن يجىء الينا بعضهم ليعلنوا عن تأييدهم لما حدث ... لكن يبدو أننا كنا نحسن الظن بهؤلاء القادة ، فهم الذين صـــالحوا القصر والمستعمر طوال أعوام حكمهم ، وهم الذين فرضوا طغيان فاروق فرضا على الملايين العارية الجائعة المريضة !

وهم الذين انسلخوا عن طبقتهم فعاشوا فى القصور كسادة يرفلون فى الحرير والنعيم ، ولتذهب المثل والقيم وكل المبادىء الى الجحيم !

وبعد أن زالت دهشتنا فوجئنا بمواكبهم تتدافع علينـا فى مصطفى باشا بالاسكندرية ، وفى كوبرى القبة بالقاهرة .

وقـد بدأت طلائع تلك المواكب تظهر على أبواب القيـادة بعد أن عرفوا أن فاروقا قد انتهى !

ان الفاضل صلاح الدين الذى رفع آيات الولاء والطـاعة للملك باسم الوفد يوم – ٢٣ يوليو – أى بعد الثورة ، جاء بعد رحيل فاروق ليهنئنا ويبارك ما حدث على أيدينا .

والهضيبى وصلاح الدين والزعماء الافاضـل من الاغلبية والاقلية .. وكل القطيع السياسى تزاحم على أبواب القيـادة ليقدم فروض الولاء للسيد الجديد !

نفس الموقف .. فهم فى الماضى كانوا يتزاحمون على أبواب القصر معلنين عن الولاء والخضـوع والطاعة ، واليوم يجيئون الى أبواب القيادة بعد أن رحل صاحب القصر ، وقد ظنوا أننا مثل سيدهم الذى ذهب !

ظنوا اننا ستدور بنا الرءوس أمام نفاقهم وريائهم فنضع مقاعد الحكم بين أيديهم ببساطة ونحن راضون !

ذهب سيد وجاء سيد ، تلك كانت معتقداتهم وآمالهم !

لقد كنا ونحن نستقبلهم فى القيادة لانستطيع اخفاء أسفنا، كنا نكاد نختنق من الضيق ، وهم أمامنا يبتسمون فى خضوع مباركين ومهنئين ومؤيدين !

وكلما جاء الينا زعيم من زعماء البلد كنا نلتفت الى بعضنا، ولانملك الا أن نشكره على عواطفه الرقيقة ووطنيته الصادقة

كانت المسألة رياء فى رياء .. وليس لها أصل من الحقيقة !

نجيب يبدى دهشته

ولنترك حديث دعاة الديمقراطية ، بل جلاديها .. فحديثهم سيجىء كثيرا فى قصتنا .. وأعود الى الموضوع :

قلت فيما سبق ان الهيئة التأسيسية عقدت أول اجتماع لها بعد الثورة وبعد رحيل فاروق واستقال جمال عبد الناصر من رياسة الهيئة فى ذلك الاجتماع ، ثم أجريت انتخابات جديدة ففاز جمال بالاجماع للمرة الثالثة .. ثم توالت اجتماعات الهيئة التأسيسية .

وكانت الهيئة مجتمعة بصفة مستمرة فى الليل وفى النهار ، فقد كان علينا أن نعد عدتنا للمعارك القادمة بعد أن أصبح كفاحنا فى العلن جنبا الى جنب مع الشعب .

ولم يحضر اللواء نجيب تلك الاجتماعات فهو لم يكن عضوا فى الهيئة التأسيسية فكان يظل جالسا فى مكتبه حتى ننتهى من

أعمالنا ، فيجيء يجلس معنا ، ونحيط به كأنه أب لنا ، فكان لايترك مناسبة دون أن يعبر لنا عن عجبه من موقفنا .

كان يقول لنا ان كل شيء قد تم بمجهودنا ، وبالرغم من هذا فنحن ننسب كل شيء له وحده ، وهو لم يصنع شيئا على الاطلاق .. وكان يبدى لنا خجله من هذا الموقف ، فكنا ننكر فى شدة أننا صنعنا شيئا ، كنا نحاول خلق روح من الثقة التامة بيننا وبينه .. وفعلا كان موقفه يزيد من ثقتنا فيه ، الى حد ان عبد اللطيف بغدادى قال ذات مرة ــ كما قلت من قبل ــ ان هذا الرجل ــ أى نجيب ــ أصبحت أحبه مثل والدى .. وربما اكثر !

جمال يتنازل عن الرياسة لنجيب !

وفى تلك الاجتماعات المستمرة للهيئة كانت كل صغيرة وكبيرة تعرض علينا للبت فيها طوال النهار والليل .. واللواء نجيب كان يجلس فى مكتبه يستقبل الصحفيين المصريين والاجانب .. ثم عندما يعلم أننا لسنا مجتمعين يترك مكتبه ويجيء ليجلس معنا .

واستمر الوضع على هذا الحال حتى منتصف أغسطس

وفى جلسة الهيئة التأسيسية التى انعقدت يوم ١٧ أغسطس فوجئنا بجمال عبد الناصر ــ رئيس الهيئة ــ يتقدم بطلب يقول فيه انه يتنازل عن رياسة الهيئة للواء محمد نجيب !

وقبل أن نفيق من دهشتنا مضى جمال يقول :

ـ ان الوضع أصبح حرجا للغاية بالنسبة لنجيب ، فهو لا يحضر اجتماعاتنا وهو يحمل رتبة لواء فلا يصح أن نضمه كعضو فى الهيئة فحسب ، بل انى متنازل له عن الرئاسة ؟

وتناقشنا طويلا حول هذا الموضوع ، ثم تقدم جمال عبد الناصر باقتراح بضم اربعة آخرين الى الهيئة التأسيسية مع نجيب ، على أن يكون نجيب رئيسا بالنسبة لرتبته ، لانه لايعقل أن يجلس معنا كعضو عادى ونحن الذين قدمناه للشعب باعتباره قائدا للثورة .. وبعد أن فرضناه أيضا قائدا عاما للقوات المسلحة !

اقتراح من جمال سالم

وفى الوقت نفسه تقدم جمال سالم باقتراح ثان وقال فيه : انه يرى أن يكون أعضاء الهيئة التأسيسية خمسة فقط ، او ثلاثة ، على أن يعود باقى الاعضاء الى وحداتهم فى الجيش ، ويبقى الثلاثة او الخمسة لقيادة الثورة !

واستمرت المناقشة حول الاقتراحين فترة طويلة ، ثم انتهت بأن وافقت الهيئة على اقتراح جمال عبد الناصر ، فدخل محمد نجيب ـ لأول مرة ـ الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، ومعه أربعة هم : يوسف صديق ، وزكريا محيى الدين ، وحسين الشافعى ، وعبد المنعم أمين ..

ومضينا نستعد للأحداث القادمة ..

أصبح اللواء نجيب معنا فى الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، ولم يكن عضوا من قبل ولم يكن يحضر اجتماعات الهيئة لا قبل الثورة ولا بعدها ..

فكان كلما اجتمعنا بعد طرد فاروق يجلس فى مكتبه حتى ننتهى من الاجتماع ، فيجىء الينا لنحيط به وعواطفنا كلها معه ، لم نشك فى ايمانه بالثورة ، فأعطيناه كل ثقتنا واعتبرناه كأب لنا .. فهو كان فى كل لحظة يجلس معنا يتحدث فى خجل عن انكارنا لاشخاصنا ، فيقول : ان كل شىء قد تم بمجهودنا نحن وهو لم يصنع شيئا ، وبالرغم من هذا فهو يعجب لاننا ننسب كل شىء له ، ونقول للشعب وللعالم : انه هو قائد الثورة ، وهو صانع كل شىء ..!

وهكذا تبادلنا الثقة فى أيام ما بعد فاروق .

وكما قلت سابقا فاجأنا جمال عبد الناصر فى جلسة الهيئة التى انعقدت فى ١٧ أغسطس ١٩٥٢ بتنازله عن الرياسة للواء نجيب ، وقال لنا وهو يبرر ذلك التنازل : «ان الوضع أصبح حرجا للغاية ، فاللواء نجيب قد قدمناه للشعب باعتباره قائدا للثورة ، وفرضناه قائدا عاما للقوات المسلحة .. وفى نفس الوقت هو لايحضر اجتماعاتنا ، وهذا ما لا يصح أن يدوم » .

وبعد مناقشة استمرت وقتا طويلا جدا وافقنا على اقتراح جمال ، واصبح اللواء نجيب رئيسا للهيئة التى ظل جمال

رئيسا لها منذ أنشئت ، وانتخب ثلاث مرات قبل الثورة وبعدها بالاجماع لرأسها .

ودخل أربعة آخرون مع نجيب أعضاء فى الهيئة هم : زكريا محيى الدين ، وحسين الشافعى ، ويوسف صديق ، وعبد المنعم أمين .

ومضينا كما قلت ، نستعد لمواجهة الاحداث القادمة .. نجيب رئيسا للهيئة وجمال وكيلا لها .

وقبل أن أمضى فى سرد الوقائع التى جرت بعد ذلك ، أود أن اذيع على الرأى العام فى مصر وفى الخارج حقيقة ظلت فى طى الكتمان منذ قامت الثورة .

وهى سر اختيار رشاد مهنا وصيا للعرش .. فقد أوضحت فى الحلقات السابقة موقف رشاد مهنا أولا بأول من الثورة .

وكان آخر موقف له سردته هنا هو قصة مجيئه الينا فى الاسكندرية يوم طرد الملك ، وحيرته الشديدة واضطرابه عندما دخل علينا فى القيادة هناك ! وسألته يومها عن سر اضطرابه وحيرته .. فبكى وقال انه جاء ليبارك الخطوات الموفقة للثورة ! ..

وقد عاد رشاد الى القاهرة معنا فى نفس الطائرة يوم ٢٧ يوليو — ولم يكن أعضاء القيادة يتوقعون ان يقرر جمال عبد الناصر حسم الموقف بالنسبة لرشاد مهنا منعا للخلافات ، وبطريقة تحقق آمال ومطامع رشاد نفسه .

فقد كان ضباط المدفعية وغيرهم من الضباط لا يعلمون حقيقة موقف رشاد من الثورة كما قلت من قبل ولم يعرفوا أنه

رفض الاشتراك فىالعملية ورفض أنيتعاون على الاطلاق واعتقدوا عندما جاء من العريش بدون اذن ، أقول اعتقدوا أن رشاد مهنا هو أحد أقطاب الثورة وقائد من قادتها ..!

والموقف لم يكن يحتمل تفسيرا .. فربما حدثت بابلة ونبتت خلافات والثورة فى أيامها الأولى .

فلم نقل للضباط الحقيقة ، وظل رشاد صامتا أيضا..

وعلى هذا ظل الاعتقاد ـ بأن رشاد مهنا قطب من أقطاب الثورة ـ سائدا بين ضباط المدفعية وغيرهم .

وأمام هذا الموقف شعر جمال عبد الناصر أن رشاد مهنا يريد شيئا ما ..

وعرف جمال الشيء الذى يريده رشاد .

وأراد جمال أن يعطيه ذلك الشيء حتى لا تحدث خلافات أو انقسامات نتيجة للفهم الخاطيء لموقف رشاد مهنا ..

ورشاد يهوى المظاهر والنفوذ والسيطرة .. رشاد طوال حياته هكذا يجرى خلف المظاهر ويتشبث بها ، ولا يعنيه شيء على الاطلاق سوى عشقه للمظاهر .

ودون أن نعلم ، توجه جمال عبد الناصر الى على ماهر وكان رئيسا للوزارة فى ذلك الوقت . وقال له ان القيادة تريد أن يكون هناك من يمثلها فى مجلس الوصاية وطلب جمال من على ماهر أن يكون رشاد مهنا هو الذى يمثلنا فى مجلس الوصاية .

وتبين بعد مراجعة الدستور انه لكى يعين أحد وصيا لابد أن يكون وزيرا سابقا على الأقل .

وزالت العقبة ، فاتفق جمال على تعيين رشاد مهنا وزيرا للمواصلات ليصبح بعد ذلك وصيا على العرش .

وبعد أن أنهى جمال المسألة عاد الينا فى القيادة وأخبرنا بما تم . وبالرغم من أنها كانت مفاجأة لنا ، الا أننا اعتبرنا ذلك حلا رائعا لمأساة رشاد مهنـا .. ولمشـكلته التى كنا جميعا نشـعر بخطورتها. وعندما وقعت المأساة وأصبح رشاد وصيا على العرش استنتج الناس فى مصر وفى خارج مصر أن ذلك الرجل هو قطب الاقطاب .. فى الثورة ، تماما كما كان شائعا عن اللواء نجيب..

والواقع أن رشـاد مهنا كان يتصرف عنـدما أصبح وصـيا العرش باعتبـاره ملك البلاد .. وسأروى فى حلقة أخرى كيف كان رشاد مهنا يتصرف وهو جالس فى قصر عابدين !

انه لم يشبع بالوصاية فبدأ يعد لنفسه مستقبلا أكبر .. ونسى الثورة كالعادة .

ويكفى اليوم أن أشير الى كلمة قالها ردا على طلب للقيادة وكنا نعتبره ممثلا لنا ..

قال رشاد يومها وهو يرفض الموافقة :

ـ انى أملك وأحكم أيضا .

نصحونا بأن نحكم ..

وأعود الى قصتنا ..

قلت اننا بدأنا نستعد بعد دخول نجيب الهيئة التأسيسية لمواجهة الاحداث القادمة ، وبدأنا نناقش الوضع السياسى فى البلاد ، بعد خروج فاروق ..

والموضوع الذى شغل وقتا كبيرا من مناقشـاتنا فى تلك الايام هو دعوة برلمان الوفد الذى كان قائما قبل حريق القاهرة للانعقاد ، والنحاس وسراج الدين كانا فى مصايف أوربا يستشفيان فى ذلك الوقت .

وأذكر انه بعد ٢٦ يوليو أى بعد خروج فاروق جاء الينـا أناس كثيرون فى نشوة النصر ونصحونا بأن نجلس نحن على مقاعد الحكم .

لقد ظنوا أن بريق النصر سيخدعنا ..

اعتقدوا أننا طلاب حكم ، لكنهم فوجئوا بنا نقول لهم : لا .. لا ..

وكررناها فى حزم وقوة .

واعـود الى الفترة التى سبقت الثورة بوقت قليل .

عندما كنا نتصل بكل الهيئات ونحن نستعد لاشـعال نار الثورة .

لقد فكرنا فى تلك الفترة أن نطلق شرارة الثورة الأولى بأن نفرض حزب الأغلبية وقتذاك ـ الوفد ـ على الملك .. واعتبرنا هذه الخطوة بداية للمناورة ، واتصلنا فعـلا بفؤاد سراج الدين « باشا » وأوفدنا اليه البكباشى أحمد أنور أحد الضباط الاحـرار ـ وقائـد البوليس الحربى ـ وذهب أحمـد أنور ليسأل فؤاد سراج الدين عن موقف حزب الوفد فى حالة ما اذا فرضه الجيش على الملك ؟!

وقد طلب سراج الدين مهلة ليرد على ذلك السـؤال .. حددها بشهر ..

الوفد يخشى المعركة ..

وبعد شهر جاءنا رد سراج الدين .. وهو الرفض لان قطب الوفد ، ووارث الزعامة راى أنه من المحال أن ينجح الجيش فى هذه العملية ..

عاد أحمد أنور الينا وهو يحمل رد الوفد .. ان حزب الأغلبية لا يؤمن على الاطلاق بأن هناك قوة يمكنها فرض أى شىء على الملك ، لهذا يعتذر سراج الدين عن تحديد موقف معين — للوفد — فى مثل هذه الحالة ..

وفهمنا يومها مدى ايمان قيادة الوفد بالشعب .. فتلك القيادة لا تؤمن على الاطلاق بالكفاح العملى ضد أعداء الشعب « أى القصر » بل تترقب وتنتظر تحسن الأحوال حتى يستدعيها ملك البلاد الى حكم البلاد .

أما فرض ارادة الشعب على الملك فذلك شىء لا يؤمنون به بل يهابون الاشتراك فى اظهار تلك الارادة .

وزيادة على هذا فقيادة الوفد قد رأت فيما عرضناه عليها خطرا قد يودى بها فى حالة الفشل ، وهى قيادة قد قررت عدم خوض معارك مع الشعب أو الجيش ضد الاعداء ، بل قررت مهادنة هؤلاء الاعداء والتعاون معهم اذا ارادوا — اى الاعداء — تلك المعاونة .. وليذهب الشعب الى حيث يشاء .

وفهمنا يومها أيضا أن قيادة الوفد قد انسلخت نهائيا عن طبقات الشعب المكافحة المتطلعة الى المستقبل .. انسلخت عنها فى اللحظة التى ضمت فيها تلك القيادة طبقة الاقطاعيين وهى الطبقة التى اتحدت مصالحها مع مصالح القصر والاستعمار أيضا

.. الطبقة التى لولاها لما كان فى البلاد قصر ولا استعمار ولا جوع ولا عرى ولا مرض .. هى الطبقة التى تشرب الدم البشرى وتريد أن تظل ممعنة فى ارتكاب هذه الجريمة الى الابد ..!

الوفد يتجه الى مصدر القوة

واستعرضنا يومها مواقف الوفد ــ أو بعبارة أكثر صدقا ــ مواقف قيادة الوفد منذ انتهاء الحرب العالميــة الثانية حتى حريق القاهرة !

وكان لابد أن نستعرض ذلك الموقف .. فالمسألة هى مسألة القضية الوطنية وليست شيئا آخر .. وعلينا أن نعرف أعداء هذه القضية ثم علينا أن نعرف أيضا قادتها الحقيقيين !

لقد كان موقف قيادة الوفد ــ وهو حزب الاغلبية ــ هو الاتجاه الى مركز الثقل فى السياسة المصرية ، ومركز الثقل كان فى يد كليرن السفير الذى كان يحكم البلاد .. ثم عندما انتقل مركز الثقل هذا الى يد الملك بعد الحرب العالمية الثانية ــ وكان ذلك من خطة الاستعمار فى ذلك الوقت ــ اتجه الوفد الى القصر وهادنه .. تماما مثلما هادن كيلرن وارتمى فى أحضانه !

وهذا التحول المؤسف فى سياسة الوفد ظهر واضحا للعيان بعد أن أجريت الانتخابات على يد حسين سرى وفاز الوفد بأغلبية ساحقة ، وأصبح على الملك أن يدعــو الحزب الفائز ليتــولى الحكم ..

وسواء كان الوفد قد كسب المعركة الانتخابية بالباطل أو بالحق فهو ــ أى الوفد ــ قد فاز على أى حال وتربع أقطابه على مقاعد الحكم بعد أن ظلوا خمسة أعوام بعيدين عنها .. فى انتظار الفرج !

أصبح الوفد ـ اذن ـ فى يده كل الفرص لتحقيق مصالح الشعب وأهدافه العظمى بعد فوزه فى تلك الانتخابات .. فهل فعل ؟

لقد استبد الرعب بالملك عندما عرف نتيجة الانتخابات !

انتابه الفزع ، فالوفد قادم ليصفى معه الحساب .. ليأخذ منه حق الشعب !

وليلة أن أذيعت نتيجة الانتخابات استدعى الملك حسين سرى رئيس الوزراء وقال له :

ـ تعالى حوش عنى الوفد !

وكان مفروضا أن يخوض الوفد ـ باعتباره ممثلا للشعب كما يقولون ـ المعركة فى الحال ضد استبداد القصر .. فان الفرصة الذهبية التى كان ينتظرها قد هبطت بين يدى قادته .. فهم أصبحوا حكاما !

وفى يناير ١٩٥٠ استدعى الملك مصطفى النحاس ليكلفه بتأليف الوزارة بعد نجاح حزبه فى الانتخابات .. وكان الملك يرتجف عندما دخل النحاس عليه فى عابدين .. كان يتوقع استفزازا أو حتى ابتسامة شماتة تظهر على فم صاحب المقام الرفيع ، بعد أن فاز رغم أنف الملك وأصبح حاكما رغم أنفه أيضا .. وهو الذى ظل فريسة لاضطهاده طوال خمسة أعوام قضاها بعيدا عن لاظوغلى .. وعن النفوذ والصولجان !

وسمع الملك صوت صاحب المقام الرفيع يتكلم .. سمعه يقول له :

ـ انا ليه طلب ..

وتوقع فاروق شرا ٠٠ ظن أن زعيم الأمة قرر الاشـتباك معـه فى معـركة وهو لم يزل فى أول الطريق ٠٠ وقبل أن تختفى صفرة الخوف من وجه فاروق بعد ذلك السؤال سمع النحاس يقول له :

ـ طلبى ٠٠ انى أبوس ايد مولانا !

وهكذا سقطت قيادة الوفد نهائيا فى قبضة أعداء الشعب فهى اذن قيادة غير شعبية .. وهى القيادة التى أيدها الشعب وجاء بها الى الحكم لتحمى مصالحه وتعمل من أجله .. فنوجىء بها تحمى مصالح القصر وتعمل من أجـل سراج الدين ، وباقى الباشوات أعضاء القيادة الوفدية !

ومن أجل هذا لم نعجب حين حمل الينا أحمد انور منـدوب الضباط الاحرار الى الوفد رد سراج الدين .. الذى اعتذر فيه عن التعاون معنا ، وكنا قد قررنا أن نفرض الوفـد على الملك كخطوة أولى لاشعال نار الثورة .

يريدون حكما ونريد ثورة

وبعد ذلك ـ أى بعد أن رفض فؤاد سراج الدين أن يخوض الوفد المعركة مع الضباط الاحرار ـ قررنا عدم التعاون اطلاقا مع الهيئات والاحزاب فى مصر ٠٠ لان العقلية التى تسـيطر على قادتها تختلف تماما عن عقليتنا .. فهم يريدون حكما ونحن نريد ثورة .. نحن فى ناحية وهم فى ناحية أخرى .. نحن نريد تغيير نظام الحكم ، وهم يريدون الحكم نفسه !

يريدون الحكم فى كنف فاروق .. وكريم ثابت وبوللى وخدم القصور .

أما المعارك جنبا الى جنب مع الشعب ضد فاروق فذلك شيء يرعبهم ويجعلهم يهربون من الميدان .. الى المخادع الناعمة فى انتظار العطف السامى .

كانت المسألة فى برنامجنا هى كفاح من أجل الشعب ، أما المسألة التى فى برنامجهم فهى كانت كفاحا من أجل الحكم .

لهذا قررنا استبعاد كل الهيئات والاحزاب من كل خططنا فى المستقبل .

وقررنا فى نفس الوقت الإعتماد على أنفسنا .. على تشكيل الضباط الاحرار ، فمن بين صفوف هذا التنظيم المناضل يمكن أن تظهر القيادة السياسية الوحيدة التى لا تتعارض مصالح أفرادها مع مصالح طبقات الشعب المتطلعة الى التحرر . فكل الضباط الاحرار من عائلات متوسطة وليسوا أبناء باشوات وليسوا من صلب الارستقراطية المصرية الخائنة المتعاونة مع القصر وكل أعداء الشعب .

رأيان يتصارعان

غير أننا بعد عزل الملك بدأنا نناقش الوضع من جديد . وفى كل اجتماعات الهيئة التأسيسية المستمرة دائما فى تلك الأيام لم يقف أحد منا لينادى بأن نتولى نحن الحكم .. وانما كان هناك رأيان يتصارعان :

الرأى الأول يقول : بما أننا كنا ننوى أن تبدأ الشرارة الأولى للثورة بفرض حزب الأغلبية على الملك فماذا يمنع لو استدعينا برلمان الوفد لتسيير الامور ونجلس نحن نراقب الاحوال والخطوات وتنفيذ أهداف الثورة .

والرأى الثانى يقول : لا يصح أن يحدث هـــذا ٠٠ فالوفد وكل الأحزاب والهيئات بما فيهم الاخوان قد تخلفوا عن التعاون معنا قبل الثورة ، واعتقدوا عندما اتصلنا بهم أن المسألة خيال فى خيال .. وتخلفهم هذا معناه أنهم ليسوا ذوى نوايا حســنة بالنسبة للشعب ، ومعناه أيضا أنهم لا يؤمنــون بما ينــادى به الشعب ، وكفاحهم من أجل مصالحهم هم لا مصـــالح الشعب . وقيادة كل هيئة وكل حزب أصبحت معزولة عن الشعب تماما .. ومصـــالحها متناقضـــة مع مصالح الشعب فهى ـ أى تلك القيادات ـ سوف تكون حربا على أهداف الثورة لو مددنا أيدينا اليهـــا .

ومضى أنصار الرأى الثــانى يفسرون أهــداف الهيئــات والاحزاب ويقارنونها بأهداف الشعب ٠ ثم قالوا : ان الثورة تحتم الغاء كل تلك الاحزاب والهيئات التى تآمرت على الشعب طوال ربع القرن الاخير .. وهى على استعداد فى كل وقت للتآمر على مصالحه حتى بعد خروج فاروق .. فلن يعدموا طاغية آخــر وأعداء آخرين للشعب تتفق مصالحهم مع مصالح هؤلاء الساسة القدامى . وفى هذه الحالة ماذا سوف يحدث !

كأننا لم نقم بثورة .. وكأننا لم نطــرد صاحب العرش ، وكأننا كافحنا وأصررنا على الكفاح من أجل أن نسلم البلد لهــذا القطيع المتآمر والخاضع للاستبداد المتطلــع الى لاظوغلى لا الى الشعب !

واستمرت المناقشة واحتدمت فى تلك الاجتماعات للهيئة التأسيسية . وكان الرايان المتصارعان هما محور كل المناقشات!

.. كان رسل الوفد يقفون أمامنا وينبرى قطب منهم ، ويقول :

ـ اسمعوا .. لا خلاص لكم الا بالوفد .

وقال لنا الاخوان :

ـ نحن لها .. نحن الذين سننقذ الموقف ... أما غيرنا فيخدعكم ويغرر بكم ... اجعلونا أوصياء على الثورة ، هذا هو الحل الوحيد ، ولا خلاص لكم الا بوصايتنا .

... وكنا نؤمن بأن الثورة لايمكن أن تمضى فى طريقها بديمقراطية الوفد والاخوان والسعديين .. ديمقراطية النظام الملكى الاقطاعى القائم فى كنف القوات المحتلة ... ديمقراطية العبيد .

... وكنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق المقدس فى كل شبر من أرض مصر بعد طرد فاروق ، تتيقظ وتعى موقفها تماما ازاء الاحداث التى ستترى بعد ذلك حتى لا تضلل ، فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق أرزاقهم ، وحتى لا تسير مظاهرة من أفراد مساكين ، ويقودها مشعوذ أو أجير لتهتف :

ـ حرامى .. حرامى .. لكن عايزينه .

وطالبنا الاحزاب بالتطهير .

ومنهم زرق الانياب وقدامى السياسة والحكم ، انهم يستطيعون أن يضحكوا علينا .

وعقد الوفد اجتماعا واصدر قائمة .

وعقد السعديون اجتماعا واصدروا قائمة .

وعقد كل حزب اجتماعا وأصدر قائمة .

وكانت حكاية التطهير مهزلة .

ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للاشخاص والبرامج لما كان في مصر ثورة ، ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبل عشرات السنين .

ماذا كانت تريد ؟..

لقد وقفت بالقارىء فى آخر حلقة من القصة عند موقف الاحزاب من هذه الثورة ، وقلت اننا فتحنا أمامهم الابواب ومددنا أيدينا لكل زعيم منهم وقلنا : تعالوا .. ساهموا معنا في هذا العمل التاريخى الكبير .. تعالوا نصنع ــ جميعا ــ مستقبل شعب قضى عمره يجوع ويمرض ويموت .

وترددوا ــ جميعا ــ ولم يمد أحدهم الينا يده .. كانوا يعتقدون أن الذى حدث فى ٢٣ يوليو ما هو الا أحد الانقلابات المعروفة العادية ، والتى قد تزول بين يوم وليلة ، وبعد ذلك يتولون زمام الامور من جديد .

لم يفهموا على الاطلاق أنها ثورة والا فما معنى ترددهم؟!

قرروا أن ينتظروا ليروا الى اين تتجه الاحداث بعد ذلك اليوم من يوليو . وفى نفس الوقت ، ونحن نعد خططنا لتغيير نظام الحكم ، كان الرسل يجيئون الينا ويروحون..رسل الوفد يقفون امامنا وينبرى قطب منهم ويقول :

ـ اسمعوا .. لا خلاص لكم الا بالوفد .. صدقونا .. انتم لن تتمكنوا من صنع شيء على الاطلاق ، الا اذا أيدناكم نحن الوفديين ، فلابد من حزب سياسى يقف الى جواركم .

ولا ينسى « القطب » أن يستعرض امامنا قائمة الاحزاب المصرية الموجودة .

وبعملية بسيطة نخرج من الاستعراض بأن الوفد هو الحزب الوحيد الذى لا نجاة للثورة الا به ، لأنه حزب الاغلبية. ويخرج أقطاب الوفد من عندنا ليدخل أقطاب آخرون هم الاخوان، وفى بساطة وبمنطق غريب يتحدثون عن أنفسهم كأنهم هم صناع التاريخ والتطور الانسانى .

قال لنا الاخوان : نحن لها .. نحن الذين سننقذ الموقف اما غيرنا فيخدعكم ويغرر بكم .. اجعلونا أوصياء على الثورة .. هذا هو الحل الوحيد ، ولا خلاص لكم الا بوصايتنا .

من يريد أن يثور معنا

وكنا نلاحظ بوضوح ونحن نستمع الى كلام «الاخوان» انهم على ثقة من قدرتهم على خداعنا ، فكنا نلوذ بالصمت ولا نشعرهم بأننا نفهم كل ما يدور فى رءوسهم .. الجميع كانوا ينظرون البنا باعتبارنا صغارا لا قدرة لهم على مواجهة الاحداث .. كأنهم كانوا بأعمارهم المديدة قادرين على مواجهة احداث ما قبل يوليو .. فما بالهم بما بعد ذلك التاريخ ؟!

الواقع اننا ـ فى ذلك الوقت ـ كنا فى حيرة ، فقد كانت الخطة التى وضعناها فى اخلاص شديد تقضى ـ فعلا ـ بالتعاون مع من يريد أن يثور معنا ، من يفهم أن المسألة هى العمل والعمل والعمل .. وليس الحكم !

ومن أجل هذا طلبنا من كل الاحزاب أن تطهر نفسها فورا كشرط للتعاون من أجل بعث مصر وتغيير شكل النظام القائم.

ديمقراطية العبيد

قلنا لهم : انسوا برامجكم القديمة وأساليبكم الماضية ، وتخلوا عن معتقداتكم التى كانت تتفق مع الوضع قبل يوليو ، وقد اختلف الوضع بعد ذلك التاريخ .. ولا سبيل الى العمل أو التعاون والاشتراك فى « الثورة » بهذه العقلية وبتلك البرامج والمعتقدات !

كنا نؤمن بأن «الثورة» لايمكن أن تمضى فى طريقها بديمقراطية الوفد والسعديين والاخوان ، فتلك كانت ديمقراطية النظام الملكى الاقطاعى القائم فى كنف القوات المحتلة .. أى ديمقراطية العبيد !

فالبرلمان والدستور وكل الاشكال الوهمية للحرية.. والتى كانت قائمة قبل يوليو كانت وسيلة لحكم الشعب بالقوة ومنعه من نيل حق واحد من حقوقه التى كانت فى قبضة أعضاء البرلمان والحكام وحماة الدستور .

كان الاقطاعى يمثل تمثيلا ـ ديمقراطيا ـ مصالح الفلاحين .. عبيده ! فأين الديمقراطية هنا ، وكيف كان يمكن للثورة أن تقضى على الاقطاع اذا رأى قادتها أن يجعلوا مبدأ التعاون مع الوفد وغيره من الاحزاب هو الاساس الذى سيقوم عليه النظام بعد يوليو !؟

ذلك كان الموقف بالتحديد ، لا ديمقراطية اذن ولا دستور ولا حريات ولا برلمان ولا ممثلين للامة ، لا شىء من هذا! عنى الاطلاق كان يمكن أن تبقى عليه الثورة اذا لم تتطهر الاحزاب

وتغير من برامجها ، من أشخاص القائمين عليهـا وهم الاعـداء الحقيقيون للشعب .

وليس هناك غيرهم يمكن أن يعطل التطور المحتوم للناس فى مصر بعد سقوط فاروق .

النائب والشعب ..

وقد كنا فى ذلك الوقت نحاول أن نجد طريقة نفير بها من أساليب الكفاح السـياسى الوفـدى والسـعدى والدسـتورى والاخوانى .. كنا نريد أن نجعل الجماهير المصرية صاحبة الحق المقدس فى كل شبر من أرض مصر بعد طرد فاروق تتيقظ وتعى موقفها تمـاما ازاء الاحداث التى ستترى بعد ذلك حتى لا تضلل فينتخب الفلاحون صاحب العزبة نائبا عنهم وهو سارق أرزاقهم وحتى لا تسير مظاهرة من أفراد مسـاكين ، ويقودها مشعوذ أو أجير لتهتف :

ــ حرامى .. حرامى.. لكن عايزينه .

كيف يفهم الفلاح

كان حتما أن يحدث التغيير فى وعى الجماهير ليسير جنبـا الى جنب مع دورات الثورة ، فكيف يكون ذلك ، والثورة كانت بيضاء لم يشترك فيها الشعب بالسلاح كما هـو الحـال فى كل الثورات التى غيرت نظم الحكم والاقتصاد !؟

كيف كان يمكن أن يفهم الفلاح الذى فى « درين » أن الهتاف بحياة عبد العزيز البدراوى نائب مركز طلخا جريمـة .. بعـد يوليو ؟! وهو ــ أى فلاح درين ــ لم يهدم الاقطاع بفأسـه حتى كان يمكن أن يعى معنى الثورة ؟! كنا نواجه حالة تاريخية شاذة.

كنا لا نريد أن تسيل الدماء فى درين وفى القاهرة وفى كل المدن والقرى حتى يعى الشعب موقفه ، ويفهم أن الثورة ما قامت الا من اجله هو ومن أجل تحديد مستقبله ، لا من أجل طبقة معينة .

والدماء كان يمكن أن تسيل .. كان الجيش على استعداد لخوض المعركة المسلحة الى جانب الشعب فى درين وفى القنال وفى أقاصى الصعيد ... لكن ما ثمن كل هذا .. وما نتيجة الدم المراق ؟

حيرة التاريخ ..

وماذا لو استطعنا أن نحقق للشعب كل حاجاته وأهدافه بلا دم ؟! هنا يقف التاريخ حائرا الى حد ما ليرقب النتيجة .. فهى حالة شاذة كما قلت فى تاريخ الثورات !

وفى حجرتنا القائمة هناك فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، كنا نجلس لنعد خطة الزحف الابيض على اعداء الشعب .. الزحف الذى يمتد بلا ضحايا .. بلا بارود ولا أشلاء ولا رقاب طائرة .

صحيح أن الثورة الدموية تخلق الوعى السياسى فى الحال بين الجماهير وتجعل الشعب يرى طريقه فيمضى كالمارد فيه حتى النهاية ، لكن مقومات الثورة الدموية التى كان من المفروض أن تحدث بعد يوليو لم تكن موجودة .. فلا الشعب يريد الدم ولا الجيش .

وليس فى البلاد ميادين لمثل هذه المعارك ، لان الموقف فى مصر مختلف عنه فى كل بلاد الدنيا .. الظروف ، والاوضاع والوعى والتنظيم الثورى النابع من اعماق الشعب .. ثم هناك

الحقيقة الكبرى فى قصة ثورتنا ، وهى أن قيادة الثورة ظهرت بين صفوف القوات المسلحة فسيطرت تلك القيادة على هـذه القوات .. وهذه الحقيقة ذكرتها فى الفصول السابقة مرارا عديدة .. فهى ـ اذن ـ حقيقة تاريخية ومعناها أنه لا مجال على الاطلاق لمعركة مسلحة بين الشعب وأعدائه ما دام الشعب قد أصبح يملك السيطرة على قواته المسلحة ، وما دامت قيادة تلك القوات أصبحت تنادى بمطالب الشعب .. وتعمل على تحقيقها .

أين هم الاعداء الذين يمكنهم أن يقفوا أمام هذه الحقيقة دون أن يستسلموا ..

لا البدراوى ولا أى عدو آخر يمكنه أن يتمسك بالارض اذا رأى دبابة تقف أمام قصره فى دربن وينذره قائدها بتسليم الارض لاصحابها ..

ان الموقف بالتحديد هو أن الدبابة كانت تحمى البدراوى من فلاحيه ، ثم أصبحت بعد يوليو تحمى الفلاحين من البدراوى!

ومضينا فى زحفنا الابيض

وأمام هذا الوضع التاريخى رأينا أن نمضى فى زحفنا الابيض على اعداء الشعب حتى النهاية .. ومن أجل أن نطمئن الجميع ـ حتى الاعداء ـ طلبنا من الاحزاب ـ كما قلت ـ أن تطهر نفسها وتعد برامج تتفق مع التطور المحتوم للشعب بعد يوليو .

لكن ـ كما قلت ـ اعتقد أقطاب تلك الاحزاب أنهم يستطيعون أن يضحكوا علينا ، نحن الضباط الشبان الصغار ، فهم زرق الانياب وقدامى فى السياسة والحكم .. أما نحن .. فمن نكون؟

وانتظرنا من زرق الانياب هؤلاء أن يطهروا أنفسهم ويغيروا

من برامجهم فى صدق وليس كما فعلوا بعد ذلك كما سيجىء فيما بعد .. لكنهم ظلوا يناورون مما اضطرنا الى انذارهم ، ونشر الانذار فى الصحف واذيع ، وقد جاء فى نهايته تلك العبارة : « وقد أعذر من أنذر .. »

التطهير المزيف ..

وهنا شعروا أن « الثورة » جادة فى المسألة ، وأن الموقف ليس كما كانوا يعتقدون مجرد كلام فى كلام .

وأسرع حزب الوفد وعقد اجتماعا ، وأدار الاجتماع الاعداء الذين ما قامت الثورة فى مصر الا لتقضى عليهم ، بل ما قامت أية ثورة فى أى قطر من الاقطار الا للقضاء على أمثالهم ..

المهم ان الوفد عقد الاجتماع والسلام ، وأصدر الوفد قائمة بأسماء بعض عضائه الذين قرر اخراجهم من الحزب لتطهيره . وهؤلاء الاشخاص لم يكن لهم نفوذ فى الحزب بل لم يكن هناك مبرر لاخراجهم ، ولا أحد يعلم لماذا قرر الوفد اخراجهم ، وقد ظنوا كما ظن غيرهم فيما بعد أنهم ضحكوا علينا بعمليات التطهير والتغيير المزيفة تلك .. وكانت حكاية التطهير مهزلة ..

ولو كنا سلمنا بذلك التطهير المزيف للاشخاص والبرامج لما كان فى مصر ثورة ولا كانت مصر تستطيع أن تثور قبل عشرات السنين !

تحديد الملكية

تحديد الملكية والاحزاب

كان هناك رأيان يتصارعان فى اجتماعات الهيئة التأسيسية ، وقد احتدمت المناقشة بين أعضاء الهيئة حول الرأيين ..

وكان أصحاب الرأى الاول يرون أنه بالرغم من أن قيادة الوفد قد انسلخت عن الشعب حين ضمت اليها الاقطاعيين ، الا أنه يمكن استدعاء برلمان الوفد الذى كان قائما قبل أحداث يناير سنة ١٩٥٢ لتسيير الامور ، على أن نراقب نحن الاحوال والخطوات وتنفيذ أهداف الثورة .. ذلك هو الرأى الاول .

اما الرأى الثانى فيقول أصحابه : ان حزب الوفد والاخوان وكل الاحزاب فى البلد ، يكافحون ـ جميعا ـ من أجل مصالحهم فقط ، وليس من أجل مصالح الشعب ، والثورة قامت لتحقيق المصالح الشعبية ، فوجـود تلك الهيئـات والاحـزاب ـ اذن ـ معنا سيعطل الثورة وربما قضى عليها .

وظلت المناقشات دائرة فترة طويلة ، ليلا ونهارا حول ذلك الموضوع .. فالى أى الرأيين اتجه الاعضاء فى النهاية !؟

.. فى النهاية اقتنع الاعضاء بالرأى الثانى ..

اقتنعنا أن كل الاحزاب والهيئات بما فيها الاخوان ما هى الا نتاج طبيعى للوضع السياسى فى البلاد خلال ربع القرن الاخير ..أى انها ما وجدت الا لتعمل فى كنف الاستعمار وعملاء المستعمر والقصر .. ورواسب الاحتلال باقية فى رءوس قادة تلك الاحزاب

والهيئات لان مصالحهم ارتبطت به وبوجوده والنظام القائم فى البلاد .. فالتعاون بين تلك الهيئات والأحزاب وبين الاستعمار هو تعاون من أجل تبادل المصالح والمنافع ، فاذا مدت الثورة يدها لهؤلاء القادة فمعنى هذا هو أن الثورة ستهادن أيضا الاستعمار وتبقى على النظام القائم وكل شىء .. أى أنها لا تكون ثورة .. ولم يكن هناك ما يدعو لقيامها ما دامت أهدافها هى جعل الأحزاب والهيئات التى وجدت فى البلاد خلال ربع القرن الاخير تتولى زمام الامور ..

واستعرضت خلال المناقشة المفاسد التى كانت الطابع الواضح فى قيادات الوفد والاخوان وباقى القطيع !

وعلى هذا الاساس أعدت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار قرارا يقضى بحل الاحزاب كلها والاخوان أيضا ، وابعاد كل السياسيين القدامى الذين تعاونوا مع القصر والمستعمر ، وانسلخوا عن القاعدة الشعبية نفسها ، والتى بدونها لا يصبح للحزب أو الهيئة مهما كانت صفتها دور فى تطور الشعب أوتحريره من المظالم كلها .. أو فى خلق الحياة الديمقراطية الصحيحة التى قامت الثورة من أجل ارساء قواعدها الصحيحة .

وفى الوقت نفسه يفسح المجال أمام جيل سياسى جديد يؤمن بالشعب وبأهدافه ويرتبط بمصالحه ولا ينسلخ عن طبقات الامة التى قامت الثورة من أجل تحطيم قيودها !

جمال يقول .. هذه ديكتاتورية

وبعد أن وصل أعضاء الهيئة الى هذا القرار ، وقف جمال عبد الناصر .. واعترض على هذا القرار .. وقال :

ــ يا جماعة .. انى أخشى أن يفهم البعض من هذا القرار أننا نتجه نحو الديكتاتورية !

ومضى جمال يقول لنا :

ــ ان ثورتنا ديمقراطية ، وهى قد قامت أساسا لاعادة حقوق الشعب بعد انتزاعها من اعدائه ، الملك والاستعمار والحكام ، ونحن لا نستطيع أن نصنع ديكتاتورية فى هذه البلاد ، لان الديكتاتورية لا تقوم الا لحماية مصالح طبقة ، والبطش بمصالح الطبقات الشعبية الاخرى .. وليس فى مصر طبقة يمكن أن تقام ديكتاتورية تحميها من الشعب الا الاقطاع ، ونحن فى سبيل ضرب ذلك العدو الذى ربض على صدور الشعب طوال مئات السنين ، فلمصلحة من تقام الديكتاتورية !؟

لمصلحة الرأسماليين !؟

اننا قمنا بثورتنا لتحرير الشعب من استغلال الرأسماليين فالديكتاتورية اذن تصبح ضد أهداف الثورة !؟

وبدأنا ننصت الى كلمات جمال وهو يتحدث الينا معترضا على قرار حل الاحزاب والهيئات ، ومنع السياسيين القدامى من مزاولة أى نشاط سياسى .

وعاد جمال يقول :

ــ أحب أن تفهموا أن الديكتاتورية معناها أن طبقة معينة تريد استغلال باقى الطبقات الاخرى فى الامة ، وهى ، أى تلك الطبقة ، لا تستطيع أن تستغل الشعب الا فى ظل النظام الديكتاتورى . فأى طبقة تلك التى نريد نحن أن نستغل الشعب لحسابها ونبطش به ، ونحكمه بالكلمة المجردة من أجل بقاء الطبقة المذكورة وحماية مصالحها ؟

اننا لا نمثل طبقة الرأسماليين فنحن جميعا أبناء فلاحين

ومن عائلات متوسطة فليست لنا مصلحة فى اقامة نظام ديكتاتورى .. فمصلحتنا هى نفس مصلحة جميع أبناء العائلات المتوسطة والفقيرة والكادحة .. هى نفس مصالح الشعب ، وتلك المصالح على اختلافها لاتتحقق الا فى ظل نظام ديمقراطى سليم يفرض ارادة تلك الطبقات على الحاكم . فيظل ملتزما حدودها ..

والديكتاتورية لاستعمار الشعوب !

ومضى جمال يقول :

ومسألة ثانية وهى أن الديكتاتورية تقام ايضا من أجل استعمار يلاد أخرى .

بمعنى أن تقرر دولة ما فتح أسواق عالمية أمام انتاجها وتكون تلك الإسواق تحت سيطرة دول أخرى ، وفى هذه الحالة تقيم الدولة المذكورة ديكتاتورية فى أرضها لتوجيه شعبها الى الحرب ، أى لاستعمار الدول التى تريد الاستيلاء على أسواقها .

فهل نحن نريد استعمار دول العالم ؟

لا شىء من هذا على الاطلاق له وجود فى رءوسنا أو فى حياتنا .. فكيف اذن نقيم حكما ديكتاتوريا ؟

انه من المحال ـ ماديا ـ اقامة مثل هذا النظام فى مصر ! لان الوضع فى مصر يحتم اقامة نظام ديمقراطى ..

ومضى جمال يومها يتحدث عن الديكتاتورية والديمقراطية حتى قال :

ـ انا بطبيعتى أنفر من الديكتاتورية ولا أتصور أنه من الممكن العمل فى ظلها وأخشى أن يفهم بعض الناس هنا أو فى الخارج من

هذا القرار الذى اعددتموه أننا نستهدف اقامة نظام ديكتاتورى ... ففى هذا الفهم الخاطىء تعطيل للثورة وعرقلة لخطواتها . وستحاول الرجعية المصرية ، وكل الاعداء ، استغلال هذا الموقف وهذا الفهم الخاطىء للقرار المذكور فى تشويه ثورتنا !

صحيح أن كل الهيئات والاحزاب فى مصر ، كما وضح لنا ، لا تصلح على الاطلاق بوضعها الراهن لحكم البلاد أو للعمل الى جانب الشعب ، لكننى أرى أن نعطى الجميع فرصة ولا داعى لهذا الاجراء العنيف ، فربما أودى بنا هذا الى الديكتاتورية ، والفرصة التى سنعطيها للاحزاب والهيئات هى املنا الاخير فيها .

لنعط الاحزاب هذه الفرصة لتصلح من برامجها وتحدد أهدافها فاذا ما حددت تلك الاهداف والبرامج ، وطهرت نفسها من عوامل الفساد والرجعية أصبح من السهل عليها - أى الاحزاب - أن تتعاون مع الثورة ، وتمضى معها فى طريق واحد .. فتتبلور كل الجهود داخل الثورة ويصبح تحقيق الديمقراطية السليمة امرا هينا فى الشهور القادمة .

وختم جمال عبد الناصر كلمته فى ذلك الاجتماع التاريخى بقوله :

- اننا اذا أعطينا الأحزاب والهيئات فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها وأهدافها بما يتفق والوضع الجديد بعد فاروق .. نكون قد أشركنا الشعب معنا فى الحكم على صلاحية تلك الاحزاب والهيئات أو عدم صلاحيتها !

وبعد أن انتهى جمال من حديثه عن الديكتاتورية قال للاعضاء :

اما اذا رايتم الاخذ بذلك القرار فانى ادعو لكم بالتوفيق

وأراني مضطرا الى الانسحاب ، وسأدعو لكم بالتوفيق ، وسأكون طوع أمركم فى الجيش أو خارج الجيش ، وفى هـذه الحالة أرجو أن تعتبرونى مستقيلا من الهيئة ! وتوجه جمـال على الفور الى منزله بعد أن ترك لنا استقالته !

نجيب يوافق على حل الاحزاب ..!

ذلك كان موقف جمال عبد الناصر بعد أن قرر أعضاء الهيئة التأسيسية حل الأحزاب والهيئات كلها ومنع كل السياسيين القدامى من مزاولة أى نشاط سياسى .. وكان اللواء نجيب يرى نفس الرأى .. أى حل الأحزاب والهيئات .

كان جمال هو الوحيد الذى عارض وأصر على موقفه ، وأمام هذا رأينا أن نعيد النظر فى الموضوع من جديد ، فكلنا كنا نؤمن بأن جمال لا يتكلم الا اذا كان حديثه قائما على أسس واقعية .

انه دائما ينظر الى بعيد ، انه دائما ذلك المناضل الناضج الذى يعى موقفه ويعرف أين يضع قدميه .. وهو طوال أعوام نضالنا كان ينادى دواما بأن نلتصق بالشعب ولا ننعزل عنه .. وهو كان دواما يرى اشراك الشعب فى كل صغيرة وكبيرة لأن المسألة مسألته وليست مسألة أحد غير الشعب ..

دينامو الثورة ..!

لقد عرفنا جمـال منذ عام ١٩٤٣ عندما تسلم جمال قيادة التنظيم .. عرفنا فيه « الدينامو » الذى يحرك الجهاز كله ، ومن أجل هذا انتخبناه ثلاث مرات رئيسا للهيئة التأسيسية ، مرتين قبل الثورة ومرة بعدها ! ثم تنازل من تلقـاء نفسه عن الرئاسة لنجيب .. وأصر على ذلك التنازل حتى اضطررنا الى الموافقة !

وقد ظللنا نفكر فى كلمات جمال التى قالها لنا وهو يعترض على القرار المذكور ويصر على اعتراضه الى حد تقديم استقالته !

فكرنا فى كل كلمة قالها وحللناها .. وكنا نعرف أن جمال يؤمن ايمانا عميقا بالتنظيم ..

كان يقول دائما بأنه لا يمكن أن يتم أى عمل بدون خطة .. ويعد للخطة آلاف الاعتبارات ..

كان كما قلت هو « الدينامو » الذى يحرك الجهاز كله .. وفى كل عمل قمنا به قبل الثورة أو بعدها كان نضج تفكيره هو الذى يحسم الموقف .. ومن أجل هذا كله آمنا به كصاحب عقلية متطورة منظمة مؤمنة .. وتلك هى العقلية التى يتحتم أن يتصف بها كل قائد ..

وأمام هذا كله ، رفضنا استقالة جمال فلا يعقل أن يدور جهاز - أى جهاز - بدون الشىء الذى يحركه ! وجمال هو الذى كان يحرك جهاز الثورة !

ورأينا أنه لابد من أن نعيد النظر فى القرار

وفتحنا باب المناقشة .. مرة ثانية فى الموضوع .. وفى النهاية رأينا أن نعطى الأحزاب فرصة لتطهير نفسها وتحديد برامجها وأهدافها بما يتفق والوضع الجديد .. بما يتفق ومصالح هذا الشعب . هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى ففى اعطاء هذه الفرصة للأحزاب والهيئات اشراك للشعب معنا فى الحكم عليها .. وسوف يعرف ان كانت ستعمل - بعد اعطائها تلك الفرصة - على تحقيق مصالحه وأهدافه أم انها لاتزال كما هى تستهدف مصالح قادتها وأقطابها !

وصدر القرار فعلا بهـذا ٠٠ وتحدد ـ فى القرار ـ موعد اقصاه شهر فبراير عام ١٩٥٣ أى ستة شهور لاجراء الانتخابات ، بعد أن تنتهى الاحزاب من تطهير نفسها ، ومن تحديد أهداف جديدة وبرامج جديدة تتفق والوضع الجديد ٠٠ وتتمشى مع التطور الذى لابد منه للشعب ٠

وكان على ماهر فى ذلك الوقت لايزال فى الحـكم ، فأصدر بيانه المشهور الذى هاجم فيه الأحزاب كلها ٠٠ لكنه أغفل ذكر الموعد الذى حددته القيادة لاجراء الانتخابات !!

وكنا قد أبلغناه بذلك القـرار الذى يتضـمن اعطاء فرصة للأحزاب لتهيئة نفسـها للانتخابات ٠٠ بالتطهير وتحديد برامج وأهداف جديدة !

وبعد أن صدر بيان على ماهر بساعتين ، وقد فوجئنا باغفاله ذكر موعد الانتخابات ، أصدرنا بيانا آخر أكدنا فيه تمسكنا باجراء الانتخابات فى فبراير سنة ١٩٥٣ ٠٠

فماذا حدث ؟ ٠٠

لماذا لم تتم الانتخابات ، ولماذا لم يتقدم الساسة والزعماء الى الطريق ويمضوا مع الثورة حتى النهاية ؟ ٠٠

لماذا لم يقـرروا مد أيديهم للشـعب فى كفاحه الطويل المرير ؟ !

لماذا لم يكونوا ديمقراطيين فيؤمنوا بأهداف الثورة ؟

وكان الهدف الأكبر للثورة فى ذلك الحين ، أو بعبارة أخرى

كان الأساس الذى أردنا أن نقيم عليه بناء الثورة الكبير هو قانون تحديد الملكية ٠٠ أى ضرب رأس الخيانة والظلم والفساد السياسى فى البلاد ٠٠ الاقطاع

ديكتاتورية وديمقراطية !!

فهل كان قانون الاصلاح الزراعى وهو قانون أخذت به أحدث الدول فى التقدم والتطور ٠٠ أقول هل كان ذلك القانون هو الذى كشف عن حقيقة الاحزاب والهيئات المصرية ٠٠ ونوايا قادتها وأقطابها ! ؟

أو ماهو الشيء الذى كشف عن نواياهم تجاه الثورة ـ أى الشعب ـ فمنع تنفيذ قرار الهيئة التأسيسية الذى حددنا فيه موعد الانتخابات خلال ستة شهور

انها كانت مرحلة خطيرة حقا فى كفاحنا ٠٠ ان رئيس الوزراء نفسه الذى يحكم فى ذلك الوقت كان يعارض ذلك القانون ٠٠ كما عارضه كل الباشوات ٠٠ فهل أخطأنا نحن وأصاب الباشوات ! ؟

هل كنا ضد الديمقراطية حين أصررنا على ضرب الاقطاع والبطش به ! ؟

هل كان موقفا ديكتاتوريا منا حين أردنا منع شخص واحد من أن يملك الارض ومن عليها من بشر وحيوان وجماد ! ؟

ان كلمات جمال عبد الناصر لاتزال ترن فى أذنى ، عندما قال :

ـ سوف تستغل الرجعية موقفنا العنيف هذا من الأحزاب والهيئات لتشوه ثورتنا ٠٠ فتصمها بالديكتاتورية

حددنا ـ اذن ـ موعد الانتخابات كما قلت ، وأعطينا للاحزاب فرصة لتراجع نفسها ، وتقرر هل هي تؤيد أحداث يوليو مثل الشعب ، أم هي قد روعت بما حدث في ذلك الشهر الخالد ٠

أعنى اننا أردنا أن نكشف الطريق أمام الثورة ٠٠

فقد كان حتما علينا أن نعرف الأعداء الذين سيتربصون بالثورة وهي ماضية في طريقها ، فاذا ما عرفناهم أصبح الطريق أمام الثورة أكثر أمنا ونورا ، فلا يطعن الشعب في ظهره وهو ماض في زحفه نحو المستقبل ٠٠

وصدر القرار من الهيئة التأسيسية كما قلت وحددنا فيه شهر فبراير عام ١٩٥٣ لاجراء الانتخابات وكان أمام الأحزاب التي ستخوض معركة الانتخابات أن توضح نواياها تجاه أهداف الشعب بعد أن طرد فاروق ٠٠ فتطهر نفسها وتبعد عن صفوفها كل فرد فيها مهما كانت صفته في الحزب ٠٠ وخاصة الأفراد الذين ارتبطت مصالحهم بمصالح العرش الذى طرد صاحبه ٠٠

وبعد أن تكون تلك الأحزاب قد غيرت من برامجها وأهدافها أيضا ، فلا يعقل أن تبقى البرامج والاهداف التي حددتها الأحزاب لنفسها أيام فاروق ٠٠

والزمن قد تغير ٠٠ وكل شيء كان لابد أن يتغير والا فلا كانت الثورة ولا كان الكفاح في سبيل قيامها ٠ !

وكان على ماهر رئيس الوزراء ، نفس السياسي المصرى الذى فرضته الثورة على فاروق قبل اخراجه من أرض الثورة ٠

واذاع على ماهر بيانا ـ كما قلت ـ هاجم فيه الأحزاب، واغفل

فى البيان الاشارة الى قرار الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار والذى حددت فيه القيادة الانتخابات ، واضطررنا بعد صدور بيان على ماهر الى اصدار بيان فى الحال أكدنا فيه اصرارنا على تحديد شهر فبراير المذكور لاجراء الانتخابات .

لقد كان الوضع غريبا جدا ، فالوزارة التى تولت الحكم بعد ٢٣ يوليو كانت فى واد والثورة فى واد آخر ..

كنا نريد ثورة ، والوزارة لا تكاد تشعر بما يجرى وسيجرى تحت سماء مصر من أحداث ..

وربما كان يظن أفراد تلك الوزارة اننا فرضناهم على الملك لكى يحكموا ويوجهوا الشعب ويصنعوا مستقبله بلا ثورة !

مفاجآت لحكومة على ماهر

ولم تؤمن تلك الوزارة بأنه لابد أن يحدث تغيير فى الوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى ..

وربما فوجئت تلك الوزارة باتجاه الثورة الى ضرب الاقطاع بعد أن خلعت الملك عن عرشه ..

وأكاد أعتقد أن الوزارة المذكورة فوجئت بالثورة نفسها فقد كان على ماهر يظن فى اللحظات الأولى للثورة أن المسألة لا تخرج عن أن الجيش له طلبات ، ويريد أن تنفذ ، ثم بعد ذلك يبقى كل شى كما هو !

لكنه فوجىء بعد يومين من قيام الثورة برجال القيادة يكلفون بحمل الانذار الى الملك بمغادرة البلاد ، وكان على ماهر قد اطمأ على بقاء النظام ، بعد أن حمل طلبات الجيش الى الملك ، وموافقة الملك على تلك الطلبات ..

وبعد ذلك توالت المفاجآت أمام حكومة على ماهر ..

وعرف أن القيادة تريد انهاء مسألة الاقطاع في الحال كوسيلة لتحطيم القيد الذى رسفت فيه أغلبية الشعب ـ الفلاحون ـ طوال مئات السنين .. فلم يكن لتلك الملايين ارادة على الاطلاق ولا حقوق على الحاكم ... بل الارادة كانت ارادة الاقطاعيين والحقوق كلها لهم ..

وكانت تلك هى فلسفة الثورة المصرية

الفلسفة التى تحددت فى منشورات الضباط الأحرار منذ بدأوا نضالهم التاريخى المرير فى سبيل الشعب .

وقد تضمنت تلك الفلسفة أيضا القضـــاء على سيطرة رأس المال ...

حالتان كانتا لابد أن تزولا لتحقيق أهداف الشعب .. لكن الوزارة ـ كما قلت ـ كانت فى واد والثورة فى واد آخر ..

وأعود الى الانتخابات التى كانت قد تحدد موعدها ..

فعلى أى أساس كانت ستجرى تلك الانتخابات ! ؟

طلبنا ـ كما قلت ـ من الأحزاب أن تحدد موقفها من الثورة.. أى من أهداف الشعب .. كشرط أســاسى للتعاون بين الثـــورة وبينهـــا .. لأنه كان لا يعقل أبدا أن تجرى الانتخابات بعد طرد فاروق والباشوات وأذنابهم والارستقراطيون هم الذين يسيطرون على كل الدوائر الانتخابية .

ان الاقطاع هو الذى سيكسب المعركة ، كما كان يكسبها دائما فى كل الانتخابات التى جرت فى هذه البلاد .

فالاقطاعى يملك القرى والارض بمن فيها ومن عليها من بشر٠٠ ومصير الناخب أى الفلاح كان فى قبضة ذلك الاقطاعى ٠ والاقطاعى فى يده أن يجيعه ويشرده مع أبنائه ٠٠ فكيف السبيل الى تحرير الفلاح من هذا القيد حتى يمكنه أن يختـــار الذى يمثله فى برلمان بلاده ؟

ان السبيل كان واضح المعالم ولا يحتاج الى سؤال ٠٠

لترفع الثـــورة القيد الذى يرسف فيه الناخب ، وبعد ذلك ستكون للنـــاخب الارادة وتكون له الحرية فى اختيـــار ممثليه فى البرلمان ٠ ٠لتبطش الثورة بعدو هذه الملايين المستعبدة ٠٠ والعدو هم هؤلاء الأفراد القلائل الذين يملكون الارض ومن عليها ويتحكمون فى حياة ومصائر أغلبية الشعب ٠٠ الفلاحين ٠٠

لقد تقـــرر هذا فعـــلا كاجراء حتمى اتخذته الثـــورة لتمهد للديمقراطية الصحيحة التى ماقامت الا من أجل تحقيقها للشعب ٠

جمال يجتمع بسراج الدين

كانت نوايانا واضـــــحة ٠٠ أردنا ديمقراطية صحيحة تمكن الشعب من فرض ارادته وحكم نفسه بنفسه وأراد جمال أن يشرك كل الهيئات والأحزاب فى تحقيق أهداف الثورة وفى صنع مستقبل الشعب ٠

ودفعه ايمانه بهذا الرأى الى مقابلة فؤاد سراج الدين ٠٠ قطب الوفد الكبير ومحرك سياسته وصاحب الكلمة الأولى فى اتجاهات الحزب المذكور ٠٠

وفى منزل اليوزباشى عيسى سراج الدين قريب قطب الوفد وصهر رشاد مهنا تمت المقابلة !

وكان مع جمال فى ذلك الاجتماع عبد الحكيم وصلاح وبغدادى وكان مع فؤاد سراج الدين ابراهيم طلعت واحمد أبو الفتح ٠

وتكلم جمال عن حزب الأغلبية ، وعن ايمانه بأنه من الممكن جدا للحزب الكبير أن يصلح من الأوضاع السائدة فيه وفى قيادته ، ويغير من أهدافه وبرامجه بما يتفق والوضع السياسى الجديد بعد فاروق ٠

ومضى جمال يقول لسراج الدين وزميليه ان حزب الوفد لو فعل هذا لأصبح من السهل أن يسير دفة الأمور ، فالثورة لا تريد ديكتاتورية ٠٠

واشترط لكى يتم التعاون بين الثورة وحزب الوفد شرطا واحدا وهو أن يصدر الحزب بيانا يعلن فيه على الملأ موافقته على قانون تحديد الملكية ، لأن الديمقراطية كما يفهمها هو ، بل كما يفهمها كل الديمقراطيين فى جميع أنحاء العالم ليست برلمانا فقط٠٠ بل هى تحرير الفرد من كل القيود ٠٠ هى تحرير عبيد الارض حتى يمكن أن يعبروا عن ارادتهم وبالتالى يمكنهم اختيار ممثليهم فى البرلمان بلا ضغط من أصحاب الارض الاقطاعيين !

واستمرت المناقشة أربع ساعات ٠٠٠ جمال ورفاقه يتحدثون عن حقوق الشعب والاسلوب العملى لاعطائه تلك الحقوق ٠٠ لكن فؤاد سراج الدين رفض الموافقة على تحديد الملكية ٠٠ وقال انه لا يمانع فى رفع الضريبة على الارض.أما تحديد الملكية فلا ٠٠ ولا !

ورد عليه جمال بأن رفع الضريبة ربما ضاعف من ايرادات خزينة الدولة ، ولكنه لا يحقق الهدف السياسى الذى تؤمن به الثورة ٠٠ أى تحطيم قيود عبيد الارض ليختاروا ممثليهم الحقيقيين فى البرلمان بلا قهر أو ارهاب ٠ وهذا هو أساس الديمقراطية الحقة ٠٠

ثم انتهى الاجتماع عندما قال فؤاد سراج الدين انه سيعرض الأمر على حزب الوفد فى الاسكندرية ، وبعد ذلك سيصدر بيانا فى أقرب وقت ..

وخرج جمال والزملاء لننتظر جميعا بيان الوفد ..

وقد سافر فؤاد سراج الدين الى الاسكندرية فعلا ، وعقد الوفد اجتماعه وناقش موضوع تحديد الملكية .. أى زوال الاقطاع .. ثم رفض الحزب الموافقة على هذا الاجراء الثورى ! ..

لم يصدر الحزب البيان كما وعد سراج الدين .. فماذا كانوا يتوقعون ؟ ! وماذا كانوا ينتظرون من القيادة ؟ ! ..

هل كانوا يؤمنون بأن المسألة لن تخرج من أيديهم ، وانهم هم الذين سيحكمون البلاد رغم كل شيء .. وبلا ثورة ! ؟

ان المسألة لم تكن ثورة فى اعتقادهم .. ظنوها انقلابا كما كانوا يشيعون .. والانقلاب لا يحتم تغيير الوضع السياسى أو الاجتماعى .. ولا يحتم اعطاء الشعب حقه الكامل فى التعبير عن ارادته وحكم نفسه بنفسه ..

وهنا فقط آمن جمال عبد الناصر بأنه لا أمل له على الاطلاق فى تعاون هؤلاء الساسة والاقطاب مع الثورة ..

هنا فقط اقتنع جمال واقتنعنا نحن جميعا بأن الشعب فى واد والاحزاب والهيئات كلها فى واد آخر .

وأين الثورة ؟

ورئيس الوزراء ــ كما قلت ــ قد عارض فى تحديد الملكية مثلما عارض حزب الوفد ، وقال لنا ان الضريبة التصاعدية تكفى .. أى ان الانتخابات ستجرى وسيكسبها نفس الاشخاص الذين مثلوا

الفلاح رغم أنفه فى البرلمان .. وفى هذه الحالة كان الاقطاعيون ودعاة سيطرة رأس المال سيحكمون البلاد من جديد ويتحكمون فى مصير الشعب عن طريق ذلك البرلمان ! ؟

فأين اذن تكون الثورة لو كان قد حدث هذا ؟

بل أين هى الديمقراطية لو كنا تخلينا عن مبادئنا وأهدافنا !

أى لم تحدد الملكية وجرت الانتخابات فى فبراير .. والأحزاب يسيطر عليها الاقطاعيون والآرستقراطيون أعداء الشعب ! ؟

ان الأحزاب لم تستجب لنداء الثورة .. وبقى نفس الاقطاب وتجار السياسة والوطنية وجلادو الديمقراطية يقودونها ، ويتحفزون لمعركة فبراير الانتخابية ليوقفوا زحف الثورة بعد فوزهم ، كما كان الأمر يجرى فى الماضى !

رشاد مهنا مع الاقطاع

لم يكن رئيس الوزراء هو الذى عارض فى تحطيم الاقطاع وحده .. بل ان عضوين فى مجلس الوصاية عارضا قانون الاصلاح الزراعى وبشدة .. فأى موقف أعجب من هذا ! ؟

وكيف كنا نستطيع تحقيق الديمقراطية الصحيحة وأهداف الشعب لو انسقنا مع التيار ، وتركنا كل شىء كما هو بلا تغيير ! ؟

ان رشاد مهنا وبهى الدين بركات عارضا القانون ، وهما الوصيان على العرش اللذان وضعتهما الثورة فى هذين المكانين ..

وكما قلت كان تحطيم الاقطاع هو الأساس الذى حددناه للتعاون بين الثورة والأحزاب والهيئات . !

وهكذا اختلفنا .. وكان خلافا جوهريا خطيرا .. فنحن نريد ثورة .. وهم يريدون حكما . !

قلنا للحكومة ..

وقد دارت مناقشـــة تاريخية حول هـذا الخلاف الخطير فى جلسة فى دار مجلس الوزراء وحضر هذه الجلسة جمال عبد الناصر وجمال سالم وصلاح سالم كممثلين للقيادة .. كما حضر الجلسة رشاد مهنا وبهى الدين بركات وعلى ماهر وعبد الجليل العمرى ..

فانظروا اذن الى الموقف وكيف كان عجيبا ومثيرا ..

ان رجال الثـــورة لم يتراجعوا .. وقالوا لرجـــال الحكومة وللوصيين على العرش انه لابد من انهاء مسألة الاقطاع .. والمسألة ليست اقتصادية فقط ، بل هى فى صميم السياسة !

فالشعب الذى فرض ارادته على فاروق وأرغمه على التنازل عن عرشه لم تفعل قواته المسلحة ذلك لأن الملك كان فاسدا فقط .. بل لأنه كان عقبة فى طريق الديمقـراطية الصحيحة ، ويجب أن تزال كل العقبات أمام الثـــورة لتحقيق هـذه الديمقراطية ، وبقاء الاقطاع ، ونزول الاقطاعيين الى معركة الانتخابات فى فبراير ١٩٥٣ سوف لا يحقق هذه الديمقراطية ، وسيظل الوضـــع كما كان أيام فاروق : برلمانات يتثاءب أعضاؤها فى مقاعدهم ، ولا يستيقظون الا ليقولوا نعم ... موافقون ! !

والثورة تريد برلمانا يمثل أعضاؤه طبقات الشعب على اختلافها تمثيلا حقيقيا لا قهر فيه ولا ارغام !

واستمرت المناقشات بين رجال الثورة ورجـال الحكومة أياما عديدة ..

وشعرنا فى تلك الأيام أن الاقطاعيين بدأوا يتكتلون مع الحكومة وأوصـــياء العرش ، ليسدوا الطريق أمام الثـــورة ٠٠ ولم تتحرك الاحزاب ولم يفق رجالها من الغيبوبة التى ظلوا فيها منذ ربع قرن مضى على البلاد ، والملايين من أبنائها يتطلعون الى العدالة والحرية والحق والعدل والعلم فلم تمكنهم تلك الاحزاب التى لا تمثل الا أصحابها من تحقيق واحد من هذه الاهداف ٠٠

وانى أذكر تلك المناقشة التى دارت فى البرلمان أيام حكومة الوفد ٠٠حين وقف الدكتور طه حسين وطلب اعتمادات مالية لوزارة المعارف ، حتى تتمكن الوزارة من انشاء مدارس جديدة لأبناء البلاد٠٠ ويومها وقف البدراوى وصرخ فى برلمان الأمة قائلا : طيب علمــوا الشعب ، وبكره تشوفوا حيجرالكم ايه منه ! !

ذلك كان موقفهم من الشعب على الدوام ٠

فهل كانت الثـــورة تستهدف الديكتاتورية حين أبعدت تلك العصابات من ميدان الســـياسة ليتعلم الشعب وليتحرر وليصنع مستقبله وليقرر مصيره بنفسه ! ؟

ما أروعها من ديكتـــاتورية ، لو كانت كذلك ٠٠ لو كانت تستهدف أن يسكت البدراوى الى الأبد ، فلا يتكلم باسم الشعب ٠٠ واذا كانت تستهدف أن يجلس فى البرلمان مواطن من صميم الشعب ليتكلم باسم الملايين لا باسم فرد أو أسرة ٠

تلك هى ديكتاتوريتنا وتلك هى ديمقراطيتهم ٠٠

ديكتاتوريتنا التى فرضت على العرش أن يسقط ، كما أراد الشعب ٠٠ ديكتاتوريتنا التى حتمت أن يتحرر ملايين الفلاحين من

السخرة ·· من طغيـــان مالك الارض ، ليبدأوا مرحلة جديدة فى تاريخ تطورهم ، وليختاروا بلا ضغط من البدراوى أو سراج الدين أو أمير مخمور ، ممثليهم فى البرلمان !!

انها ديكتاتورية الشعب كما أعلنهـــا جمــال عبد الناصر منذ شهور على الملأ ·· وهى الديمقراطية الحقيقية ، لا ديمقراطية العائلات والأمراء والمخمورين ! !

ومن أجل هذا ·· من أجل فرض ارادة الشعب على الحاكم فى البرلمان كما أرادت الثورة ، لم تحدد الاحزاب موقفها ، لم تغير من برامجها وأهدافها ·· لم تقبل الوضع الجديد ·· لم توافق على أن تكون فى مصر ثورة ··

ولم يخرج من قيادتها الاقطاعيون والارستقراطيون والسماسرة ·· بل بقوا ليخوضوا معركة فبراير كأن شـــيئا لم يحدث بعـد فاروق ! !

محمد نجيب والثورة

اشاعات

سئلت من كثير من المواطنين المصريين لماذا لا تتكلم عن محمد نجيب بصراحة ، وتروى لنا قصته كلها مع الثورة ! ؟

والواقع أن كل أصحاب الخطابات التى وصلتنى حول هذا الموضوع كانوا على حق .. فليس من المنطق قطعا ان اتحدث عن موقف مجلس قيادة الثورة من ساسة الماضى وأحزاب الماضى ثم اغفل قصة نجيب معنا ..

ومضيت مع خواطرى .. ثم وجدتنى فى حيرة ..

كيف أبدأ القصة ؟

ثم هل هذا وقت الكلام فى موضوع انتهينا منه !؟

وعدت أتطلع الى الخطابات المتناثرة على مكتبى .. ان أصحابها ينتظرون الآن ماسوف اقوله لهم عن اللواء نجيب ، ولا بد انهم وكل الشعب يريد ان يعرف القصة ... وهذا ما زاد من حيرتى !

لقد سكتنا على الدوام ـ نحن رجال الثورة ـ حيال ما يقال عنا ، وموقفنا من اللواء نجيب ، وفسر المغرضون هذا السكوت بما يتفق ومصالحهم وأشاعوا ان اللواء نجيب اختلف معنا ، أو اختلفنا نحن معه لانه ديمقراطى ويعشق الدستور والحريات والشعب .. اما نحن فلا .. نحن نخالفه فيما ذهب اليه ، ونحن وقفنا فى طريقه

الذى كان سيقود الشعب فيه الى الحرية والديمقراطية والدستور !

وطارت الاشاعات والاقاويل هنا وهناك وكل أشاعة كانت تؤكد ديمقراطية نجيب وديكتاتورية مجلس قيادة الثورة واعضاء المجلس المذكور يلوذون بالصمت ويتركون الاقوال تترى والاشاعات تطير الى حيث تشاء ، ولم يحاول مجلس الثورة اذاعة القصة كلها .. ليعرف الشعب الحقيقة الصارخة .. !

كنا وحدنا الذين نعرف الحقيقة ، اما الشعب فكان لا يعرف سوى الاشاعات !

فهل نقول الحقيقة وأمرنا لله ! ؟

ومرة ثانية - أو ثالثة لا أدرى - عدت الى كومة الخطابات أنقل بصرى بين سطور بعضها .. ان أصحاب الخطابات يريدون الحقيقة .. يريدون أن يعرفوا .. هل نجيب اختلف معنا لانه ديمقراطى ويريد الدستور أم لسبب آخر ! ؟

أن المسألة لم تعد تحتمل السكوت .. فهى مسألة الشعب وليست مسألة شخصية ..

ونجيب ان كان على صواب - فالشعب سوف يعرف الحقيقة اليوم أو فى الغد ، وان كان قد خطأ فالشعب سيعرف أيضا كيف أخطأ سواء قلنا له نحن الحقيقة أو قالها التاريخ فيما بعد .

وبين الرسائل التى أمامى واحدة يصرخ صاحبها ، وتكاد صرخاته تقفز من بين سطور الرسالة ... انه يقول لى :

« قل لنا الحقيقة كلها ، فمن حقى ومن حق كل مواطن ان يعرفها .. لماذا قلتم لنا ان محمد نجيب هو قائد الثورة ، ولماذا

حملتموه على اكتافكم الى الوجه البحرى ثم الى الوجه القبلى ، ثم قدمتموه الى الدنيا كلها شرقها وغربها على انه قائدكم .. وبعد ذلك تبين انه كان يتآمر على هذه البلاد ، ثم لا يلقى جزاءه .. نريد أن نعرف الحقيقة ! ؟ »

وقد مرت على لحظات بعد أن قرأت تلك الرسالة ، وكانت لحظات مليئة بالحيرة والتأمل ، ثم قررت ان اروى قصة محمد نجيب كلها .. قررت أن أرويها لكى نسدل الستار نهائيا على هذا الموضوع .. ثم نستريح ونريح !

وأمسكت بالقلم وتوكلت على الله ..

من أين ابدأ ؟

هل أبدأ قصة اللواء نجيب بتاريخ أزمة ٢٦ فبراير ١٩٥٤ التى قبل فيها مجلس الثورة استقالة نجيب ثم لم يلبث أن أعاده ! ؟

أم أبدأ بيوم ٢٥ مارس وقراراته المشهورة .. ! ؟

ان عشرات من المواقف تتبلور أمامى الآن .. وكل موقف منها يصلح ليكون بداية لقصة رهيبة .. لأضخم قصة فى تاريخ هذه الثورة !

هناك مثلا موقف ٢٧ مارس ١٩٥٤ .. وكنا يومها قد ذهبنا الى مطار الماظة لنودع صاحب الجلالة الملك سعود ، وكان الوقت فى الصباح الباكر ، وعرجنا على ميس ضباط الطيران لتنناول طعام الافطار على مائدتهم ، وما كدنا نمسك بأقداح الشاى حتى اقتحم « الميس » خمسة من ضباط الطيران على وجوههم الحنق الشديد ، وكانوا يلهثون وهم يقولون لنا :

ـ تعالوا ... الحقوا نجيب .. ! ؟

وبداية أخرى لقصة نجيب .. يوم أن عثرنا على تقرير فى قصر عابدين بين أوراق حافظ عفيفى ، والتقرير مرفوع الى السدة العلية الكريمة قبل الثورة بيومين اثنين فقط .. فمن الذى ارسله الى القصر .. الى السدة العلية الكريمة ؟ !

انه بطل هذه القصة .. اللواء نجيب !

ان خيوط القصة تتجمع الآن كلها فى يدى .. ها هو الخيط الاول ..

هاهو جمال عبد الناصر يذكر لنا اسم نجيب لاول مرة قبل قيام الثورة ، ولم يكن نجيب وحده الذى رشحه جمال ليوضع على رأس الثورة ، بل كان هناك شخصان آخران رشحا لهذه المهمة مع نجيب ، فلماذا وقع الاختيار على نجيب ! ؟

الأيام الأولى

اننى أرى الآن امامى وجه نجيب وهو جالس معنا فى الايام الاولى للثورة .. انه كان وجها طيبا يفيض بالاخلاص الشديد للثورة !

كانت تصرفات نجيب تبدو لنا رائعة للغاية فى الايام الاولى ، عندما كنا نعمل جميعا فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، ننام هناك ونأكل ونشرب هناك أيضا .

كان نجيب يتوجه الينا بالحديث بمناسبة وبغير مناسبة قائلا :

ـ أنا أشعر بالخجل من نفسى ، لانى اراكم تنسون انفسكم تماما ، وانا لم أفعل شيئا ، لكنكم تنسبون الى كل شيء ، وكل شيء قد تم بمجهودكم انتم ..

وكانت تلك الكلمات التى سمعناها من اللواء نجيب بمناسبة وبغير مناسبة كافية لكى تبعث فينا الثقة المطلقة به ، مما دفعنى الى ان أخرج الى الناس ذات مرة وأخطب فيهم متحدثا عن نجيب وزعامة نجيب !

بل أن عبد اللطيف بغدادى تأثر ذات مرة الى الحد الذى قال فيه لنا :

« اننى أحب هذا الرجل كأبى تماما ، وأخشى ان يكون حبى له أكثر .. »

فماذا حدث بعد كل هذا .. وبعد ان وقف عبد الحكيم عامر فى قريته « أسطال » يبايع نجيب أمام أهله ، وبخطاب حماسى رائع كان عبد الحكيم عامر خلاله متأثرا الى حد انه تشنج !

لقد كنا جميعا تشعر بالحب لذلك الرجل ، لأنه كان فى الايام الاولى لا يترك مناسبة دون أن يبدى فيها خجله منا ، ويعبر فيها عن دهشته لاننا ننسى انفسنا ، وننسب كل شيء له ، وهو الذى لم يفعل شيئا !؟

ان قصة اللواء نجيب مليئة بالاحداث والغرائب ..

انها أعجب قصة فى تاريخ مصر الحديث ، انها الاسطورة الكبرى التى ظهرت على ضفاف النيل فجأة ثم تلاشت أيضا فجأة كضباب الضحى ..

انها قصة الصراع الهائل الخالد بين من يؤمنون بحرية

الشعوب ويعملون لتحقيقها وبين الذين لا يؤمنون الا بأنفسهم حتى اذا كانت وسيلة ذلك هى تضليل الجماهير !

انها قصة الثورة المصرية وكيف تمت وكيف قرر قادتها المضى بها حتى نهاية الشوط رغم كل العقبات ..

وهى أيضا قصة الذين كانوا يرهبون كلمة «ثورة» ويحاولون وقفها بأكذوبة الدستور والانتخابات والاحزاب .

وهى نفسها قصة الصراع الخالد المجيد بين جيل ثائر يريد أن يبنى مصر فتصبح دولة عظمى .. وجيل عفن مهزوم عاش فى كنف الخنوع واصبح لا يعنيه أن يتطور الشعب أو يتحرر إو تنشق الأرض فتبتلع افراده جميعا .

انها قصة القيادة المؤمنة الباسلة التى تقدمت الصفوف بلا وجل ، وخاضت أعنف المعارك ، وصمدت ثم اثبتت أن الشعب سينتصر على الدوام ..!

هى باختصار قصة الثورة الديمقراطية ..

وسوف يقرأ الشعب القصة كاملة ، فأنا أعدها منذ اليوم .

أعدها من أجل الحائرين الذين رأونا نحمل نجيب على اكتافنا الى قبلى ثم الى بحرى . ورأونا ونحن ننكر انفسنا ونذكره ، ورأونا ونحن نصنع منه زعيما ، وهو يحفر للثورة قبرا .. !

نجيب يدخل من أبواب التاريخ

كيف دخل اللواء نجيب من أبواب التاريخ ! ؟

من فتح تلك الابواب أمامه وقال له تفضل ... انت زعيم ! ؟

وعلى أي أساس قامت زعامتــه وقيادته لثورة شــعب ! ؟

لقد هتف الشعب والجيش له من الاعماق ، وتردد اسمه على أفواه الناس فى مصر وفى كل شبر من العالم لانه القائد الذى انتصر وحرر بلاده ..

لقد كان نجيب رمزا لبطولة أسطورية بهرت العالم كله

وفى كل بيت فى مصر علقت صــورته ، صبــورة البطل الذى ظهر فجأة في أرض النيل ، ليحرر العبيد ، ليطعم الجياع ويبرىء المرضى وينشر العلم والعدل والحق والمساواة ..

الجميع قالوا له أنت زعيم ، أنت بطل ، أنت منقذ الشعب .. أنت محرر الوادى

لم يختلف أحد من أفراد الجيش أو الشعب على زعامــة نجيب وبطولة نجيب وقيادة نجيب ، وكان عليه أن يتقدم الصفوف ليحقق آمال البلاد فى قائد ثورتها ..

لم يكن ينقصه شيء أو يعطله شيء .. فكل مقومات الزعامة والبطولة والمجد والولاء قد وضعت تحت أقدامه ، فماذا حدث !؟ لماذا لم يتقدم فى الطريق الى النهاية .. وماذا كان يعطله ! ؟

لقد اخلينا أمامه الطريق تماما ، ووضعناه على رءوسنا ، ثم انكرنا أن هناك ابطالا غيره .. كان مجرد الاشارة الى بطل آخر غير نجيب جريمة فى رأينا ..

كنا نؤمن بأن الذى حدث فى مصر يوم ٢٣ يوليو يجب أن ينسب الى رجل واحد ، رجل يصبح زعيما يقود الشعب فى الطريق الطويل الوعر حتى النصر ..

كنا نؤمن بأن كل الذى صنعناه طوال أعوام نضــالنا قبل

٢٣ يوليو هو من أجل هذا الشعب ٠٠ من أجل ثورته على أعدائه ، وكل ثورة يجب أن يقودها زعيم .

ونجيب أصبح الزعيم .. ثم ماذا حدث ؟

لماذا انهارت زعامته .. لماذا اختفت الاسطورة سريعا كضباب الضحى ؟

هل لان مجلس الثورة يريد الدكتاتورية ونجيب يريد الديمقراطية ؟ .. ومن أجل هذا عزلناه وأبعدناه من الطريق ؟ ..

انني هنا انشر الحقائق كلها ، ليعرف العالم كله شرقه وغربه حكاية اللواء نجيب .. وليعرف الشعب هنا فى مصر من كان يريد الديمقراطية ومن هو الديكتاتور ... وليعرف الشعب من هم الثوار ، ومن هم الحكام ؟ ..

وقبل ان ابدأ القصة أود أن أسجل هنا خاطرا مر بذهنى وأنا أمسك بالقلم لابدأ القصة ... تخيلت جمال وعبد الحكيم وصلاح وبغدادى وجميع الرفاق فى تنظيم الضباط الأحرار وقد بطش بهم نجيب فى ازمة مارس الماضى ، وأصبح هو الحاكم على البلاد ..

فماذا كان سيحدث فى مصر ، بعد البطش بالذين صنعوا نجيب ؟ ..

هل كان نجيب سيطلق الحريات والعدالة والحق .. وباختصار هل كان سيجىء للشعب بالديمقراطية ٠٠٠ وعلى يد من ؟ ..

هذا هو السؤال ..

على يد من كان نجيب سيحقق أهداف الثورة المصرية ؟

على يديه وحده .. ام كان سيكمل اتصالاته فى مارس المشهور ويجىء بابراهيم عبد الهادى وبالهضيبى وبالنحاس وبسراج الدين وبكل اقطاب الرجعية المصرية ليحكموا البلاد من جديد ؟ ..

على اى حال ، الله وحده الذى كان يعلم ماذا كان سيصنع نجيب بالبلاد بعد أن يبطش بنا ؟ !

والذى كان معروفا انه كان ينوى تكوين مجلس لرئيس الجمهورية يضم الاخوان والسعديين والوفد والاحرار الدستوريين ، ويلغى مجلس الثورة ٠

الثورة والدستور

الاحزاب وخط الثورة

قلت ان الاحزاب لم تفهم معنى الانذار الذى وجهناه اليها بضرورة تطهير نفسها ، وكان مفروضا أن تسرع تلك الاحزاب فتغير من برامجها ، ومن أشخاص قادتها ومن معتقدات أفرادها – اذا إستطاعت – لكن تبين بالرغم من حسن نوايا الثورة ان هؤلاء الناس ليسوا سوى تجار سياسة ، وان الشيء الذى يعنيهم سواء أكانت فى مصر ثورة أم أسرة مالكة هو أن يحكموا البلاد .

والواقع ان موقف الثورة من الاحزاب كان خاطئا من البداية .. فهى – أى الثورة – كان حتما عليها ، أن تقضى على كل التركة التى خلفها لنا العهد الماضى ، والاحزاب بشكلها الموجود كانت شيئا مخالفا لمفهوم الثورة .. وما حدث فى البلاد من مآس ومن ظلم وغدر واستبداد منذ وجدت فيها تلك الاحزاب لاتقع مسئوليته على النظام الذى كان قائما ، بقدر ماتقع هذه المسئولية على القيادات السياسية التى تولت زمام الامور بالتتابع فى كنف دستور اقطاعى ملكى يحفظ لهذه القيادات السياسية حقها فى البقاء والحكم والاستبداد بالشعب .

أقول انه كان مفروضا بعد أن مدت الثورة يدها البيضاء الى القيادات السياسية الموجودة فى البلاد ، أن تفهم تلك القيادات ان ماحدث فى مصر ليس انقلابا سوف يزول بين وقت وآخر ، بل الذى حدث هو تطور اجتماعى محتوم يفرض على كل القيادات

السياسية اذا كانت حقا - ديمقراطية - ان تؤمن به وتعمل على تحقيقه ببرامج مدروسة تتفق مع الاتجاه الذى سار فيه التطور الاجتماعى المذكور ، بل كان مفروضا أن تنظر فى بعض القيادات السياسية فتضع برامج تهدف الى القفز بركب التطور فى البلاد الى أبعد مدى ، لا الى تعطيله ووقفه كما أرادت بعض تلك القيادات .

ويبدو أن رفض الاحزاب الوقوف الى جانب التطور الاجتماعى كان من صالح البلاد .. فلو كانوا قد فعلوا لظهر بعد توليهم الحكم مدى ايمانهم ذلك بالثورة المصرية واتجاهها الانسانى نحو التحرر والعدالة .

فكل القيادات السياسية التى مارست الحكم والسياسة فى مصر طوال ربع القرن الاخير كان كل افرادها من طبقة معينة لاتتفق مصالحها على الاطلاق مع مصالح طبقات الشعب الكادحة والمتوسطة التى استمدت الثورة أهدافها الحقيقية من مصالحها .

وبالرغم من تراجع الاحزاب عن خط الثورة المصرية ، وبالرغم من رفض قيادات تلك الاحزاب التطهير المطلوب الذى يحتمه معنى الثورة ، فاننا ظللنا نؤمن بامكان التعاون مع الجميع فى نطاق الوضع الثورى الذى وجد بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فأردنا ان تكون فى البلاد أحزاب ، وأن تجرى انتخابات ، واعددنا قانون الاحزاب فعلا ، وكان الهدف الاساسى لذلك القانون هو أن تسجل الاحزاب الجديدة برامجها الجديدة بشرط استبعاد الاشخاص الذين ثبت أنهم افسدوا فى الحياة السياسية ، وهم اكثر من أن نحصيهم هنا ...

النحاس وسليمان حافظ

وبدأ الوفد يناور ويحـــاور ، ثم وقع حادث صـــلاح الدين وسليمان حافظ وهو حــادث مشــهور ولم تكن لنا فيه يد على الاطلاق .

فقد ذهب محمد صلاح الدين ، وزير خارجية الوفد لمقابلة وزير الداخلية فى ذلك الوقت ، وذلك ليسجل حزب الوفد الجديد هيئته التأسيسية ‥ وفى مكتب سليمان حافظ جلس صلاح الدين يتحدث مع الوزير ‥ وفجأة قال سليمان حافظ لصلاح الدين :

ـ مصطفى النحاس ده عبارة عن دمل ولازم يتفقع .

وطلب سليمان حافظ الا يشترك النحاس بصفة فعليــة فى ادارة حزب الوفد الجديد .

وهرول صــلاح الدين الى سراج الدين وأبلغه الحـكاية ، وذهب سراج الدين الى النحاس وروى له ما قاله ســـليمان حافظ ، ثم بدأت المعركة بين الوفد وسليمان حافظ .

وكمــا قلت لم يكن للثــورة دخل فى الموضــوع ، لكن الحملة التى شنها الوفد على سليمان حافظ امتدت الى الثورة نفسها ‥ فكتب احمد ابو الفتح سلسلة مقالات تحت عنوان « الى أين ‥ » واظهر فيها بطولة خارقة ، فبدأ يتكلم عن الثورة بأسلوب عجيب ، واعتبرها انقلابا من انقلابات الاقليات السياسية ، وكان ذلك خطأ كبيرا وقع فيه الكثيرون من رجال السياسة والقلم فى البلاد .

واذكر اننى كنت فى ذلك الوقت مسئولا عن الرقابة على الصحف وسمعت زملائى فى مجلس الثورة يتساءلون :

ـ هل من المصلحة ان يقال مثل هذا الكلام ؟ ‥ اننا لم

نقم بما قمنا به لمصلحة حزب معين ، بل لمصلحة الشـــعب كله ، فمالنا نحن وســـليمان حافظ واحمد أبو الفتح وباقى الناس الذين ليس لهم وضع فى الثورة ، والذين ان جد الجد واحسوا برقابهم تتأرجح فوق اجسادهم ــ كما حدث لنا ليلة ٢٣ يوليو ــ لفزعوا وولوا الادبار ..

تجاهل الوضع الثورى ..

وسمعت كلاما كثيرا من الزملاء الثوار ، وبعضـــهم قال ان هذا الكلام فيه تضـــليل للشـــعب ، لان احمد ابو الفتح اعتبر اننا حكام وتجاهل الوضع الثورى

وقلت يومها لزملائى : دعوه يكتب كيف يشـــاء .. ودعوه يفرغ كل ما فى راســـه من كلام ولنر صـــــدى كلامه عند الرأى العام ..

وفعلا لم يكن لتلك المقالات صـــدى معين لانها كانت تأخذ نفس الشـــكل القديم لمقالات الصـــحف المصرية التى تسيطر عليها الاحزاب .. مدح فى هـــذا وقدح فى ذاك ولا شيء غير ذلك .. لا موضوع ولا رأى ولا توجيه ثورى ، او على الاقل يســـتهدف الصالح العام ، لا مصالح حزب الوفد فقط ..

كانت مقالات « الى اين ... » كلها مدحا فى مصـــــطفى النحاس ، كان مصطفى النحاس هو القضية ، وليس الشعب .

وكان الناس لا يزالون يذكرون موقف النحاس اثنـــاء توليه الحكم آخر مرة ، من القصر .. وكيف تحالف جزبه معه الى أبعد مدى ، وتنازل عن شكله الشعبى من اجل ان يبقى فى الحكم ... لهذا كان مدح النحاس آخر حليف ســـياسى لفاروق والاقطاع

شيئا غير مستساغ بالمرة فى وقت رأى الناس فيه صاحب العرش يطرد من البلاد

واحد وعشرون زعيما

وانتهت زوبعة « الى أين ... » وبدأت اخطارات الاحزاب الجديدة تترى ، وخيل الينا ان مصر سوف تشهد عهدا غريبا يتصارع فيه الف حزب سياسى من اجل كراسى الحكم ...

وأحصينا الرقم الاخير فوجدنا ان هناك واحدا وعشرين زعيما فى مصر ، تقدم كل واحد منهم باخطار عن حزب جديد ، وبينهم زعماء لم يسمع بهم احد .. وكأن الارض قد انشقت عنهم فى غفلة من الشعب

مبادىء من كل لون ، وبرامج غير مفهومة وكثير جدا منها متشابهة بل تكاد تكون نسخة طبق الاصل من بعضها

وجلسنا نفكر ، هل هذا هو ما تريده الثورة المصرية ؟ .. وهل هؤلاء الزعماء الواحد والعشرون هم الذين سيسيرون بالثورة المصرية الى نهايتها ؟

ومن هم ؟ !
ما هو ماضيهم ؟ !
ما هو كفاحهم ؟!

رحلة ملكية لرشاد مهنا

ولم نكن ندرى ماذا يدور فى رأس رشاد مهنا بالتحديد ، ورأيناه يدلى بأحاديث صحفية وينظم حملة دعاية عجيبة حول شخصه فيذهب الى مسجد السيدة ليصلى الفجر « حاضرا »

ومعه مصورو الصحف الذين لم يصلوا الفجر «حاضرا» مرة واحدة من قبل !

ولم نبال بهذه التصرفات الغريبة ، فقد كنا نتوقع ان يذهب كرسى « العرش » بلب رشاد مهنا الى حد ما .. لكن فوجئنا ذات يوم برشاد وهو يأمر ادارة قصر عابدين باعداد العدة لقيامه برحلة الى واحة سيوه ، وكانت الاوامر التى أصدرها رشاد تطابق تماما الأوامر الملكية التى كانت تصدر فى مثل هذه الاحوال ... سيارات من جميع الماركات والاشكال وحاشية وخدم ومصاريف ... وعندما بلغنا النبأ نظرنا الى بعضنا وقلنا :

ـ الله .. ايه الحكاية ! ؟

كنا نعرف ان رشاد مهنا لا يؤمن بمعنى الثورة ولا يفهمها ، لكننا لم نكن نتوقع أبدا أن يعين رشاد مهنا نفسه ملكا هكذا ببساطة ... وكأن طرد فاروق كان حبرا على ورق ..

ويبدو أن سراى عابدين ومناظرها والأبهة الشائعة فى حجراتها وكل مكان فيها و « الجو » الملكى الذى يطبع ذلك القصر بوضوح ، كل هذا قد ذهب بلب رشاد مهنا فطار عقله ونسى انه ليس من أسرة محمد على .

ويبدو أيضا ان سراى عابدين كانت شؤما على كل من حكم منها البلاد ... واذكر ان جمال عبد الناصر فى ابريل عام ١٩٥٤ كان يجلس فى مكتب اللواء نجيب بعابدين ، وقال جمال للواء نجيب :

ـ انا حاسس ان القصر ده شؤم على كل من يجلس فيه ، فايه رأيك ... تقعد لك فى مكتب تانى فى مكان آخر ، ونخلى القصر ده متحف ؟

ورد اللواء نجيب على جمال قائلا بالنص :

ـ يا سيدى .. ما شؤم الا الشؤم

وسكت جمال

أنا الملك واحكم

واعود الى الموضوع ٠٠ الى « الهيصة » فأقول ان الامور تطورت بسرعة بعد حكاية رحلة رشاد الملكية الى سيوه ففى ذات يوم استدعى رشاد مهنا اللواء نجيب الى مكتبه فى عابدين ، وفى حضور سليمان حافظ اخذ رشاد مهنا يعنفه ، وكان رشاد وهو يفعل هذا يضرب المكتب بقبضة يده ويقول لنجيب :

ـ أنا لا اسمح بهذا ، ولا أرضى بذاك ، ثم صرخ قائلا وبصوت عال جدا :

ـ أنا مش زى فاروق ... أنا هنا أملك وأحكم !

وكانت مفاجأة أخرى لنا .. فنحن نعمل ليلا ونهارا من اجل اعداد خطوات الثورة المصرية ، ورشاد فى قصر عابدين يصرخ ويريد أن يملك ويحكم ٠٠

ولم يقف طموح رشاد مهنا عند حد ، وبدأ يصطدم بنا

حدث أن الملك المخلوع كان قد اغتصب كالعادة سيارات تابعة للجيش ، وبعد الثورة طلبت ادارة الجيش من سراى عابدين اعادة تلك السيارات الى وحداتها وفوجئنا بأن « مولانا » رشاد مهنا يرفض اعادة تلك السيارات ٠٠٠ وكان هذا الموقف كافيا بأن يقنعنا تماما بأن الثورة فى خطر وان البلاد توشك أن ترى ملكا جديدا من أسرة اخرى غير أسرة محمد على ٠٠

يد الثورة تنقذ الموقف

وأمام هذا كله عقدت الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار اجتماعا سريعا ، أصدرت فيه قرارا باقالة رشاد مهنا من منصبه كوصى للعرش والاكتفاء بالامير السابق محمد عبد المنعم فى مقعد الوصاية الى أن يبت فى مسألة العرش ، وكنا قد أجلنا هذه العملية الى أن تأتى الفرصة المناسبة .

وخرج رشاد من قصر عابدين الى بيته وذهب اليه جمال عبد الناصر وعرض عليه فى كرم شديد أن يختار لنفسه أى منصب فى السلك الدبلوماسى ... لكن رشاد رفض ... كان يريد أن يظل ملكا على البلاد .

وبدأ رشاد ينشط مستغلا كرم الثورة وعطفها عليه ... فبدأ يتصل بالاحزاب وبالاخوان بصفة خاصة ، وكان الوفد يأمل فى ذلك الوقت فى العودة بشكله القديم ، ورأى الوفد فى خروج رشاد مهنا فرصة ذهبية ..

وظنوا ـ جميعا ـ أن وراء رشاد مهنا تكتلات داخل صفوف القوات المسلحة ، لهذا كبر الامل فى صدورهم واعتقدوا ـ جميعا ـ أن رشاد هو منقذهم من الثورة ..

تكتل الاقطاع مع رشاد مهنا

وحدث ماكان لابد أن يحدث ... ففى كل بلاد الدنيا عندما تقوم ثورة يتكتل اعداؤها الذين تهدد الثورة مصالحهم فى جبهة واحدة ليقاوموها ... وقد حدث فعلا أن لاحظنا بوادر هذا التكتل ... الاحزاب والاقطاع ورشاد ـ جميعا بدأوا يتحفزون للقضاء على الثورة ... وتتابعت الاحداث ورأينا أن

حسن نية الثورة قد يقضى عليها ، كما راينا ان عطفنا واستعدادنا للتعاون مع الجميع وايماننا بكل مصرى مخلص يريد أن يعمل فى نطاق الثورة مهما كان لونه ومعتقداته كل هـذا قد يطيح ... لا بالثورة ، فثـورات الشعوب لا يمكن القضاء عليها ... بل قد يطيح بكل ماصنعناه نحن من احداث تاريخية كان حتما على الثورة أن تجتازها لتبدأ فى صنع مستقبل الشعب .

احسسنا أن تكتلَ تجار السياسة مع رشاد مهنا مع الاخوان مع الاقطاع قد يعطلَ من سير الثورة ، وهذا مالم نكن على استعداد للتهاون فيه ... فى مثلَ هذه الحالات يبدو الامر مضحكا اذا لم نضرَب بيد الثورة الحديدية لا البيضـاء المسـالمة العطوف التى مددناها للجميع .

وجاء يناير عام ١٩٥٣ ، وكان قد مضى على الثورة سـتة شهور ، فوجدنا أنفسنا أمام جبهات تتآمر علينا فى الخفاء وتظهر لنا الود فى العلن ... وجدنا أنفسـنا أمام احزاب تريد طعننا من الخلف ، وافراد ينشطون فى الظلام لحساب الاقطاع ، ورشاد والرجعية المصرية المتحجرة .. وكنا فى واد وجميع الاحـزاب والهيئات فى واد آخر ... كنا نريد ثورة ونحمل رقابنا على اكفنا من أجل هذه الثورة المصرية التى بدأت زحفها منذ يوليو .. وهم ماذا كانوا يريدون ! ؟

من يحتاج الى العقل ؟

هل كانوا يريدون الحرية ! ؟

هل كانوا يريدون العدالة ... فى الريف والحضر ! ؟

أم تراهم كانوا يريدون الحق والعدل والسلام ! ؟

وأين كانوا اذن قبل أن نصنع ما صنعناه !!

ومن هم ... هذا هو السؤال ..

ان الحق والعدل والسلام آمال تملأ صدور الكادحين والعاملين وتدفعهم الحاجة اليها دفعاً الى العمل على تحقيقها .. أما ان يطالب اقطاعى بالحرية وبالحق والعدل والسلام .. فهذا امر يبدو مضحكا .. بل ويدعو الى السخط الشديد .

فهو ليس فى حاجة الى عدل ولا الى حق ولا الى سلام .. هو يحتكر كل هذه الحقوق ويسلبها من البشر ... اذن فالذين تكتلوا ضد الثورة مع رشاد مهنا لم يكن هدفهم عودة الحياة الديمقراطية المزعومة ولا عودة الحق والعدل والسلام ... فتلك أشياء لم يكن لها وجود قبل الثورة للشعب جميعا ـ ويجب على الثورة سحقهم بلا رحمة .. بل وسحق الذين يقفون الى جوارهم فى انتظار الجريمة .. ولكن الجريمة لم تقع .. فقد امتدت يد الثورة الحديدية وقبرت الجريمة فى مهدها فانتهى الامر بمحاكمة رشاد مهنا ، والغاء الاحزاب .. وتحديد فترة انتقال تبدأ من يناير ١٩٥٣ وتنتهى فى يناير ١٩٥٦ ...

اسقطنا الدستور الاقطاعى

ضربت الثورة ـ كما قلت ـ بقبضتها الحديدية فألغت الاحزاب وحددت فترة انتقال ، وذلك عندما اطل عليها خطر التكتل الذى تم بين رشاد مهنا ، والاقطاع ، والاخوان والاحزاب ... وكان حتما على الثورة أن تضرب هؤلاء الاعداء منذ اللحظة الاولى التى خرج فيها كبيرهم ـ فاروق ـ من البلاد .. فالقيادات السياسية التى كانت فى مصر قبل يوليو لم تكن تريد ـ ثورة ـ كما ذكرت ، بل كان هدفها دواما هو الحكم والسيطرة على الشعب ، لصالح القصر

والنظام الـذى كان قائمـا . هذا من ناحيـه ، ومن ...

ـ فالثورة ـ أى ثورة ـ لايعقل أبدا أن يتولى توجيهها نحو أهدافها العديدة جماعة من السياسيين لم يشـتركوا ـ على الاطلاق ـ فى قيامها أو فى التمهيد لها... بل على العكس ، كانت الثورة المصرية التى تهدف الى تحرير الشعب من القوات المحتلة والنظام الملـكى ، وتصـنيع المجتمع الاقطاعى المهلهـل ، لا تجـد فى واحد من رجال الاحزاب عونا لها قبل أن تقوم ، فـكيف يمكن لهذه الثورة أن تجد العون فى هؤلاء السياسيين بعد أن قامت فعلا وبعد أن بدأت تزحف على أعداء الشعب ؟

هل كانت الثورة الامريكية أو الروسـية أو الصينية تنجح لو أن رجالهـا لجأوا الى السياسيين القدامى وعهدوا اليهم بتوجيه الثورة ، وما هو دور الذين صـنعوا الثورة نفسـها ؟! يترهبنون ويطلقون لحاهم ، أو ماذا يصنعون ؟

كنا ـ اذن ـ على حق عنـدما ضربنا بيـد الثورة الحـديدية وقبرنا الجريمة فى مهدها ، قبـل أن تتم على أيدى رجال الاحزاب ورشاد مهنا وباشوات البلاد ... ومشعوذيها !

ان الغاء الاحزاب المصرية بعـد يوليو عام ١٩٥٢ كان عمـلا ثوريا ينبـع من أصول الثورة المصرية .. ومن اتجاهها الانسانى الشعبى .

فلم يحدث فى تاريخ الثورات أن قام جماعة من الناس بثورة على الطغيان والاستبداد والاستعمار والاقطاع ، ثم تركوا « الثورة » وهى لم تزل وليدة لم تقف بعد على قدميهـا للرجعيين والاقطاعيين والمشعوذين ليحفروا لها قبرا .. هذا هو الوضع الجديد بالتحديد بالنسبة لثورتنا عندما قررت الغاء الاحزاب ، وتحديد فترة انتقال واسقاط الدستور ..

لقد قلنا بعد أن طردنا زعيم العصابات السياسية فى مصر الملك السابق فاروق اننـا نحمى الدستور ٠٠ وكنـا فعلا نعنى ما نقول ، لـكن الاحزاب المصرية وليـدة النظام الملـكى الاقطاعى ترجمت هذا الشعار بما يتفق ومصالحها ، فطالبت بالحـكم وباجراء انتخابات ٠٠٠ أى بدفن الثورة المصرية فى أعماق الأرض ، ليبقوا هم سادة للعبـاد والشعب حيث هو فى الحضيض يمرض ويجوع ويمـوت ٠٠٠ هـذا شيء لا يعنيهم ، فسراج الدين وغـيره من قادة «الشعب» فى عهد فاروق يريد أن يحكم ويحكم ويحكم ، أما العدالة والحرية والنور فهو وغيره من القادة الكبار ليسوا فى حاجة الى شيء منها ، فالعدالة والحرية والنور أشياء موجودة فى حياته هو ٠٠ فى قصره وفى مكتبه وحيث يكون ، انه يملك كل شيء وليس فى حاجة الى شيء ٠٠ فقط هو يريد أن يحكم العباد ، فاذا لم يستطع فالامر اذن ديكتاتورية وفاشية وحكومة ضباط وعساكر ٠٠ وكان علينا ونحن نعـد خططنا للزحف الابيض على أعداء الشـعب ، أن نتردد ألف مرة قبل أن نضرب بيد الثورة الحديدية ، فـكما قلت من قبل كنا لا نريد أن نخوض معـارك دموية ، ما دامت الثورة تسـتطيع استرداد الارض من الاقطاعى بالحسنى ، حتى اذا لم يخضع لمشيئة الثورة ، كنـا فى حل من استعمال القوة ، ذلك كان قانون الثورة ٠٠٠ وكل ثورة ، سواء أكانت فى مصر أم فى آخر الدنيا ٠٠٠

وأعود الى الدستور ٠٠٠ كنـا نعنى كمـا قلت ان الثورة تحمى الدستور ، والدستور الذى وضع للبلاد فى ابريل عام١٩٢٣ يتـكون من ١٧٠ مادة وتنص المـادة الاولى منه على أن « مصر دولة مستقلة ذات سيادة ، وهى حرة مستقلة وملكها لا يتجزأ ولا ينزل عن شيء منه ، وحكومتها ملكية وراثية وشكلها نيابى » ٠

ذلك هو نص المـادة الاولى من ذلك الدستور ، وكمـا قلت

كانت الثورة تحسن الظن بجميع المواطنين ، وتريد أن يتعاون معها كل الناس ، وعندما مدت الثورة يدها للاحزاب ثم طالبت تلك الاحزاب بأن تثور أيضا مثلما ثار تنظيم الضباط الاحرار تبين للثورة خطؤها ، وكادت جريمة القضاء على الثورة تقع فعلا ٠٠ لولا أن ضربت ـ كما قلت ـ بيدها الحديدية ، فلم تتم الجريمة٠٠ وانتهى الامر بحل الاحزاب ومحاكمة رشاد مهنا ٠٠٠ وكذلك باسقاط الدستور ٠

كنا نريد أن نتعاون اذن مع الجميع فى نطاق الوضع الموجود، ثم بعد ذلك يشترك معنا الجميع فى اعداد خطوات الثورة ، بنفس حماسنا ، وبنفس فهمنا للثورات ٠٠ وبنفس رغبتنا فى تحرير هذا الشعب من كل قيوده ٠٠٠ وعندما تراجع رجال الاحزاب رفضوا أن يثوروا مثلنا ، رأينا أن نعيد النظر فى خططنا ٠٠٠ رأينا أن نعتمد على أنفسنا ، وعرفنا فى الحال أن الثورة لا يمكن على الاطلاق أن تنجح بغير رجالها ، هم وحدهم الذين يمكنهم حمايتها والذود عنها وقطع الطريق على المتآمرين والمتربصين وأعداء التطور ٠٠ لا ثورة بلا ثوار ٠٠ كان ذلك هو شعارنا بعد أن اكتشفنا مدى الخطأ الذى وقعنا فيه ، عندما مددنا أيدينا للجميع وطالبنا الجميع بأن يثوروا ، فأرادوا أن يحكموا ٠

ثم رأينا أن الدستور الذى يأخذ علينا أعداء الثورة اسقاطه ٠٠ يحمى النظام الملكى كما ذكرت ، ويحمى مالك الارض وسيد العباد ٠٠ وتناقشنا فترة ليست قصيرة ، حول تعديل المواد التى تتعارض مع خطوات الثورة الاولى ٠٠ القضاء على تاج محمد على ، وعلى تيجان بشوات مصر فى الريف ٠٠

لكن بعد أن درسنا المسألة برمتها وجدنا ـ وقد قررنا العمل بمفردنا كثوار لا كحكام ـ ان بقاء دستور ١٩٢٣ ليس فى مضمون الثـورة على الاطلاق ٠٠٠ فهى ثورة اجتمـاعية قبل كل شيء ٠٠٠ ثورة تستهدف تغيير الوضـع الاقتصـادى وهـذا أمر يتنـافى مع الدستور ، وكذلك طرد الملك واسـقاط النظام القائم أمر لا يجيزه الدسـتور أيضا ، فكيف اذن نبقى عليـه ؟ ومواده الباقية تحمى الاحزاب ورجالها ، الذين هم أعداء للثورة ، والذين بدأوا يتآمروز عليها !؟

وكان لا بد للثورة المصرية بعد يوليو أن تسقط الدستور ثم بعد ذلك تضع الثورة دستورا ينبع من حاجات الشعب لا من مصالح الحكام أو الطبقات المسيطرة على الاقتصاد وكل شيء ٠٠ فقد كان من أسس ثورتنا القضاء على سيطرة رأس المال وعلى جهاز الحكم ، وأعلن عنهذا المبدأ فى منشورات الضباط الأحرار قبل الثورة بزمن طويل ، ثم أعلنـه مرة ثانية الرئيس جمـال عبد النـاصر ضمن مبادىء الثورة الستة ٠٠ فكيف كان اذن يمكننا الابقاء على الدستور وكثير جدا من مواده يتعارض مع أهداف الثورة المصرية النابعة من مصالح الطبقات الكادحة والعاملة والمتوسطة !؟

وقد كان اللواء نجيب يعارض فى اسـقاط الدستور مثـل باقى الاحزاب والهيئـات التي كانت تريد الحكم ولا تريد أبدا أية ثورة ، ثم ما لبث نجيب أن وافق على رأينـا ٠٠ تماما مثلما حدث عندما قررنا الغاء النظام الملـكى ، فقد عارض اللواء نجيب فى هذا أيضا ثم ما لبث أن عدل عن رأيه ، وأذكر أننى ذهبت اليه يومها فى منزله ٠٠٠ ثم خرجت وعقدت مؤتمرا صحفيا فى خيمة الحرس امام المنزل وأذعت من هناك البيان .

تلك كانت قصة اسقاط الدستور ··· ففى مصر ثورة ولها أهداف اقتصادية واجتماعية وسياسية يقف الدستور كجدار عال أمامها ·· وهنا ـ أيضا ـ تمتد يد الثورة لتهدم الجدار ··· ولتعد دستورا ينبع من فلسفتها ··· دستورا يحمى الشعب فى عصر ما بعد الثورة ، ويحفظ للشعب كل كسب حصل عليه من أعدائه ··· وقد كان دستور ١٩٢٣ يحمى مكاسب أعداء الشعب فقط !

مقاييس الثورة

مقاييس اليوم

ومقاييس الأمس

أعتقد أن المصلحة العامة ، تقضى بوضع النقط على الحروف ، ليدرك الذين تلتبس عليهم بعض المسائل ، وتختلط عليهم بعض الأمور ، ان المقاييس التى اعتادها الناس فى العهود الماضية ، لم تعد تصلح لهذا العهد ، ولم تعد متفقة مع السرعة التى دارت بها عجلة الزمان .

ان مصر اليوم ، ومنذ أكثر من أربع سنوات تعيش فى ثورة ، والثورة التى انبثقت من أعماق الشعب المصرى وعبرت عن ارادته ، لم تكن ثورة على جانب من الفساد دون آخر ، ولم تكن ثورة على فرد دون سواه ، وانما هى ثورة شاملة كل عنصر من عناصر الفساد ايا كان وأينما كان .

وقد اضطلع بقيادة هذه الثورة لفيف من أبناء مصر عاشوا سنوات عديدة قبل الثورة وبعدها مجتمعين تحت راية المبادىء السامية التى أعلنوا عنها منذ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وما زالوا يلتفون حولها ، ويضعونها موضع التنفيذ فى عزم وتصميم وايمان ، وقد تبينت متانة الرابطة التى جمعت بين هؤلاء الثوار حينما دقت الساعة وحانت اللحظة الحاسمة التى تعرضوا فيها للمحنة الفاصلة بين النجاح والفشل ، أو بعبارة أخرى بين انتصار المبادىء واعواد

المشانق ، فكانت وقفتهم المجيدة صفا واحدا ، وكتلة متراصة هى حجر الزاوية فيما حققوا لبلادهم من عزة ومجد ·

لقد اجتمعوا اذن على مبادىء لا علاقة لها بالاشخاص ، ولا صلة لها بالرابطة التى كانت تجمع الاحـزاب المنحلة البـائدة ، رابطة الغنائم والاسلاب ·

ومثل هـذه الرابطة ، رابطة المبـادىء المجـردة من المطامع والاسلاب ، لا يسهل ولا يمكن أن تنفصم وليس من الميسور ولا من الممكن أن تنقطع أواصر العـلائق الشخصـية التى تقـوم على هذه الرابطة النبيلة مهما يحدث من خلاف أو تعارض بين وجهات النظر، وذلك لأن مراد الخلاف لا يتعلق بنزاع على مغنم ، أو تهـافت على منصب ·

قد يحدث ، بل لا بد أن يحـدث بين أفراد أية جمـاعة من الناس ، تباين فى زوايا النظر الى مسألة معينة أو أكثر ، ولكن هذا التباين بين أفراد وحدت بينهم المبادىء السامية لا يمكن أن يفض ما بينهم من رباط مقدس ، فهذا الرباط هو الجوهر النقى الطاهر الذى لا تنفصم عروته ، وأما الخلاف ، وتباين وجهات النظر فهو عرض لا يمكن أن ينال من روعة الجوهر ·

على ضـوء هـذا التحليل الواقعى الواضح ، يجب أن يطبق الناس مقاييس جديدة فى الحكم على تطور الحوادث فى عهد الثورة ، وقد انتهى الزمن الذى كانت فيه الاعتبارات الشخصية، والمنافسات الحزبية هى المقياس أو المفتاح الذى يفسر مظاهر الوحدة والخلاف بين المسئولين عن مصائر البلاد ·

ان كل فرد فى هذا العهد الثائر لا يشغل نفسه ولا يشغل الرأى العام بالمكان الذى يحتله ، والمغنم الذى يكسبه والصف الذى يوضع فيه ، وانما يقف وقفة الجندى الذى يؤدى واجبه أيا كان مكانه بين الجنود العاملين .

وهذا مقياس آخر لم يكن له وجود فيما مضى من عهود الحكم ، ولكنه أحد المقاييس التى لا يصلح سواها للحكم على الاشياء والاحداث فى هذه الايام .



الرئيس جمال عبد الناصر فى مكتبه برياسة الجمهورية



احدى دبابات الثورة فى أحد شوارع القاهرة فى فجر يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢



وزارة نجيب الهلالى آخر وزارة من وزارات العهد البائد حين قامت الثورة



القائمقام أنور السادات بعد أن أبلغ علي ماهر مطالبة فاروق بالتنازل عن العرش



أمر ملكي رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان

لما كنا نتطلب الخير دائماً لأمتنا ونبتغي سعادتها ورقيها

ولما كنا نرغب رغبة أكيدة في تجنيب البلاد المصاعب التي تواجهها في هذه الظروف الدقيقة

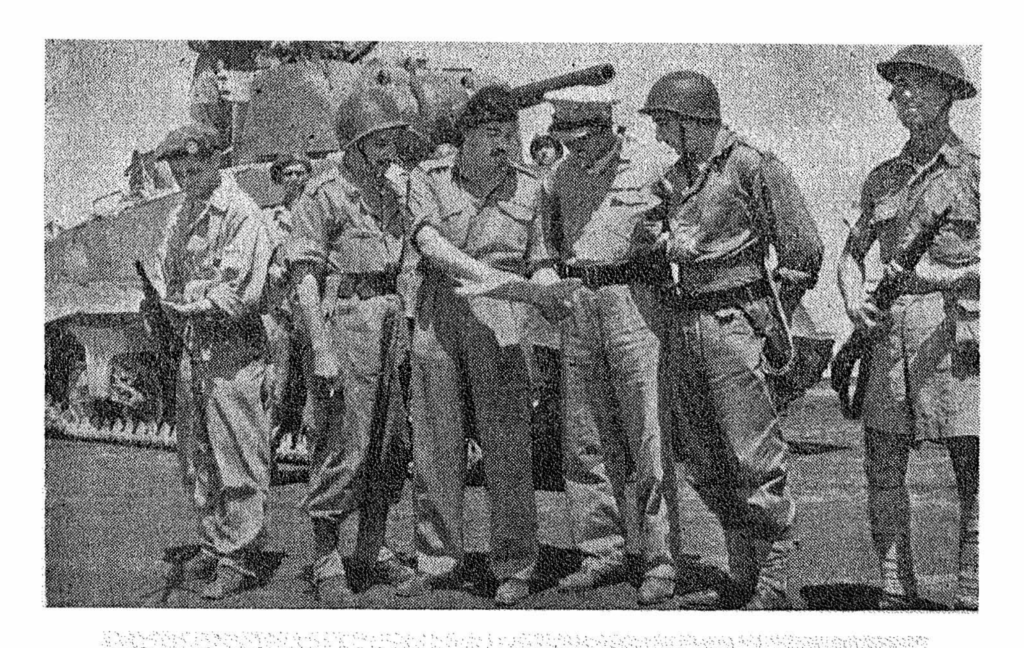
ونزولاً على إرادة الشعب

قررنا النزول عن العرش لولي عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب

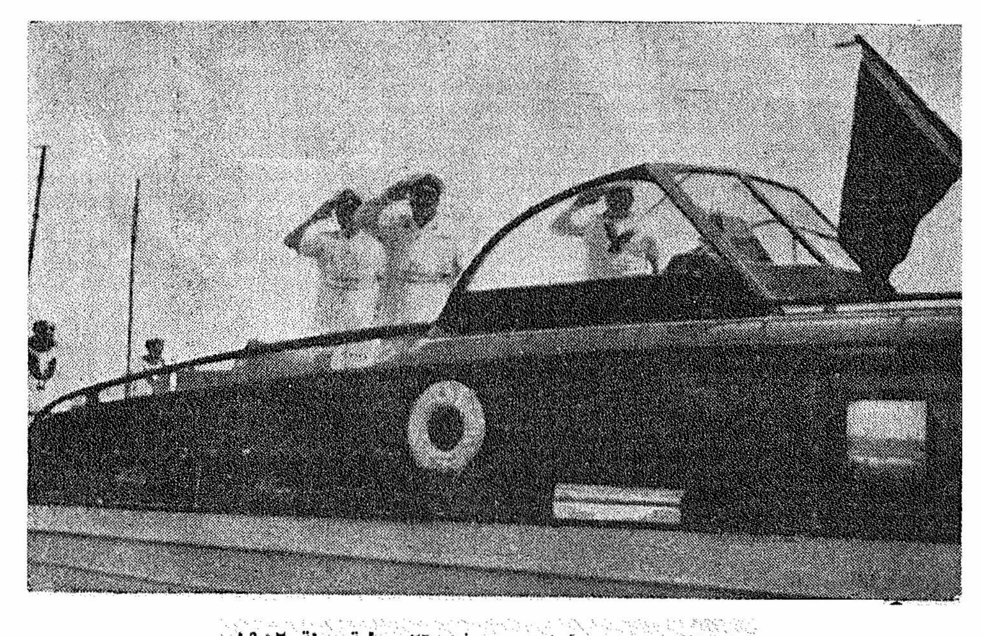
المقام الرفيع علي ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه.

صدر بقصر رأس التين في ٤ ذي القعدة ١٣٧١ (٢٦ يوليه ١٩٥٢)

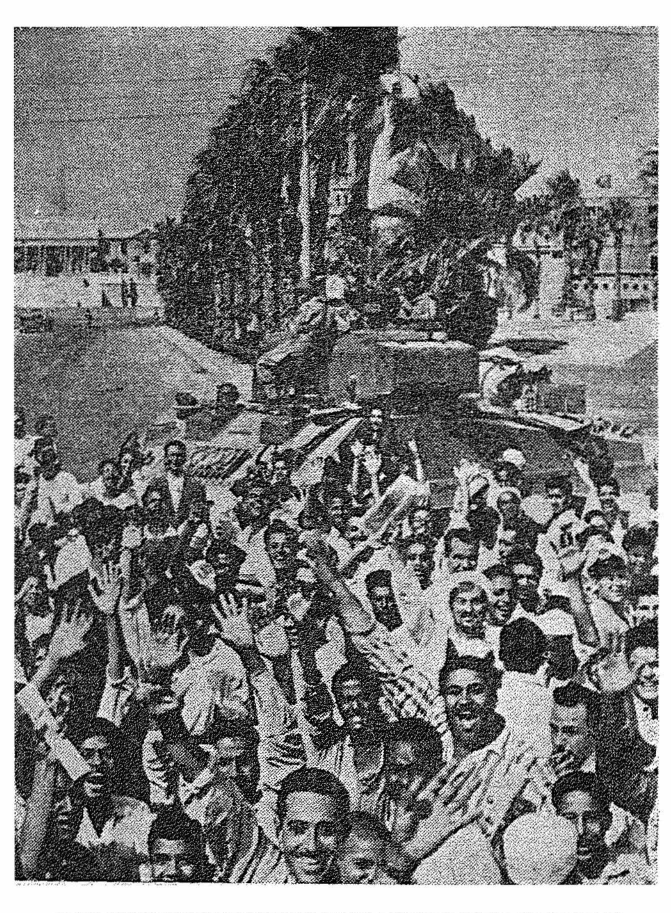
وثيقة تنازل الملك السابق عن العرش صباح يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢



البكباشى حسين الشافعى قائد سلاح الفرسان يرسم خطة حصار رأس التين والمنتزه بالاسكندرية



فاروق يرحل عن أرض مصر فى ٢٦ يولية سنة ١٩٥٢



فرحة الشعب وهتافاته المتصاعدة يوم تنازل فاروق عن العرش



على ماهر يودع أعضاء مجلس قيادة الثورة يوم استقالته من الوزارة التى تولاها بعد قيام الثورة



بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة بعد انتهائهم من أحد اجتماعاتهم السياسية



أعضاء محكمة الثورة التى شكلت لمحاكمة الخارجين على الوطن



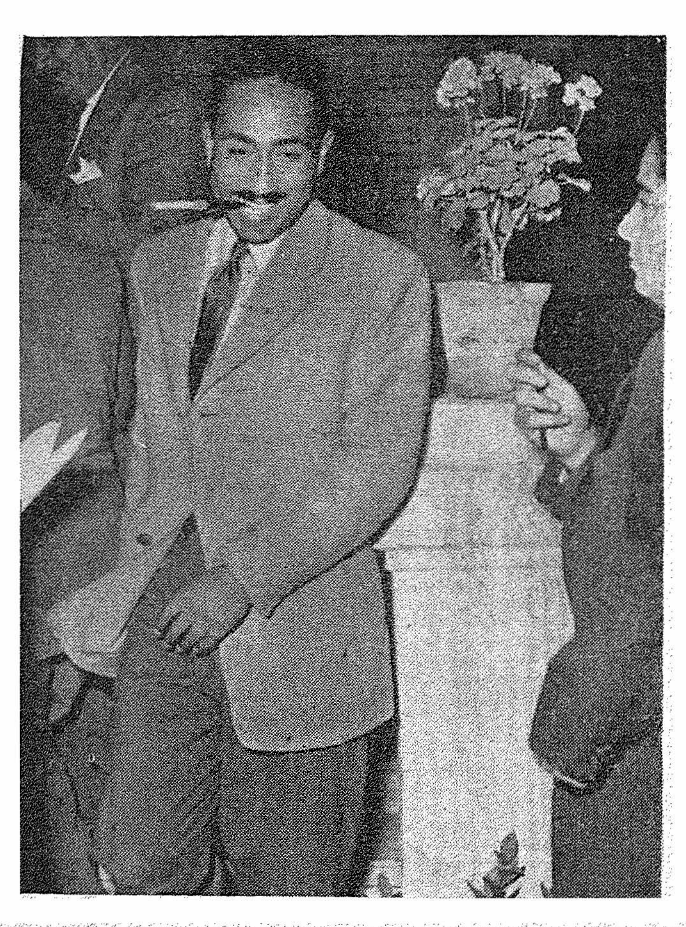
عبد اللطيف البغدادى وأنور السادات بعد انتهائهما من جلسة المحكمة



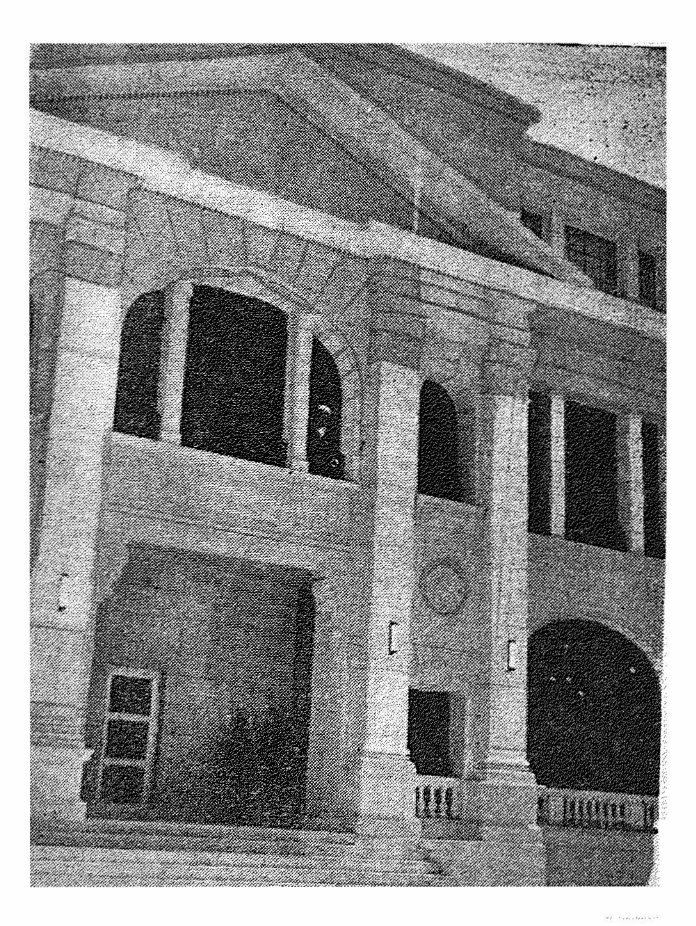
زكريا محيى الدين الذى وضع الخطة العسكرية لطرد فاروق عن العرش



الرئيس جمال عبد الناصر يغرس شجرة فى أراضى نجع حمادى



القائمقام أنور السادات حين اشترك فى الوزارة الجديدة فى مايو سنة ١٩٥٤

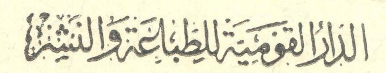


مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة يطل على النيل الخالد

فهرس



الدار القومية للطباعة والنشر





العدد ٣١٠

الثمن ٥

١٩٦٥/٧/٢٣